

للتواصل مع الكاتبة

facebook.com/dina.emad.7

مدونة الكاتبة

yawmeyathamat.blogspot.com

بِلَاتُوه

الكتاب: بلاتوه

المؤلف: دينا عماد

الغلاف: إسلام مجاهد

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 14983/2014

الترقيم الدولي: 3- 3- 85101- 977- 978

مدير النشر: عمر عودة: 01111529029

مدير التوزيع: 01153339390

الإشراف العام: محمد المصري



العنوان: 50 شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

ت: 01111529029 /01221064663 /0225622743

*https//www.fac*ebook.com/dar.elrsm.blklema

بِـــلَاتُـــوه

رواية

دينا عماد



دار الرسم بالكلمات


عصير
الكتب

إهداء

إلـــى اللـــــه..

اللـــهـــم ألهمـــنا الصـــوابَ

اللـــهـــم قَـــدِّر لنا الخيـــــــرَ..


عصير
الكتب

مُقدِّمة

حياتنا تتلخَّص في مجموعة من القرارات، منها ماقد يغيِّرها تمامًا للأحسن أو الأسوأ..

ما أصعب الاختيار حينما تتضارب قرارات العقل والقلب.. تقع الحيرة ويتوجب علينا الاختيار.

بعد الاختيار.. لابد من تحمل مسئوليته أيًّا كانت تبعاته..

- 1 -

فتحَتْ «نادين» عينيها على صوتِ نغمة رنين هاتف زوجها.. لمحت الشروق من خلف ستارة غرفة النوم.. سمعته يرد بهمس وهو يخرج مسرعًا من الغرفة: "ألو.. أيوة.. مالها بالظبط؟"

لم تسمع أكثر من ذلك سوى صوت الباب يُغلَق.. نظرت في الساعة بجوارها، وجدتها الخامسة والنصف صباحًا..

نهضت بخطوات متباطئة.. فتحت الباب في نفس اللحظة التي عاد فيها زوجها.

- إنتي صحيتي؟

- أه.

- أكيد صوت التليفون صحاكي.

- أيوة.

دخل حمَّام غرفة النوم.. خرج بعد أقل من خمس دقائق، بينما كانت نادين جالسة تنتظره.. سألتْه:

- إنت نازل؟

- أيوة.. أنا آسف ان صوت التليفون صحَّاكي.

- يا«حسن» يا حبيبي إنت ملحقتش تنام.. إنت راجع الساعة 2ونص منمتش 3 ساعات على بعض.

- أعمل إيه بس يا حبيبتي.. شغلي.. نامي انتي وكمِّلي نومك.

صمتت نادين تفكر في الخمسة عشر عامًا الماضية.. سنوات زواجها من حسن الذي عشقته بكل جوارحها..

تعلم أنه يبادلها العشق.. ولكن ماذا حدث في السنوات الثلاث الأخيرة؟ ذبل حبه؟ لا.. لا يمكن أن يقل حب حسن لها.. ملل.. خرس زوجي كما يُقَال؟

ربما.. ولكن من أين سيأتي الملل وهي متجددة باستمرار؟!

قطع أفكارها ضم حسن لها وطبْع قُبلة على جبينها بعدما انتهى من ارتداء ملابسه:

- كمِّلي نومك وانا شوية وراجع إن شاءالله.

- هستناك.

- ليه؟!.. نامي انتي وارتاحى، إفرضي اتأخرت.

- أنا مبقاش بيجيلي نوم وانت بعيد يا حسن.. أنا نومي بقى ملخبط بسبب شغلك.

- حقك عليا.. غصب عني.. أنا هنزل بقى عشان متأخرش على اللي مستنياني.. حرام اسيبها كده.

- ماشي يا حبيبي.. ربنا معاك.

أوصلَتْه حتى الباب.. قبَّلته وودَّعته وأغلقت الباب، ثم عادت إلى غرفتها.. اتجهت لسريرها.. عدلت من قرارها بمحاولة النوم لمحاولة التسلية إلى أن

يعود.. وقفت أمام مكتبة الأفلام.. انتقت فيلمًا تحبه.. وضعته في الـ "DVD" وضغطت "تشغيل"..

جلست تشاهد الفيلم.. وأوقفت الصورة على اسمها النجمة «نادين» ابتسمت وهي ترى اسمها لامعًا على الشاشة، اجتاحتها لحظات حنين للفن الذي هجرته من أجل الحب.. حنين لم تنجح يومًا في قتله.. على عكس ما تتظاهر به من أنها نسيَتْ الفن تمامًا. أعادت تشغيل الفيلم.. ورجعت بظهرها للخلف.. كل مشهد كانت تراه، تتذكر معه كواليس التصوير.. أيام جميلة قضتها مع زملائها كُلِّلَت بسعادتها بنجاح الفيلم، ولكن أروع ما في تلك الأيام.. هو ذكريات تعارفها بحسن في ذلك الوقت..

(بلاتوه التصوير):

يُجرَى التحضير للمشهد على قدمٍ وساق.. المخرج يطلق صرخاته يريد الانتهاء من المشهد الذي يحضِّر له من الصباح.. عُمَّال الإضاءة، الديكور، التصوير، كل منهم يتمم على عمله، كل شيء على ما يرام.

ينادي المخرج"فين نادين؟"

تأتي نادين بعدما انتهت من ارتداء ملابس التصوير والماكياج الخاص به، تقف مساعدتها وقتذاك «هناء»، تنتظرها وتستمتع بالمشاهدة ..

هدوء تام.. كلاكيت..

تندمج نادين في المشهد الذي تمثله.. المشهد يتطلب تركيزًا عاليًا؛ فلايوجد حوار ولا ممثل آخر أمامها.. فقط تمثل بعينيها وبحركات جسدها..

صمت مطبق.. حتى الأنفاس محبوسة.

يخترق الصمت صرخة عالية.. يلتفت الجميع لمصدر الصراخ، تجد نادين مساعدتها هناء على الأرض تبكي وتصرخ، تقبل عليها مسرعة.. تباعد مابين الجمع الواقف حولها:

- مالك ياهناء؟

- مش عارفة.. بسقَط ولا بولِد مش عارفة.. تعبانة أوي.

تكمل صراخها.. ترتبك نادين فزِعة:

- انتي مش لسه في السادس.. ايه اللي حصل؟

تبكي هناء.. لا تجد ردًّا..

يقترح أحد الموجودين " نطلب الإسعاف".

نادين: أنا لسه هستنى الإسعاف.. أنا هاخدها حالًا على المستشفى.. حد يساعدني نسندها لحد العربية.

تصل نادين إلى أقرب مستشفى خاص.. نادين وهناء وحدهما.

هناء بالنسبة لنادين ليست مساعدة فقط.. فهي تعتبرها صديقة مقربة.. معجبة بإرادتها ورغبتها في عيش حياة كريمة باجتهادها رغم كل ما مرت به من ظروف وفاة والدها ومرض والدتها.. عملها بجوار دراستها حتى حصلت على دبلوم التجارة.. قوَّتها في صدِّ أية محاولة من رجل بلا مبادئ بالتقرب منها واستغلال حاجتها المادية.

تعرفا في ظرفٍ عادي.. أحضرها البواب لوالدة نادين لتنظيف الشقة، تعودت أن تحضر للتنظيف مرتين في الأسبوع، أمانتها وحلاوة لسانها جعلاها تدخل قلب نادين ووالدتها من أوسع الأبواب.

ومع ظهور أول فرصة لنادين في بطولة فيلم كوجهٍ جديدٍ، طلبت من هناء أن تكون معها دائمًا وتترك عملها بالبيت.

على مدار أربع سنوات لم تستطع هناء مفارقة نادين، حتى بعد زواجها.. قررت الاستمرار في العمل معها. لم تجد معارضة من زوجها.. فهو سافر للعمل بعد الزواج بشهرين، تاركًا قرار العمل في يد هناء وحدها.. تبعًا لما تتحمله قدرتها دون إجبارٍ منه على الاستمرار من عدمه.

ترجَّلت نادين من السيارة مسرعة.. طلبتْ من أحد الممرضين مساعدتها لاستقبال الحالة التي بصحبتها.

"د.حسن شاهين"..

ردت عليها إحدى الممرضات عندما سألتها نادين عن طبيب النساء الموجود بالمستشفى.

لم تسمع نادين اسمه من قبل.. ربما لأنها لم تحتَج حتى الآن لدكتور أمراض نساء وولادة وهذه هي المرة الأولى التي تتعامل فيها مباشرة مع حالة ولادة.. وربما إجهاض.. وحتى الآن لم تتضح حالة هناء بعد..

سألتها نادين مرة أخرى:

- طيب هو فين؟؟ هيسيبها كده.

ردت الممرضة بابتسامة:

- متقلقيش.. احنا دخَّلنا الحالة العمليات وزمان دكتور حسن دخلها خلاص.

جلست نادين قلقة.. بينما استطردت الممرضة:

- هو حضرتك مفيش فيلم جديد قريب؟

حاولت نادين أن تتغلب على قلقها بصعوبة وردت مبتسمة:

- فيه قريب إن شاءالله.. إحنا بنصور حاليًا.

- هيَّ اللي معاكي دي قريبة حضرتك؟

- يعني.. حاجة زي كده.

- ربنا يقومها بالسلامة إن شاءالله.

- يارب.. هو الدكتور ده كويس؟

- طبعًا.. دكتور حسن ماشاءالله عليه.. ممتاز.

بعد ساعتين..

كانت نادين تحتسي القهوة في مكتب "د. حسن".. سألته عن حالة هناء بالتفصيل، فقال لها:

- هيَّ دلوقتي كويسة؟

- كويسة ازاي .. دي بتتألم أوي.

ابتسم وهو يطمئنها:

- أكيد لازم تتألم.. مش خارجة من عملية قيصرية.. بس بالنسبة لنا هي كده بخير العملية تمام وفاقت واتكلمت الحمدلله.

- الحمدلله.. والبيبي؟؟

- هو حاليًا في الحضَّانة.. بس مقدرش أأكد هيعيش ولا لأ.

- يارب يعيش.. لو حصل حاجة هحس بالذنب.

- ليه؟؟ذنبك ايه؟

- الفترة اللي فاتت كنت بشتغل كتير وهي معايا دايمًا.. يعني انا السبب في تعبها ده كله.

- هوِّني على نفسك.. ده كل شيء نصيب.. ياما ناس بتولد في التاسع وبتكون مرتاحة ومبيحصلش نصيب وياما ناس بتولد بدري عن معادها والطفل بيعيش.

- ربنا يستر.

نهضت نادين لتعود لهناء مرة أخرى قائلة:

- ميرسي يادكتور.

نهض بدوره هو الآخر.. اتجه خلفها لباب المكتب، وقبل أن تخرج.. بادرها قائلًا:

- هطَّمئن عليها بالليل إن شاءالله.

سكت قليلًا وسألها:

- هتكوني موجودة؟

ردَّت بتلقائية:

- أكيد.

مدَّ يده يصافحها:

- يبقى اشوفك بالليل إن شاءالله.

مدت يديها صافحته.

لم تستطع الرد.. فقد تجمعت كل أحاسيس الدفء والأمان في لمسة يده ليدها، رفعت عينيها لعينيه.. وجدت بريقًا جذبها في هوّة عميقة فصلتها عن الزمان

والمكان.. حديثٌ صامت دار بينهما.. لا يسُمَع بالأذن.. فقط القلوب هي من تستطيع فك شفرته.

تنهدت نادين بعدما أفاقت من ذكرياتها، أكملت الفيلم وهي تتذكَّر كيف تطوَّر الحب بينهما بسرعة، وفي وقت قليل نسبيًا.. وبعد الانتهاء من الفيلم صارحها حسن برغبته في الزواج منها.. ولكن.. شرط أن تكون زوجة فقط.. زوجته وحبيبته ورفيقة دربه، وأن تترك الشهرة والأضواء والفن ليستطيعا تكوين أسرة مستقرة.

أخذت وقتًا في التفكير كما طلب منها حسن ووعدها أنها لن تندم أبدًا إذا اختارته.

عانت ليالٍ طويلة من صراع ين حبين؛ حبها لحسْن وحبها للفن.. قررت أن تختار الفن.. ومع أول أيام الفراق انهارت قوتها في المقاومة واتصلت بحسن وأخبرته باختيارها له.

ونفَّذ حسن وعده بأنها لن تندم.. فبعد عام من الزواج وبعد أن كُلِّلت سعادتهما بوجود لميس في حياتهما، وجدت أن السعادة تتمثل في بيتها وزوجها وابنتهما

كان نعم الزوج المحب المتفاني في إسعاد زوجته وابنته. لكن.. الثلاث سنوات الأخيرة...

* * *

وصلَ حسن بعد أقل من ساعة لمركز الولادة الذي يمتلكه، يحتل المركز الدور الأول علوي كاملًا في برج سكني، يحتوى على غرفتي عمليات وغرف متعددة للحالات، بالإضافة لغرفة كبيرة إدارية تشمل الحسابات وشئون العاملين.. غير عيادته الملحق بها غرفة انتظار وعيادة أخرى لـ «منى» مُلحَق بها غرفة انتظار،

وغرفة استراحة الممرضات، وكافتيريا صغيرة ملحقة بمطبخ كبير. كان في انتظاره زوج الحالة التي فاجأها المخاض.. بعد توقيع الكشف عليها طمأن أهلها: "متقلقوش.. لسه قُدَّامها شوية.. أنا ف مكتبي وهجيلها كل نص ساعة".

وأمرَ الممرضة الموجودة برفقته:"خليكي متابعاها لو لقيتها قربت ناديلي".

دخل مكتبه، وقف أمام المكتبة.. أخذ كتابًا وجلس على المكتب.. نظر نظرة خاطفة لصورته مع نادين ولميس، فتح الكتاب الذي بين يديه، وبعد قراءته لأول صفحة، سمع طرقات الباب، وفُتِح الباب، ودخلت دكتورة منى ابنة خالته وزميلته في المركز:

- صباح الخير ياحسن.

- منى!! صباح النور.. ايه اللي جابك بدري كده.

جلست أمامه وأرادت أن تغير مسار الحديث فسألتْه:

- إنت مروَّحتش من امبارح؟

- لا روَّحت وجيت من شوية.

- فطِرت؟

- لأ لسه.

- طيب، أنا هقوم اجيب حاجة من الكافتيريا.

خرجت منى من المكتب.. وحسن يتابعها بعينيه. غابت خمس دقائق وعادت مرة أخرى:

- ثواني ويجيبولنا ساندويتشات وشاي.

نظر لها حسن في عينيها.. وجدهما ذابلتين.

- مالِك يا منى.

غصبت ابتسامة وهي تجيبه:

- مفيش حاجة.

دقَّق النظر في عينيها:

- مش عليا يا منى.. مالِك؟

اغرورقت عيناها بالدموع وفشلت في كتمان ما يحمله قلبها:

- أنا خلاص تعبت يا حسن.. حتى بيتي مش عارفة ارتاح فيه.. إنت عارف أنا جايَّة بدري ليه؟

- ليه؟

- عشان انام شوية.. سايبة بيتي وجاية انام على سرير مستشفى عشان مش لاقية راحتي ف بيتي.

- حماتك برضه؟

- أيوة.. بقت لا تطاق بجد.

- ايه الجديد.

- الجديد ان قُعَادها عندى بقى أمر واقع وبتتحكم في البيت كأنه بيتها.

- وأسامة؟

- كل ما اكلمه يقولّي امي ومقدرش اسيبها بعد ما اختي سافرت لجوزها.

- تحبي اكلمه؟

- زي قِلّته يا حسن.. هيرد عليك بنفس الكلام.

أخرج حسن مفتاحًا صغيرًا من درج مكتبه.. ناوله لمنى:

- ده مفتاح المكتب.. لما نخلَّص فطار هروح أمرّ على الحالات واقفلي على نفسك ونامي هنا.. السرير هنا مُريح مش هيتعبك.

تناولته منى وابتسمت له شاكرة.

قاطعهما عامل الكافتيريا الذي أحضر الإفطار، تركه على طاولة صغيرة وخرج.

تناولا إفطارهما معًا.. كانت منى تتناول الطعام بحزنٍ وهي شاردة، بينما يتابعها حسن بقلبٍ يرق لحالها.

قاطعهما دخول الممرضة:

- دكتور حسن.. المدام خلاص الطلق زاد عليها أوي.

- دكتور مختار جه ولا لسه؟

- لسه.

انفعل حسن وأكمل بصوت مرتفع:

- ازاي لسه مجاش لحد دلوقتي.. أنا مكلمه من قبل ما اجي.

ارتبكت الممرضة ولم تجد ردًّا.

سألته منى:

- هيَّ مش هتولد طبيعي.. عايز مختار في ايه؟

- عايزُه أو مش عايزُه.. كلمته يبقى ييجي مش يتأخر كده.. افرضي كانت هتولد قيصري ميبقاش دكتور التخدير موجود.

أمسك حسن تليفونه، وأجرى اتصالًا بمختار ومنى والممرضة ترقبان ثورة حسن على مختار.. يزفر حسن زفرة حادة قائلًا: "كنسل عليا".

يسمع صوت مختار قريبًا.. يدخل المكتب:

- كنسلت عشان وصلت.. أنا تحت أمرك يا دكتور.

- خليك جاهز يمكن احتاجلك.

تركه حسن في المكتب مع منى.. وخرج مع الممرضة ليلحق حالته.

* * *



- 2 -

كانت نادين مازالت مستيقظة عندما شعرت بدخول أم خالد بهدوء..

أم خالد تمشي على أطراف أصابعها في الغرفة، حدثتها نادين بدون أن تتحرك:

- عايزة حاجة يا أم خالد؟

انتفضت أم خالد وبحركة لا إرادية، فتحت صدر ثوبها وبصقت به:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. إنتي صاحية يا مدام.

اعتدلت نادين جالسة:

- اه صاحية من بدري.. من ساعة ما الدكتور نزل.

- طيب هروح احضرلّك الفطار.

- لأ مش دلوقتي.. الدكتور زمانه جاي هبقى افطر معاه.. كنتي جاية عايزة حاجة؟

- آه.. كنت جاية اخد الغسيل.

- بدري كده؟

- عشان الحق اليوم من أوله.

نهضت نادين من فراشها بعدما جفاها النوم تمامًا:

- أنا هقوم اخد شاور.

ردت أم خالد وهي تأخذ بعض الملابس المُعلَّقة على الشمَّاعة:

- مدام نادين.. لميس لسه صاحية طول الليل مانامتش.. مش كويس عليها كده.

لم تجد نادين كلمات ترد بها على أم خالد.. فهي رغم تدخلها بعض الأحيان فيما يخص لميس إلا أنها طيبة القلب وتحبهم حقًا وتعتبر لميس ابنة لها.. فهي معهم منذ سنوات لميس الأولى، وقامت بخدمتها وتربيتها يدًا بيد مع نادين؛ لذلك تغفر لها نادين تلك التدخلات التي لا تقبلها من أي شخصٍ آخر مهما كان قريبًا منها.

* * *

أنهت نادين حمَّامها.. جلست تتزين أمام مرآتها بعدْما انتقت زيًّا نهاريًا ترتديه لأول مرة؛ متمنية أن ينال إعجاب حسن.

أثناء تصفيف شعرها، كانت تتخيل لحظة قدومه للمنزل، تتخيلها بشوق ولهفة كموعدهما الأول.. تُحدِّث نفسها: "من قال إن الحب ينتهي بعد الزواج من المؤكد أنه لم يحب حقًا.. فالحب مازال في أوج اشتعاله ولم يفتر بمرور السنوات.

انتهت من جلستها أمام المرآة.. وجدت الساعة اقتربت من التاسعة صباحًا، ذهبت لغرفة لميس.. وجدتها مازالت مستيقظة.

- صباح الخير.. انتي لسه قاعدة كده من امبارح؟

- صباح النور يا مامي.. أيوة مش جاي لي نوم.

- كفاية كده ونامي شوية.. تحت عنيكي هيسوَّد من كُتر السهر.

- حاضر.. بس مقلتليش اتفقتي مع بابي هنسافر إمتى.

- بابي مقالش معاد محدد.

- لو استنيناه مش هنروح ف حتة.

- أنا قبل كده وعدتك وموفيتش بوعدي؟

- لأ.

- خلاص.. هنسافر زي ما انتي عايزة إن شاءالله بس نشوف بابي فاضي إمتى.

- أوك.

اقتربت منها نادين، وأخذت الـ "آي باد" وقبَّلتها من وجنتيها، وتركتها لتنام.

*** * ***

أخذت نادين تليفونها لتتصل بحسن.. وجدت تليفونه مغلقًا.. ذهبت للتليفون الأرضي واتصلت على مكتب حسن.

بعد انتظار نادين لحظات رنين الهاتف، أتاها صوت أنثوي متكاسل، نظرت مجددًا لشاشة التليفون الأرضي لتتأكد من الرقم المطلوب.. لم تخطئه وهو بالفعل الرقم المباشر لمكتب حسن.. تجدد الرد مرة أخرى.. نفس الصوت الناعم الناعس، حاولت أن ترد تسألها من هي وكيف أتتها الجرأة لترد على تليفون زوجها، اختنق صوتها ووقف الكلام في حلقها.. انقطع الخط.. أغلقته المرأة الأخرى..

في لحظات.. قررت نادين أن تذهب فورًا لحسن.. لابد أن يعرف أنها اكتشفت خيانته.. حين تفاجئه متلبِّسًا بالجُرم المشهود.

*** * ***

وصلت نادين أمام البرج الذي يوجد به مركز شاهين للولادة، صعدت بسرعة حتى تستطيع أن تلحق بالمرأة الموجودة مع زوجها قبل أن تغادر.. عندما وصلت المركز، لم تلتفت لموظفة الاستقبال أو لأي من الممرضات ممن كن يرحبن بها، بل اتجهت بسرعة ومباشرة لمكتب حسن.

فتحت باب المكتب.. لم يُفتَح معها.. تأكدت أنه مغلق من الداخل..

ظلت تطرق على الباب بعنف وهي تنادي: "افتح يا حسن.. حسن.. افتح".

سمعت صوت ولوج المفتاح في الباب.. وانفتح الباب ووجدت منى أمامها

سألتها منى بفزع:

- مالك يا نادين؟؟ في ايه؟؟

دخلت نادين وهي تبحث حولها:

- حسن فين؟

- مش عارفة يا إما بيمر على الحالات يا غما معاه ولادة.. مالِك؟؟ لميس كويسة؟

جلست نادين على أقرب كرسي.. جلست لتستريح من ثقل شكها.. تنفست الصعداء عندما أدركت أن في الأمر لَبسًا ما، وبكل توتر سألتها منى:

- مالك يا نادين؟؟ طمنيني ايه اللي جابك تجري كده؟؟ لميس بخير؟

ردت نادين وهي تحاول أن تضبط أنفاسها:

- بخير يامنى.. الحمدلله.

كانت تحمدالله أن شكوكها لم تكن في محلها.. طوال الطريق وترتسم في مخيلتها مشاهد سيئة تتوقع مشاهدتها.. وبالتالي كانت تحاول أن تحضر رد فعل مناسب لكل مشهد تتخيله.

لاحظت منى صمتها وشرودها.. جلست أمامها صامتة بعد أن توقعت أنه ربما سبب وجودها هنا سرًا ما بينها وبين حسن ليس من حقها السؤال عنه، بادرتها نادين:

- انتي بتعملي ايه هنا بدري كده يامنى؟.. انتي كنتي بايتة هنا؟

ردت منى بنبرة حزينة:

- لأ.. جيت أول ما النهار طلع.

- ليه كده؟

سمعا صوت حسن في الردهة يقترب حتى وصل لباب المكتب، فوجئ بوجود نادين:

- نادين!! مالك؟؟ ايه اللي جابك؟

ترددت نادين في محاولة للبحث السريع عن إجابة ما.. ابتسمت:

- عادي يا حسن.. قلت اعملك مفاجأة.

- مفاجأة؟؟!! الساعة 9ونص الصبح؟

نهضت منى من مكانها:

- طيب هستأذن انا.. هبقى اكلمك يانادين.

سألها حسن:

- رايحة فين؟؟ انتي لحقتي تنامي؟

- هروح انام في أي حتة يا حسن متشيلش هم.

نهض حسن واستوقف منى وهو يخلع البالطو الأبيض:

- لا خليكي هنا يامنى وانا هنزل مع نادين شوية.

تبعته نادين صامتة أثناء خروجهما من المركز وأثناء ركوبهما سيارة حسن، نظر لها حسن نظرة جانبية أثناء قيادته السيارة.. تجاهلتها نادين، أعاد النظر للطريق أمامه وهو يسألها:

- شكلك زعلانة من حاجة؟

ردت بسرعة:

- لا أبدًا يا حبيبي.

- أكيد فيه سبب انك جيتي الصبح بدري كده.. فيه حاجة عايزة تقوليها؟

ولمعت فكرة في رأس نادين.. فسألته ببراءة مصطنعة:

- أصل لميس كانت بتسأل هنروح مارينا إمتى، وانا جيت اشوف هتبقى فاضي إمتى؟

ضحك حسن.. تعجبت نادين من سبب ضحكته.

- بتضحك على ايه يا حسن؟

- كل ده عشان السفر.. قولي بقى اني وحشتك وجيتي تشوفيني.

- أيوة.. انت وعدتني انك هتيجي تفطر معايا وانا فضلت قاعدة استناك ومسألتش فيا.

- كانت ف إيدي حالة ولادة يا نادين.

- ما انا مكنتش اعرف وخصوصًا ان تليفونك كان مقفول... بُص يا حسن بصراحة بقى أنا اتصلت بيك ع المكتب واتجننت لما سمعت صوت واحدة ست بترد على تليفونك.

- ست؟؟ منى يعنى؟

- ما أنا مفسرتش انها منى.. صوتها كان نايم كده وانا كنت هموت م الغيرة.

وبنبرة حادة سألها متأكدًا:

- شكيتي فيا؟

ردت وهي تصحح مفهومه:

- دي غيرة مش شك.

أجابها بنفس النبرة الحادة:

- لما تيجى تجرى يا نادين عشان تقفشيني متلبس - من وجهة نظرك- تبقي شكيتي فيا.. أنا عمرى حصل منى حاجة تثير شكك؟؟

صمتت نادين.. وانحدرت من عينيها دموع صامتة لم يلحظها حسن وسألها مكررا:

- حصل منِّي حاجة تشكِّك فيًّا يا نادين؟

نظر لها ليواجهها، وجد دموعها ونظرتها الحزينة.

- للدرجة دي زعلانة؟ المفروض انا اللي ازعل.

- أنا مش زعلانة منك يا حسن.. وانا أسفة لو كنت زعلتك.. بس انا جوايا كتير وساكتة.

امتدت يده اليمنى احتضنت يدها اليسرى.. قربها من شفتيه.. لثمها برِقَّة.. وبنبرة حانية:

- خلاااص.. امسحي دموعك وهنقعد مع بعض وهسمع كل اللي جواكي ومضايقك كده.

* * *

على طاولة تطل على حمَّام سباحة في أحد الفنادق الكبرى، يرشف حسن من فنجان قهوته.. ينتظر سماع نادين.. أما نادين فكانت تبحث عن كلمات افتتاحية تمهد لها حديثًا ثقيلًا على قلبها.. تخشى من أن يُغضِب حسن..

لا تخشى ثورته فهي تعلم تمامًا أن الأمر يختلف معها عن عصبيته مع أي شخص غيرها.. فأقصى ثورة يصل إليها هي ارتفاع صوته قليلًا ولم تحدث تلك الثورة مطلقًا خارج منزلهما.

جل ما تخشاه أن يغضب ويكتم غضبه داخله ويتجنبها وهذا ما لا تطيقه.

تحدَّث حسن قائلًا:

- ايه يا نادين.. هتفضلي ساكتة كتير؟

- خايفة تزعل من كلامي.

- لا مش هزعل.. المهم متكونيش انتي زعلانة.

- مش ملاحظ اننا بعدنا أوي عن بعض.

- إحنا!!!

- أيوة يا حسن.. انت بتقعد معايا؟

- وانا قاعد مع مين دلوقتي؟

- لولا اني جيتلك مكناش قعدنا مع بعض.. آخر مرة قعدت مع بنتك إمتى؟

- ما انتي عارفة يا نادين ان اللي شاغلنى عنكم هوَّ شغلي.

- طيب واحنا؟

- انتوا روحي ومقدرش استغنى عنكم.. بس شغلي هو مستقبلي ومستقبلكم .. أنا لما بتعب واشتغل ده عشان مين؟

- بس وجودك معانا مهم.. أنا مش عارفة آخر 3 سنين البُعد بيننا زاد أوي كده ليه؟

- مش عارفة؟؟!!.. لأ انتي عارفة كويس وانا مبعملش حاجة من وراكي.

- إيه السبب؟

- السبب اني كنت بواصل الليل والنهار عشان جنب الشغل كنت بجهز للمركز وبشتغل زيادة عشان انتوا والبيت متتأثروش بالأزمة اللي كنت فيها.. كنت محتاج فلوس اكمل بيها شِرا الأجهزة اللي ناقصاني ده غير ان العيادة مكنش ينفع اسيبها.. كل ده مش سبب يخليني بلف حوالين نفسي؟! واظن انتي كنتي عارفة انا بعمل إيه خطوة بخطوة وشايفة انا بتعب ازاي.

- أنا عارفة كل ده.. وخلاص الحمدلله المركز خلص والأمور استقرت.. في إيه بقى؟

- المركز خلص الحمدلله واسمه بقى كبير وبكده زاد الشغل عليا أكتر واكتر.. وبعدين يا نادين كل ده عشان مين.. عشان عمرك ما تحسي انك أقل من أي حد حواليكي.. عشان عمرك ما تحسي اني حارمك أو حارم بنتي من حاجة.. أنا بعمل كل ده علشانكم.

- بس انا بتكلم في إحساس يا حسن.. إحساسي انك بعيد عنِّي أنا ولميس تاعبني.. أنا مخنوقة أوي.

- زي ما انا بتعب وبستحمل تعب الشغل.. إنتي كمان لازم تستحملي انشغالي عنكم.

- زهقت.. أنا مبعملش أي حاجة واليوم طويل عليا.

- محسساني اني حابسك في البيت.

- الفراغ يا حسن.. الفراغ اللي انا فيه خنقني.

- اشغلي فراغك.. عندك النت وعندك الكتب في المكتبة ولو عايزة تشتركي في أي نشاط خيري معنديش مانع.

- وانت.. مش هتحاول خالص تدينا شوية من وقتك؟

- أنا هحاول.. بس انتي عارفة ان وقتي مش ملكي لوحدي.. أنا ببقى نايم وتليفون بينزلني اجري.

- عندك منى.. أو جيب دكتورين تلاتة يشيلوا عنك الشغل شوية.

- يعني واحدة بتتابع معايا حمل 9 شهور اجي ساعة الولادة أقولها معلش أصل عايز انام روحي لدكتور تاني.

- متتريقش عليا يا حسن.

- مش بتريق بس بعرفك إن الحامل بتكون عايزة الدكتور اللي هي مطّمنة له وعارف كل حاجة عن حَملها مش دكتور لسه بتشوفه لأول مرة.

- والحل؟

- أنا أي وقت فاضي فيه يبقى ملككم انتم.. غصب عنِّي يا نادين.

صمتت نادين بعدما شعرت أن الكلام لا جدوى منه، ولا يوجد حلول فحسن معذور وعقلها مقتنع تمام الاقتناع بكلامه.. أما مشاعرها كزوجة تريد زوجها، لا علاقة لها بما اقتنعت به.

ساد الصمت بينهما.. اقتربت سيدة تبدو في الثلاثينات منهما على استحياء

بدأت السيدة كلامها:

- صباح الخير.. مدام نادين؟؟

ابتسمت نادين ابتسامة مرتعشة وهي تهز رأسها إيجابًا وتنظر لحسن الذي رأته يشيح بنظره عنها ويتجاهل الموقف.

أردفت السيدة التي لم تلحَظ نظرات نادين لحسن:

- أنا مبسوطة أوي اني شفتك النهاردة.. أنا وجوزي بنحبك أوي.. كل فيلم ليكي كان بينزل لينا معاه ذكريات من أيام خطوبتنا.. مش هترجعي تاني؟؟

ردت نادين وهي تختلس نظرة سريعة لحسن الذي عقد حاجبيه استياءً:

- ميرسي أوي.. بس الحقيقة أنا اتفرغت تمامًا لبيتي.

علقت السيدة وهي تصافح نادين:

- خسارة.. بس المهم انك مبسوطة.. أسفة لإزعاجك.. بعد إذنك.

انسحبت السيدة بعد أن تركت صمتًا يحمل صخبًا يدور في رأس كل من نادين وحسن.. حسن وعلى مدى السنوات مازال يضيق بمن يقتحم خلوتهما حتى وإن كان للحظات بسيطة.. أما نادين فتلك اللحظات كانت تسعدها كثيرًا ولكنها تتألم من رد فعل حسن.

تجاهَل كل منهما الموقف.. نظر حسن لساعته:

- يالا عشان ورايا شغل.. هوصَّلك البيت ولَّا تيجي معايا المركز وترجعي بعربيتك؟

* * *

- 3 -

جلس أسامة على السفرة بينما كانت والدته تحضِّر له الإفطار.. لم يستطع أن يرفض طلب والدته أن يشاركها إفطارها قبل أن تأخذ دواءها.. جلس مقررًا أن يشاركها الطعام؛ إرضاءً لها فقط. أما هو فلا شهية لديه كما لم يستطع النوم من بعد مغادرة منى للمنزل.

لم تتطرق مشاكلهما يومًا لهذا الحد منذ زواجهما.. يعترف بينه وبين نفسه أنه فقد أعصابه وأنه لم يقصد المعنى الحرفي للكلمة عندما رد عليها منفعلًا: "أمي عندي قبل الناس كلها حتى انتي.. ده بيتي وبالتالي يبقى بيتها.. لو مش عاجبك مع السلامة".

سمع خطوات والدته تقترب.. جلست وبدأت حديثها وهي تناوله الشاي:

- افطر يا حبيبي انت بتتعب وبتيجي متأخر.. هي فاكرة لما تنزل كده مش هتلاقي حد يعملَّك حاجتك.. ده انا عنيا ليك.

- شكرًا يا ماما .. متتعبيش نفسك في حاجة في البيت.

ردَّت وهي تنظر حولها متأففة:

- مبتعبش أنا مش التنظيم.. بقى بذمتك مش ترتيب البيت كده أحلى ما كانت مراتك عاملاه.

- كويس.. كله كويس.

- كويس ايه.. ده انا الناس كلها بتحلف بترتيبي للعفش.. ده انا مكنش بيعدِّي سنة من غير ما ادور البيت واخليه زي الجديد.. انت من ساعة ما اتجوزت وكل حاجة ف مكانها.. إيه مبتزهقوش.

- عادي يا ماما.

- عادي يا ماما!! إنت هتعمل زي مراتك وبدل ما تقولِّي شكرا تقولي شيلتي الحاجة من مكانها ليه.. الحق عليا اللي فاكرة ان ابني هينصفني مش ينصف مراته عليا.. أنا اللي تعبت وربيت ابقى زي الغريبة.

أسامة يقدِّر تمامًا تضحية والدته الأرملة التي توفى زوجها في شبابها وأفنت شبابها وحياتها في تربية أبنائها "أسامة، وأماني". منذ تفتحت عيناه على حقائق الحياة وهو قطع عهدًا على نفسه بأن يعوضها جزاء تضحيتها بكل ما في وسعه. اجتهد في دراسته ليرضيها ويسعدها، ابتعد عن أي صديق له لم تحبه والدته.. فقط إرضاءً لها.. سمع كثيرًا من ينعتونه بأنه "ابن امه".

لم تؤثر به مطلقًا تلك الكلمة أو تؤثر على علاقته بوالدته

فكل ما يفعله يقوم به برضا واقتناع تام غير مُجبر من والدته، كل ما هنالك أنه يحب والدته ويحب إسعادها ويعتبر نفسه المسئول الأول عنها.. غير مبالي بما قد يقال أو يُفسَّر.

مدَّ يديه ربت على يديها:

- تسلم إيدك طبعا وأكيد البيت كده أحلى.. بس انا مش عايزك تتعِبي نفسك.

- ولّا عشان مراتك مش عاجبها؟

- لأ طبعًا علشانك انتي.

- ربنا يخليك ليا يا ابن عمري ويحنن قلبك كمان وكمان.

نهض أسامة من مكانه:

- أنا نازل.. عايزة حاجة اجيبها وانا جاي؟

- إنت مكلتش حاجة.

ردَّ كاذبًا:

- لأ أكلت وانتي بتعملي الشاي.

تبعته حتى باب المنزل.. وقبل أن يغادر سألته:

- هيَّ مراتك راحت فين بدري كده.

- معرفش مكلمتهاش.

- يعني ايه متعرفش.. هتروح فين وهيَّ لا ليها أم ولا اخوات.

- يمكن راحت المركز.

ردت مكررة كلماته بسخرية:

- رااااحت المركز.. آآآآه.. طيب.

- أصل هتروح فين يعني.

- انا اعرف بقى.. بقولك إيه.. خلى بالك.. انا مش عارفة انت ازاي سايبها كده.

- كده اللي هوَّ ازاي؟

- من ساعة ماجيت وانا شايفاك لا بتسألها رايحة فين ولا جاية منين.. بتيجى متأخر وتنزل أي وقت هي عايزاه وانت عادي كده.

- شغلها ياماما.

- وانت جوزها يا أسامة.. جوزها اللي أهم من شغلها ده لو كل الوقت في شغلها فعلا.

سأل والدته بشك:

- تقصدى ايه؟

أشاحت بيديها وهي تتظاهر بعدم الاهتمام:

- أنا مالي.. لا اقصد ولا مقصدش.. انت مش صغير.

خرج أسامة وهو يفكر في كلام والدته.. على مدى خمس سنوات سابقة هي مدة زواجه لم يسأل متى قَط عن موعد رجوعها أو وجهتها.. تردد صوت بداخله"ما انت مكنتش بتسألها عشان هي طول عمرها بتسبق وتقولك على كل تحركاتها من غير ما انت تسأل".

أدار محرك السيارة.. لم يَدُر معه، جرب مرة أخرى بدون جدوى، نظر في ساعته وجد أنه قد يتأخر على عمله.

نزل من السيارة وأغلقها.. ووقف ينتظر تاكسي وهو يردد بينه وبين نفسه:

"هلاقيها منين ولا منين.. ومتى دي كمان ايه حكايتها وكلام ماما ده تقصد بيه ايه.. تكون شاكة في حاجة ومش عايزة تقولِّي".

* * *

دخلت والدة أسامة المطبخ.. رتبته وأخرجت ما تنوي طهيه للغداء، ذهبت لباب الشقة.. أغلقته بالترباس، ثم دخلت حجرة نوم منى.. وقفت برهه على الباب تنظر حولها لكل مكونات الغرفة من أثاث. جلست على أحد طرفي السرير في الجهة التي تنام بها منى، بدأت في تفتيش أدراج "الكومودينو" باهتمام بالغ، لم تجد ما يثير الاهتمام.. نهضت متجهه لدولاب منى. ظلت تفتش ماظهر منه وما بطن ولم تترك أي جزء حتى بين طيات الملابس فتشت فيه، كانت تبحث عن هدفٍ محدد.. لم تعر انتباها لأية أوراق أو نقود أو ألبومات وجدتها أثناء بحثها، كان هدفها محددًا للغاية.. هي تبحث عن مقصدها فقط.. بين كل أغراض منى لم تجد هدفها.

جلست برهة تفكر.. ثم حسمت قرارها بإعادة البحث، ولكن هذه المرة في أغراض أسامة. بدأت بـ "الكومودينو" كما فعلت منذ قليل ولم تجد شيئًا.. ذهبت للدولاب وبدأت البحث بين أرفف ملابس أسامة.

في الرف الأخير وقبل أن تنتهي، وجدت في آخره وتحت محتوياته شريط أقراص،

شعرت أنها وجدت ضالتها المنشود بالرغم أنها قلبت الشريط بيديها ولم تفهم منه شيئًا.

ابتسمت بانتصار ورددت بينها وبين نفسها:" أنا كنت حاسة.. ياعيني عليك يا بني وكمان مخبياه ف حاجتك .. أه منك يا منى يا مكَّارة.. صحيح ياما تحت الساهي دواهي".

أخذت شريط الأقراص معها في المطبخ.. وضعته فوق الثلاجة وبدأت في طهي الطعام وانتظار أسامة.

* * *

قبل المغرب بقليل.. عادت منى منهكة كل آمالها أن تلقي نفسها على سريرها وتذهب في سبات عميق لا تفيق منه إلا بعد أيام. شعرت بالجوع عندما شمت رائحة الطعام الشهي الآتية من المطبخ.

لحظات فتحها للباب وإغلاقه تمنت أن تنهي طعامها سريعًا وتذهب فورًا للنوم. تلفتت على صوت التليفزيون ووجدت حماتها تجلس تشاهد أحد المسلسلات.. ألقت التحية ولم تسمع ردها.

دخلت حجرتها.. كل شيء كما هو.. بدَّلت ملابسها بأكثر ملابس بيتها راحة..

كم تشتاق للراحة.. طيلة الفترة الصباحية في المركز تتنقل من سرير لآخر لتنعم بالنوم، ولكنها لم تقتنص سوى نوم متقطع يثير أعصابها أكثر مما كانت، حتى دبت الحركة وازداد العمل وبدأت الانهماك في العمل وأصبح لا مجال للراحة.

انتهت من أخذ حمامها.. ذهبت للمطبخ، وقفت أمام البوتاجاز، رفعت غطاء إحدى الحلل، انتفضت على صوت حماتها خلفها تسألها:

- بتعملي إيه؟

وقبل أن تبتلع منى لعابها أردفت حماتها قائلة:

- انتي مقلتيش انك جاية ع الغداء فمعملتش حسابك.. مفيش غير غداء أسامة.

شعرت منى بسخونة الدم في وجنتيها من الإحراج، آخر ما كانت تتوقعه أن تتعرض لمثل هذا الموقف.. في بيتها.

تظاهرت بالتماسك..

- أنا اتغديت خلاص .. أنا كنت بشوف لو حاجة عايزة تتحط في التلاجة قبل ما انام.

- انتي هتنامي؟

- أيوة.. هو أسامة فين؟

- لسه مجاش م الشغل.

- غريبة!

- ليه.؟

- أصل عربيِّته راكنة تحت.

وردت والدته مذعورة:

- ايه؟؟ عربيته تحت وساكتة؟

خرجت مسرعة من المطبخ بينما منى تتعجب من رد فعلها المبالغ فيه. تبعتها منى بهدوء.. وجدتها تتصل بلهفة.. استنتجت أنها تتصل بأسامة

وبالفعل بعد قليل سمعتها:

- أيوة يا أسامة.. إنت فين يا حبيبي؟؟ طيب أصل اتخضيت.. أه الغدا جاهز هسخَّن لك حالًا.. مع السلامة.

أغلقت الخط وعادت إلى المطبخ متجاهلة وجود منى، سألتها منى وهي تمر بمحاذاتها:

- هو فين؟

- طالع اهو.

- كان فين؟

- في الشغل؟

- كان في الشغل وبعدين جه ؟.. ولما ساب العربية راح فين؟

- العربية كانت عطلانة ومخدهاش.

- طيب.. بعد إذنك.

دخلت منى غرفتها.. ألقت نفسها على سريرها، وسمحت للدموع التي خنقتها بأن تتحرر من عينيها.

سمعتْ صوت باب الشقة يُفتَح ويُغلَق، وصوت أسامة ووالدته.. حتى اقترب أسامة من باب غرفة النوم. فتح الباب ودخل وأغلقه خلفه.. وبدون أن يلقي عليها التحية، سألها مباشرة:

- كنتي فين طول اليوم يامنى؟

ردَّت دون أن تلتفت له ومازالت دموعها تنحدر:

- في الشغل.

- من الصبح بدري في الشغل.

- أيوة.. ومش قادرة اعاتب ولا اتكلم في اللي حصل يا أسامة.. أنا تعبانة وعايزة انام.

شعر بصوتها مرهقًا.. لم يكن سوى صوت مختنق بالدموع ولكنه لم يلحظه.

بدَّل أسامة ملابسه وخرج من الغرفة بهدوء.

*** * ***

جلست والدة أسامة معه أثناء تناوله الطعام، كانت مترددة بعض الشيء.. فبادرها بالسؤال:

- مالك يا ماما.. عايزة تقولي حاجة؟

ترددت.. ثم أجابت:

- أيوة يا أسامة.. أنا من زمان شاكة بس اتأكدت.

كاد أن يقف الطعام بحلقه.. فقد ربط بين كلامها صباحًا وكلامها الآن

ماذا تقصد؟؟ وماهي تلك الشكوك؟؟حبه لمنى مازال كما هو، وثقته بها أيضًا

ماذا لو كانت الاستنتاجات حقيقة؟

ازدرد طعامه بصعوبة.. وتناول قليلًا من الماء، وبصوت يخشى أن تتحول أفكاره حقيقة:

- اتأكدتي من ايه؟ وازاي؟

مالت والدته عليه قليلًا.. وهمست له:

- مراتك مش مُريحة.. مفيش ست تفضل متجوزة 5 سنين ومحبلتش وهيَّ كمان دكتورة نساء.

اطمأن أسامة أن استنتاجه مجرد هاجس ووسوسة شيطان، ابتسم لوالدته مطمئِنًا لها وأكمل طعامه:

- كل شيء نصيب ياماما.. هي دكتورة آه بس الحمل ده بتاع ربنا.

أعادت كلامها مرة أخرى بنفس اللهجة التحذيرية:

- أنا اتأكدت انها قاصدة متخلفش منك.. وانا هثبتلك.

نهضت من مكانها.. دخلت المطبخ وعادت بعد دقائق بشريط الأقراص ومدت يديها به لأسامة:

- أهو.. بتاخد حاجة تمنع الحمل من وراك.

بمجرد أن وقع نظر أسامة على الأقراص.. هبَّ واقفًا وهو يأخذهم منها:

- إيه ده.. لقيتي ده فين؟

ذعرت الأم من لهجة ابنها الحادة.. أسامة العصبي مع كل الناس كان يضبط أعصابه عندما يتعلق الأمر بوالدته.. ماذا حدث اليوم ليتبدل حاله؟!

ردَّت باستغراب في نفس الوقت الذي جاءت منى جريًا على صوته.

الأم: انت بتزعقلي؟!

منى: فيه ايه؟

صاح أسامة وهو يلقي بالأقراص على الأرض:

- جبتي ده منين؟؟ بتعملي فيا كده ليه؟!

ردت والدته وهي تبكي:

- بتحاميلها عشان معرفش الحقيقة.. بتعمل كده في امك يا أسامة.. يا خسارة تعبي وشقايا وشبابي اللي ضحيت بيه علشانك انت واختك.

لم يرد أسامة وقبل أن تكمل حديثها كان دخل حجرته وبدَّل ملابسه في سرعة البرق.

أما منى فبعد أن وقعت عيناها على الأقراص.. وكل ما يمر حولها بسرعة في ظِل إرهاقها يجعلها تأخذ وقتًا لاستيعاب ما يحدث حولها. بعد أن تناولت الأقراص من على الأرض، وجدت أسامة يخرج مندفعًا من غرفة النوم حتى الباب.

لحقته منى وهي تنادي عليه متلهفة:

- استنى يا أسامة.. استنى عايزاك.

لم تفلح كلماتها في استيقافه.. بينما كانت والدته صوتها يعلو من الغرفة وهي تبكي وتندب حظها العاثر بابنها الذي ثار لزوجته وأغضب والدته.

ذهبت منى لمحاولة تهدئتها.. وجدتها حزمت حقيبة ملابسها.

- أنا هبعت البواب ياخد الشنطة.. مش قاعدة لكم.. بكرة هتبقي لوحدك زيي كده ومتلاقيش حد يسأل فيكي.

ردت منى بألم:

- ليه كده؟؟انا عملت ايه بس.

- قلبتي ابني عليا منك لله.. ابني عمره ما زعق في وشي كده ولا كان حتى بيرد عليا.. نزلتي الصبح ياعالم رُحتي فين وعملتي ايه رجعتي الواد اتبدِّل.

- استغفر الله العظيم يارب.. هروح فين بس أنا نزلت عشان مكبَّرش المشكلة.. اطمنى ابنك قالهالي صريحة لو اخترت هختار امي وانا مش بخيَّره بيني وبينك.. أنا معرفش الشيطان اللي دخل بيننا ده ايه.

- ااااه.. الشيطان.. طيب ياختي الشيطان اللي تقصديه سايبلك البيت.

ردت منى بسرعة مصححة ما لم تقصده:

- والله ما اقصد كده خالص.. أنا قصدي شيطان ساعة زعل يعني.

- بت انتي..

- بت؟؟!!

- غلطت في الست الدكتورة.. طيب يا دكتورة.. اشبعي بيه وانا غضبانة عليكم انتم الاتنين.

اتجهت والدة أسامة للباب بسرعة دون أن تنتظر ردًا. فتحت الباب وتركته وراءها مفتوحًا. جلست منى تفكر فيما حدث وما ستجره إليها الأيام التالية. بعد دقائق سمعت رنين الجرس.. نظرت للباب المفتوح وجدت البواب:

- الشنطة بتاعة الحاجة؟

شاورت له منى بأن يتقدم ويأخذها من الردهة.. غادر البواب ونهضت منى وأغلقت الباب خلفه.

دخلت غرفتها.. بحثت عن مسكن للصداع الذي تعانيه من الإرهاق وقلة النوم.. وجدت المسكن.. تناولته، ثم أخذت نفسًا عميقًا بعد أن قررت أن تتصل بأسامة لتعرف أين ذهب وتخبره بمغادرة والدته.

اتصلت.. بعد أول جرس رنين، أغلق المكالمة في وجهها وأغلق الهاتف كله

مما زاد من قلقها.. من المستقبل القريب.

* * *

- 4 -

استيقظت لميس على صوت أم خالد: "لميس.. قومى يا لميس بقينا المغرب". ردَّت لميس من تحت وسادتها:

- بتصحيني ليه.. سيبيني انام.

- بقينا المغرب قومي ربنا يهديكي.

أزاحت لميس الوسادة من على رأسها.. ونظرت لأم خالد:

- ربنا يهديني؟؟ أنا مش عارفة انتي حطاني في دماغك ليه؟

ضحكت أم خالد وهي ترتب السرير بعد أن نهضت لميس:

- وانا ليا مين غيرك دلوقتي اخلِّي بالي منه واخاف عليه.. الأول كنت ملبوخة بعيالي وشايلة همهم.. دلوقتي فضيت لك.

رجعت لها لميس مرة أخرى بعد أن كانت اقتربت من الباب:

- تصدقي.. انتي أينعم بتخنقيني بس لما كنتي بتروحي بيتك كنتي بتوحشيني واني دلوقتي مبسوطة أكتر لما بقيتي قاعدة معانا على طول.

ضمتها أم خالد ضمة حانية:

- إنتي روح قلبى يا لميس.. يا بنتي انا خايفة على صحتك.. زمان كنا بننام بدري وبنصحى بدري وبناكل أكل طبيعي كانت صحتنا كويسة.. انما انتوا زمانكم ده بالأكل اللي بتاكلوه ده بيخليكم شوية برد يرقدوكم.

- متخافيش عليا.. هدخل الحمام واعمليلي شوية "شوكوبوبس" بلبن ساقع.

- شوكوبوبس ايه.. بقولك احنا المغرب.. أنا هحضرلك الغدا تتغدي مع مامتك.

- هى ماما متغديتش لحد دلوقتي؟

- ولا باباكي اتغدى.. واتصل قال جاي فقلت اصحيكي تتغدوا انتوا التلاتة مع بعض.

- ينفع كده يعني.. هفضل ابوسك كل شوية.

قبَّلتها لميس بفرحة وأكملت:

- كويس أوووي انك صحتيني أنا عايزة بابي ضروري.

أثناء جلوس حسن ونادين ولميس على الغداء في بداية المساء، كان الإرهاق باديًا على وجه حسن وعينه تكاد تكون مغلقة، سألته نادين بقلق:

- حسن.. مالك انت مش قادر تفتَّح عينيك؟

- هموت وانام يا نادين.. تعبان أوي.

- يا حبيبي.. إنت فعلا الليلة اللي فاتت ملحقتش تنام.. اتغدى وقوم نام.

- عندي مواعيد في المركز مينفعش.

- اتأخر.. هيحصل ايه يعني.. أو حد يكشف عليهم.. منى فين؟

- منى مشيِت قبل ما امشي بشوية.. هي كمان تعبانة وقالت مش جاية النهاردة.

لميس تتابع حديثهما بهدوء وهي تتناول الطعام:

- هي منى مالها يا حسن؟

- حماتها عاملة معاها مشاكل وقلتلها اتدخل واكلم أسامة قالت لا.

- الأحسن انك متتدخلش إلا لو طلبت منك.

حسن وهو يوجه حديثه للميس:

- مالك؟؟ ساكتة ليه؟

- مستنية لما تفضى لي يابابي.

نظر حسن لنادين نظرة عتاب.. فهمتها نادين فردت على لميس وكأنها تنفي عن نفسها التهمة التي وجهها لها حسن بنظرته:

- ليه يا لميس.. بابي اهو معانا وكل ما بيكون فاضي بيبقى معانا.

- يعني هنسافر امتى؟

نظرت نادين لحسن ثم نظرت للطبق وهي تتناول منه الطعام.. بعد أن ألقت الرد بين يدي حسن .

ردَّ حسن على لميس:

- غن شاءالله قريب.

- إمتى يعني؟

- مش عارف يا لميس.. لو عايزين تسافروا انتوا سافروا.

ردّت نادين:

- مش هينفع اسيبك لوحدك.

ردَّت عليها لميس:

ليه ياامامي.. ما احنا كتير بنسافر لوحدنا.

- مش هينفع اليومين دول يا لميس.. إلا لو سافرنا كلنا مع بعض.

لميس مستاءة:

- يعني ايه.. لا عارفين نسافر مع بعض ولا انا وانتي؟

- لولو حبيبتي.. في أقرب وقت هحاول اظبط شغل المركز مع منى ونسافر.

أنهى حديثه وهو ينهض منتهيًا من طعامه، تبعته نادين، فاستوقفتها لميس:

- هتيجي معايا النادي ولا اروح لوحدي؟

- هنروح بس مش دلوقتى.. لما بابا ينزل.

- وانا لسه هستنى لما ينام ويقوم وننزل.. أنا متقفة مع وعد هنروح الساعة 8 بالكتير.

- استني شوية الدنيا مش هتطير.

تركتها ودخلت غرفتها.. وجدت حسن مازال بملابسه، جالسًا على الكنبة مسنِدًا رأسه للخلف، اقتربت منه وجدته نائمًا، لمسته بهدوء لتوقظه:

- حسن.. قوم يا حبيبي غيَّر هدومك ونام شوية.

استيقظ حسن وهو يحاول إفاقة نفسه:

- قولي لام خالد تعملي كوباية قهوة يا نادين لو سمحتي.

- مش هتنام؟

- لا.. هشرب القهوة واخد دش كده يفوَّقني والبس وانزل.

- يا حسن حرام عليك صحتك يا حبيبي.

- ما انا فعلًا مش قادر.. هحاول اخد الكشوفات المهمة واخلَّص بدري واجي انام.

- وافرض جت أي حالة مستعجلة.

- يبقى أمري لله هعمل ايه.. ربنا يستر ومتجيش أي حالات النهاردة.

- طيب انا هعملك القهوة.. أجيبهالك هنا ولا ف المكتب.

- ف المكتب.

خرجت نادين من غرفتها واتجهت للمطبخ، تبعتها ليس وحدثتها وهي تعد القهوة:

- هتنزلي معايا؟

- مش دلوقتي يا ليس.

- طيب انا افضل قاعدة اعمل ايه.. وعد كلمتني ورايحة دلوقتي.. أروح معاها؟؟

- مين هيوديها؟

- وائل اخوها هيوصلها.. أخليهم يعدوا عليا.

ردت نادين بضيق:

- طيب يا ليس.. كفاية زن بقى.

دخلت أم خالد المطبخ:

- أعمل القهوة للدكتور يا مدام؟

- لأ يا ام خالد.. أنا عملتهاله خلاص.. ليييس معاكي فلوس؟

- لأ.

- طيب روحي خدي من شنطتي.. متقلقيش بابا دلوقتي.

- ميرسي يامامي.

دخلت نادين بالقهوة مكتب حسن.. لم يكن أنهى حمَّامه بعد، وضعت القهوة على المكتب وجلست تنتظره.. دقائق ودخل حسن.. جلس على المكتب، نظرت له نادين بإشفاق وسألته:

- فوقت؟

- شوية.

- أنا عملتلك القهوة تقيلة عشان تفوقك شوية.

- تسلم إيدك يا حبيبتي.

سمعا صوت باب الشقة يُغلق.. سألها:

- حَد جاي لك؟

- لأ أكيد لميس نزلت.. راحت النادي.

- إنتي نازلة؟

- أه ومش هتأخر إن شاءالله.

صمتت لحظات وسألته برجاء:

- حسن.. مابلاش تنزل النهاردة.

- ليه؟ هي أول مرة ابقى مرهق واشتغل؟

- انت بقالك كام يوم نومك قليل أوي وامبارح ملحقتش تنام 3 ساعات على بعض.. حقك ترتاح.

- متتقلقيش يا حبيبتي.

نهضت نادين مستسلمة.

- هسيبك لو عايز تقرأ ولا حاجة.. لو عايزني ف حاجة أنا قاعدة برَّه.

- ربنا يخليكى ليا يا أحن إنسانة في الدنيا كلها.

- ربنا يخليك انت لينا ويقويك.

- يعني خلاص مش زعلانة مني ومقدَّرة انشغالي عنكم.

- أنا مقدرش ازعل منك يا حسن.. أنا مليش غيرك في الدنيا، إنت ولميس.

ابتسم لها حسن.. أرسلت له قُبلة وهي تغادر المكتب.

- مش هعطلك أكتر من كده.

* * *

وصلت لميس النادي مع صديقتها وعد. اتجهتا للكافتيريا.. وعيناهما تبحث في كل مكان، أشارت وعد بيدها نحو إحدى الطاولات:

- أحمد موجود اهو.

اتجهتا نحو أحمد؛ شاب نحيف وطويل يجلس مع فتاة.

أحمد صديق مشترك لوعد ولميس منذ ثلاث سنوات، ولكن في السنة الأخيرة تطورت الصداقة بين أحمد ولميس، حتى صارحها بإعجابه بها وحبه لها.. لميس

ذات الأربعة عشر ربيعًا والتي تخطو أولى خطواتها نحو المراهقة بمشاعر طبيعية.

كلمات أحمد بالنسبة لها كانت كنسمة رقيقة هبَّت في صحراء قلبها الذي كان يتوق للحب ومشاعره بصفة عامة. وجود أحمد في حياتها وتقرُّبه منها أوجد في حياتها وقلبها مكانًا له، لم تكن لديها أية محاولات لصد هذا الحب ولا التفكير في مصيره.

أحمد الذي يكبرها بثلاث سنوات والذي أتم عامه السابع عشر منذ شهر مضى، تراه الرجل الذي ستكمل حياتها معه، تأخذ حب والديها مثالًا للحب، وترى في تفاني والدتها في حب والدها وطاعتها له والعمل على إسعاده نموذجًا يُحتذَى به في أية علاقة ناجحة.

عندما رأت تلك الفتاة التي لا تعرفها تجلس مع أحمد دبَّت الغيرة في قلبها وانعكست مشاعرها على ملامح وجهها.. فعبست رغمًا عنها. اقتربت لميس ووعد من الطاولة التي يجلس عليها أحمد ورفيقته، عندما رآهما تهللت أساريره وقال مُرحِّبًا:

- اتأخرتوا ليه؟

نظرتا للفتاة الأخرى بتعجب.. فبادرهما أحمد:

- تعالوا اعرفكم على لبنى صاحبتي معايا في درس العربي.. لميس ووعد صاحباتي.

جلسوا جميعًا.. التزمت لميس الصمت من ضيقها.. لم تبدأ بفتح أي حوار كانت تكتفي بالرد المختصر فقط، وبعد نصف ساعة ثقيلة على لميس استأذنت لبنى في الانصراف ونهض معها أحمد ليوصلها حتى باب النادي.

بعد انصراف أحمد ولبنى، بدأت وعد حديثها:

- ايه البوز ده يا بنتي.. مش كده.

- إنتي مش شايفة يعني قاعد مع واحدة ويقولِّي صاحبته وقايم يوصَّلها.

- عادي يا لولو ما احنا لينا اصحاب.

- أيوة بس من يوم ما ارتبطنا وانا مبقعدش مع حد لوحدي عشان ميتضايقش هو كمان المفروض يعمل زيي.

صمتت وعد بعد أن عجزت عن الرد.

عاد أحمد بعد قليل.. جلس معهم وسأل لميس:

- مالِك؟

- انت مش عارف مالي يعني.

أُحرجت وعد فاستأذنت:" أنا هروح لوسام اختي اشوفها هي زمانها عندها تمرين".

انصرفت قبلأان يرد أحدهما عليها.

كرر أحمد سؤاله للميس:

- مالك.. ويوة مش عارف في ايه.. انتي مكلماني لما صحيتي وكنتي عادية مفيش حاجة.

- مين دي اللي قاعد معاها.

- ما انا قلتلك صاحبتي في الدرس.

- درس ايه يا احمد.. هو انت لسه بدأت دروس؟

- درس العربي السنة اللي فاتت وهناخد درس مع بعض السنة دي كمان.

- مقلتليش يعني ان ليك صاحبات من الدروس.

- عادي.. انتي عارفة ان أي مكان بكون فيه بيكون ليا اصحاب.

- أصحاب مش صاحبات.

- أصحاب أو صاحبات.. هتفرق ف ايه يعني.

- اشمعنى انا بتقولي مكلمش ولاد.

- لا مقلتش متتكلميش.. اتكلمي ف حدود ضيقة أوي.

- اشمعنى انت بتتكلم ف حدود واسعة أوي.

- أنا بغير عليكي.

- يعني انا مبغيرش؟!

- آنا مبحبش حد يقولّي اعمل إيه ومعملش إيه يا لميس وانتي عارفة ان ليا اصحاب كتير ومش همنع نفسي منهم ولسه هيبقى عندي اصحاب أكتر لما ادخل الجامعة ومبحبش حبيبتي يكون ليها اصحاب ولاد.. عندك أي اعتراض؟

صمتت لميس وهي مستاءة من سياسة الأمر الواقع.

نظر لها أحمد وأردف قائلًا وهو يتركها بمفردها:

- خليكي مبوزة كده.. أنا ايه اللي يقعدني معاكي بالنكد ده.

نظرت له لميس وعاتبته وصوتها مختنق بالعبرات:

- أنا نزلت مخصوص ومستنيتش مامي عشان اجي اقعد معاك.. تقوم تسيبني وتمشي.

عاد أحمد مرة أخرى وجلس معها:

- خلاص يا لميس.. بس متكرريهاش تاني.. أنا مبحبش حد يبقى وصي عليا.. ده بابا معملهاش معايا هتعمليها انتي.

- خلاص أنا أسفة.. متزعلش مني.

- خلاص مفيش حاجة.. عملتي ايه ف السفر.

- بابي مش فاضي ومقالش معاد محدد.

أقبلت عليهما وعد وجلست وهي تقول:

- لسه مخلصتش التمرين.

نظرت وعد لكل من أحمد ولميس.. وسألتهما:

- مالكم.. متخانقين ولا ايه؟

ردَّ أحمد:

- أنا عملت اللي عليا.. حاولت اخليهم يأجّلوا سفرنا مارينا شوية منفعش.. وأساسا كنا هنصيف في شرم السنة دي بس انا أقنعتهم نروح مارينا عشان لميس.. تيجي الهانم وتقولّي أنا مش عارفة هيسافروا امتى.. يعني على ما احنا نروح ونرجع تكون هي لسه هتسافر وبدل ما نقضي الصيف مع بعض يبقى كل واحد ف حتة.

لميس مبررة موقفها:

- اعمل ايه طيب.. حاولت اقنع مامي نسافر احنا منفعش.. وبابي وعدني انه هيفضى نفسه ومحددش.

- اشمعني المرة دي مش عايزة تسافر معاكي؟

- أكيد عشان عيد ميلاد بابي قرَّب.. هي قالت لو كنا هنسافر كلنا مع بعض ماشي إنما لو احنا لوحدنا يبقى نستنى شوية فانا فهمت هي مش عازة تسافر ليه.

- مش مشكلتي دي بقى.. أنا عملت اللي عليا وغيرت مصيف السنة دي.

عقبت وعد على كلامهما قائلة:

- أنا عندي فكرة.

انتبها لها منتظرين سماع فكرتها.. فأكملت:

- احنا مسافرين الأسبوع الجاي.. لميس تسافر معانا وطنط تبقى تحصلنا براحتها.

أحمد: قشطة جدًّا.

لميس: تفتكرى مامي هتوافق؟

أحمد يزفر بنفاد صبر:

- لأ بقى كده كتير.. إنتي مش قادرة تقنعيها بحاجة أبدًا.. عايزين نقضّي المصيف مع بعض.

لميس: هحاول اقنعها ويارب توافق.

وعد: لما تيجي هقولها ولو رفضت هخلِّي ماما تحاول معاها كمان.

* * *

بعد عودة نادين ولميس من النادي.. دخلت لميس خلف نادين غرفتها وسألتها:

- هاا.. قلتى ايه؟؟ أحضَّر نفسى؟

- لميس.. انتي بقيتي زنانة كده ليه.. بقيتي أُوفر.

- مامي حبيبتي، أنا زهقانة ومش معقول..

قاطعتها نادين:

- زهقانة من ايه.. إنتي عندك كل وسائل الترفيه وتقوليلي زهقانة.. احمدي ربنا يا لميس أنا مبحبش كده.

- الحمدلله والله مقلتش حاجة.. بس يرضيكي يعني اصحابي يسافروا يصيفوا وانا ابقى قاعدة هنا محبوسة في البيت وعلى ما بابي يفضى يكون اصحابي رجعوا واروح انا ابقى لوحدي هناك.

- إشمعنى السنة دي انتي مصممة نسافر.. كل سنة عيلة وعد بيسبقونا واحنا بنحصلهم.

- مامي انتي مش عايزة تسافري عشان عيد ميلاد بابي؟

- أيوة.

- وإذا كان هو مش فاضي وممكن ينسى؟!

- ينسى براحته.. انا مقدرش انسى ولازم احتفل بيه زي كل سنة.

نظرت لميس لنادين وسألتها بابتسامة:

- بتحبيه أوي كده؟

تنهدت نادين وهي تنظر لصورتها مع حسن:

- بحبه!!.. طبعا.. حسن يبقى حبيبي وجوزي وعِشرة عمري.

صمتت لحظات وأردفت بنبرة حزينة:

- بس لو كان يديني شوية من وقته بدل شغله ماهو اخده مني كده كنت هبقى ف منتهى السعادة.

سألتها لميس للمرة العديدة فوق المائة:

- هاااا.. هروح معاهم.. أحضَّر نفسى؟؟

- خلاص يا لميس.. لما استأذن بابا.. هي الساعة كام؟

نظرت في الساعة فسبقتها لميس بالإجابة:

- 12 وربع.

أخرجت نادين هاتفها من حقيبتها:

- شفتي.. مفيش فايدة.. تعبان ونازل بالعافية وقال مش هيتأخر والشغل أخده محسش بنفسه والساعة داخلة على واحدة.

أردفت بعد قليل:

- التليفون مقفول.. يبقى أكيد جت له ولادة مستعجلة.

نهضت لميس:

- يبقى هيتأخر طبعا.. ولما يتأخر مينفعش اتكلم معاه وبينزل الصبح وانا نايمة.. أخد الرد ازاي انا دلوقتي؟

- هتكلم معاه الصبح واقولك.. هتنامي؟

- لا.. هقعد ع النت شوية.

قبل أن تخرج لميس من الغرفة.. فتحت أم خالد الباب فجأة دون استئذان.. وتحدثت بفزع:

- ارفعي السماعة يا مدام.. ردي ع التليفون.

سألتها نادين باستغراب:

- مين؟

تلعثمت أم خالد وهي تجيبها:

- ب.. بيق.. بيقول.. مستشفى.

رددت نادين وهي ترفع سماعة التليفون الأرضي بقلق

- قصدك المركز عند حسن يعني؟.. آلو.. أيوة أنا مدام دكتور حسن.

صرخت نادين وهي تسأل الطرف الآخر:

- حادثة!!! حصل له ايه؟؟ أرجوك قولّي الحقيقة هو حصل له حاجة؟

بدأت الدموع تنهمر من عيني لميس وهي تسألها:

- بابي؟؟ ماله؟؟

ردت نادين على محدثها وسط بكائها:

- حالًا.. مسافة السكة.. مع السلامة.

لم تكن قد بدلت ملابسها بعد.. أخذت حقيبتها وركضت ولميس وأم خالد خلفها وهي تردد: "يارب اكون في كابوس.. يارب ميكونش ده كله بجد.. أنا مقدرش اعيش من غيرُه.. أنا ممكن اموت لو جراله حاجة".

* * *

- 5 -

منذ ساعتين بعد نزول أسامة مابين الاتصال به رغم إغلاقه الهاتف وبين انتظاره في الشرفة، حتى أنهكها التعب تمامًا وجلست تنتظره على السرير فنامت رغما عنها ورغم قلقها، استيقظت فزِعة على صوت لم تتبينه في البداية وبعد تركيز أيقنت أنه صوت زفة سيارات في الشارع. نهضت متباطئة وهي تنظر في الساعة وجدتها تخطت منتصف الليل بنصف ساعة فلم تشعر بنفسها ولا بالوقت في الساعات الماضية. بحثت في الشقة على أمل أن تجد أسامة قد عاد ولم تسمعه،

فلم تجده.. أعادت الاتصال به وكانت النتيجة كسابقاتها؛ الهاتف مغلق.

ظلت تفكر فيم يمكن أن يكون حدث.. أو أين ذهب.. سيارته معطلة.. والدته تشاجر معها.. شقيقته في السعودية مع زوجها.. ترى أين ذهب؟؟ ظل لسانها يدعو الله أن يعود سالمًا ويطمئن قلبها عليه.

وقفت في الشرفة تنتظره.. تأخر الوقت وتألمت قدماها من الانتظار، زغللت عيناها من البحث بين المارة تارة وبين سيارات الأجرة التي تمر في الشارع تارة أخرى.

شعرت بالصداع.. عادت للسرير مرة أخرى، متمنية أن تطمئن حتى تستطيع أن تنام.

حدَّثَت نفسها:

- هوَّ انا كل ما اجي انام تحصل حاجة.. دماغي هتنفجر.

بعد قليل وأثناء تفكيرها، سمعت صوت باب الشقة، ابتسمت مطمئنة أن أسامة عاد وبخير. انتظرت مكانها وتظاهرت بالنوم لترى ماذا سيفعل.

سمعت وقع خطواته في الشقة.. تأخر قليلًا قبل وصوله لغرفة النوم فأيقنت أنه دخل يرى والدته في الغرفة الأخرى.. بعد قليل اقتربت خطواته من الغرفة.. أغمضت منى عينيها.

سمعته فتح باب الغرفة، ثم فتح الدولاب وأغلقه وخرج.

جلست منى بعد خروج أسامة.. تعجبت من دخوله وخروجه السريع ولم تفهم أين ذهب. أمسكت رأسها الذي يؤلمها وهي تفكر.. كيف تتصرف؟

نهضت متباطئة بعد أن اطمأنت أن أسامة مازال في الشقة لأنها لم تسمع صوت الباب، خرجت من غرفتها.. بحثت في المطبخ والحمَّام وانتهت بالغرفة الأخرى،ن وجدته قد بدَّل ملابسه ونام في الغرفة التي كانت تنام بها والدته. لم ترَ وجهه إن كان نائمًا أو مازال يقظًا.. استنتجت أنه لم ينم بعد.. اقتربت منه.. نامت بجواره.. أحاطته بذراعها.. التصقت به.. وألصقت وجهها في ظهره بعد أن قبَّلته.

لم يحرك ساكنًا.. ولم يبادرها الحديث.

فبادرت هي:

- قلقتني عليك أوي.. كنت رد عليا وبعدين اقفل التليفون.

ردَّ بنبرة حادة وهو يزيح يديها عنه:

- متقلقيش تاني.. كان لازم افكر لوحدي وخلاص فكرت وقررت.

جلس نصف جلسة وملامحه متجهمة.. جلست منى أمامه ونظراتها مثبتة على عينيه وسألته بتردد وترقب:

- فكرت ف ايه.. وقرار ايه اللي تقصده.

- نتطلق..

نطقها بسرعة وهو ينهض قائمًا من السرير وأكمل حديثه:

- أيوة انا خبيت عليكي عشان متخيرينيش.. غلطت اني خبيت عليكي كان لازم تعرفي كل حاجة وانتي تختاري.. كنت أناني ف تفكيري عشان بحبك وخايف اخسرك.. أنا هقولك على كل حاجة.

قاطعته منى ودموعها تنحدر:

- أنا عارفة كل حاجة من 4 شهور.

نظر لها بتعجب وعدم تصديق:

- عارفة ايه؟

- عارفة انك بتتعالج عشان اتأخرنا في الخلفة.

- عرفتي منين؟؟ الدكتور اللي روحت له يعرفك؟؟ هو اللي قالك؟؟ بس هو ميعرفش انك مراتي.

- محدش قالي.. أنا عملت تحاليل من سنتين ولما اتأكدت ان مفيش عندى أي حاجة تمنعني من الحمل سكت ورضيت ومحبتش أقولك تكشف عشان لو طلع عندك أي مشكلة متتضايقش.. لحد من 4 شهور لما شفت التحاليل اللي انت مخبيها.. التحاليل يا أسامة مفيهاش حاجة تقلق.. دي مشكلة عادية وعلاجها يمكن ياخد وقت.. وحتى لو مش هنخلف خالص أنا بحبك انت أكتر

من طفل لسه معرفوش ومشفتوش.. أنا معرفتش الأمان إلا معاك انت.. أنا قلبي اتفتَّح على حبك انت.. إنت كل عيلتي اللي موعيتش عليها.. من يوم حادثة بابا وماما ولما خالتي الله يرحمها أخدتني عندها كانت هي وجوزها وحسن بيعتبروني واحدة من البيت بس أنا من جوايا كنت عارفة اني ضيفة وان بيتهم مش بيتي.. حسن طول عمره بيعاملني كأخته بس فرق السن الكبير اللي بيننا خلاني مفتقدة وجود الاخوات.. انت دخلت حياتي كنت كل عيلتي اللي اتحرمت منها.. شفت فيك الأخ والحبيب والزوج والابن كمان.. مبحسش بالأمان والراحة إلا ف بيتنا.. مبحسش بطعم الحياة إلا وانت فيها.. كل ده تقولّي بكل بساطة قررت نتطلق؟!

أسامة كان يسمعها وهو يقف أمام الشباك نظراته معلقة بالفضاء لا يفصله عن الخارج سوى الرؤية الضبابية التي سببتها دموعه، ظل يستمع لها دون قدرة على مقاطعتها أو النظر إليها.. يحبها حقًا.. ولكنه يكره أن تراه في موقف ضعف.

انتهت من حديثها.. ظلَّ صامتًا.

لحظات الصمت الثقيل تمر وتنتظر منى أي تعليق منه على حديثها، لم تجد ردًا.. اقتربت منه.. استدارت لتقف أمامه وواجهته

- متاخدنيش بذنب مش ذنبي.

أجهشت بالبكاء.. أسندت رأسها على صدره وهي تكمل:

- الصبح جرحتني لما قلتلي ان مامتك عندك أهم منى وسكتت وكنت طول اليوم مستنية منك مكالمة حتى لو هتقولي انتي فين.. ولما رجعت ملحقتش اكلمك وحصل اللي حصل وغضبت ونزلت مع انه مش ذنبي وانا ولا اعرف حاجة عن إن مامتك لقيت الدوا.. كنت هموت من القلق عليك ومستنياك لمجرد اني

اطمن عليك.. قلت لنفسي مش هعاتبك على أي حاجة بس كفاية انك تكون جنبي.. وبعد كل ده الاقي رد فعلك بمنتهى القسوة وانا معملتش حاجة.. أنا مش عايزة غير انك تحن عليا يا أسامة.. كتير عليا؟؟

ظل أسامة ثابتا ينظر في الفضاء ومنى تبكى بين ذراعيه.. حائرًا بين الرغبة في ضمها إليه بقوة والاعتذار لها عن كل ما بدر منه وما بين التصميم على ما وصل إليه بتفكيره وقراره بالطلاق حتى لا تطلبه منه في أحد الأيام.. رُدِّدَت كلمات منى الأخيرة في أذنه: "مش عايزة غير إنك تحن عليا".

ضمها بقوة واستسلم لدموعه ولم يخفِها.. قبَّل شعرها وهي مازالت تبكي بين يديه:

- متزعليش يا منى.. أنا خايف .. خايف ييجي اليوم اللي تسيبيني فيه عشان كده بقسى عليكي.. الصبح لما قلتلك ماما أهم عندى عشان تبطلوا خناق مش أكتر.. أنا جيت عليكي عشان مقدرش اجي عليها مهما كان هي أمي اللي ضحت كتير علشاني انا وأختي.. ولما قلت نتطلق كان برضه عشان تيجي منِّي انا ومتطلبيهاش وتكسريني.

نظرت له منى بتعجب.. سألته:

- ايه اللي حصلنا يا أسامة.. كنا أقرب لبعض من كده.. ليه بعِدنا أوي بالشكل ده.

أخذ يديها وأجلسها بجواره على حافة السرير:

- أنا عارف السبب.

سألته منى باهتمام

- ايه السبب؟؟ أنا قصرت ف حاجة؟

- السبب فيا أنا مش فيكي.

قاطعته منى:

- بس يا أسامة.. مش عايزين نتكلم في اللي فات.. عايزين نرجع لبعض تاني زي الأول.. أقرب كمان من الأول.. مش عايزين ظروفنا ولا مشاكلنا تبعدنا تاني عن بعض.. ومتجيش عليا تاني.. انت عارف اني معترضتش على وجود مامتك بس هي صعبة أوي ومع ذلك أهلا بيها البيت بيتها.. المهم انك متظلمنيش.. متبقاش انت وهي عليا.

- بتحرجيني بالذوق يا منى.. عاقبتيني بعقلك وقلبك الكبير.

- ربنا عالم اني بتكلم معاك من قلبي.. ولا قاصدة احرجك ولا اعاقبك.

ضمها إليه بحنان وحب.. ابتسمت منى بسعادة واطمئنان وصوت نجاة الصغيرة يتردد داخلها ويتراقص مع دقات قلبها "ما أحلى الرجوع إليه".



في نفس التوقيت، وفي مكان آخر.. بعيدًا جدًا.. في شقة «أماني» شقيقة أسامة في مدينة نجران بالسعودية.. تجلس أماني في حجرتها.. أضواء المنزل كلها مطفأة

تقلِّب في مجلة قديمة بملل شديد.. نظراتها معلقة على الكلمات ولكن عقلها بعيدًا جدًا.. عقلها في مصر بجوار والدتها.. حضرت لزوجها منذ شهرين فقط.. ولكن بعد أول أسبوع ندمت كثيرًا أنها ألحَّت عليه في استقدامها.. تقدم لها «سيد» تقليديًا عن طريق إحدى الجارات.. فرِحَت به كما فرحت به والدتها عندما جاء لزيارتهما..محاسب ويعمل في السعودية، يكبرها بعامين فقط، وسيم، لَبِق، ذوق.. صارحهم بأنه في بداية حياته العملية، وأنه يساعد نفسه بنفسه ماديًا، وأنه يريد الاستقرار وتكوين أسرة بما يتناسب مع قدراته.

تردد أسامة في البداية، ولكن أماني ووالدتها كان يشغلهن الثلاثون عامًا "عُمر أماني" وقلة طالبي الزواج منها لا لعيب ما فيها، ولكن لعدم مشاركتها في الحياة العملية فهي لم تعمل من بعد تخرجها من الجامعة ولا تخرج إلا لزيارة الأقارب مع والدتها.. كادت أماني أن تفقد أملها في الزواج.. لكن بظهور سيد في حياتها تبدَّل الحال وكادت تطير من السعادة عندما تمسَّك بها سيد وطلب منها أن تقف بجواره حتى يتسنى لهما تكوين أسرة معًا. وافقت على الارتباط به دون شبْكَة أو زفاف أو شقة. اتفق مع أسامة أن يتم الزواج في أحد الفنادق في فترة الإجازة بدلًا من أن يتم فرش شقة وتُغلق لدواعي السفر ثم يسافر ويترك أماني حتى ينتهي عقد عمله ويعود ويؤسس شقته.

وافق أسامة على مضض بعد إلحاح أماني ووالدته.

تم الزواج في خلال شهرين الإجازة.. وتزوجا في أحد الفنادق المتوسطة.. أسبوع وودعها وسافر.. انتظرته عامًا بكل شوق ولهفة، لم يربطهما سوى الرسائل المتبادلة من خلال الإنترنت.. حتى عاد في إجازة.. عاد محملًا بخيبة الأمل والشكوى من ضائقة مالية يمر بها. تحملت ظروفه القاسية واستضافته طوال فترة الإجازة في بيت والدتها.. حتى انتهت الإجازة وأُعيدت الكرة مرة أخرى.

عام آخر من البعاد والرسائل المتبادلة عن بعد.. عام آخر وأماني لم تشعر بأنها تزوجت.. فمازالت تسكن بيتها.. تنام في نفس غرفتها.. تعيش وحيدة والاسم زوجة.

قررت أن تطالب زوجها بالعودة أو باستقدامها، رفض سيد بحجة أن مكان سكنه يناسب رجل أعزب ولا يناسب زوجين.. ألحت أماني.. زادت في إلحاحها وأخبرته أنها راضية بكل الظروف في مقابل أن يعيشا معًا.. ومع الإلحاح المتواصل.. وافق سيد.. وسافرت أماني وهي ترسم في أحلامها حياة مستقرة سعيدة بعد حرمان عامين تزوجت فيهما شهرين وأسبوع.

ولكن.. أبي القدر أن يحقق لها غايتها، فوجدت حياة عكس ما تتمنى.. بعد أسبوع.. وبعد أن ذهبت السَكرة وجاءت الفكرة، وجدت شخصًا آخر لم تعرفه ولم تألفه من قبل.. فبعد صدمتها الأولى من الشقة الضيقة جدًا التي تعيش بها سيد، وأثاثها المتهالك والذي علمت بعدما سألته أنه قديم ومستعمل، وجدت شخصًا بخيلًا ماديًا يتكتم الحديث عن راتبه أو خصوصياته المادية، منعزلًا عن زملائه حتى لا يزورهم أو يزوروه حتى لا يتكلف أعباء اجتماعية مادية في غير قدرته على حد قوله.

سمعت صوت الباب ووصول سيد.. نهضت لاستقباله مبتسمة.. فعلى الأقل وجوده يخفف من وحدتها حتى لو كان نائمًا.. لفت نظرها دخوله خاوي اليدين.. فسألته:

- انت مجبتش عشا؟

رد متعجبًا:

- ايه يا أماني ده.. فيه واحدة أول ما تستقبل جوزها تسأله جبت عشا؟

- أسفة.. حمدالله ع السلامة.

ردَّ وهو يتجه نحو غرفة النوم وهي خلفه:

- الله يسلمك.. حضرى العشا بسرعة الله يكرمك.

- أحضَّر ايه يا سيد.. ما انا بسألك اهو جبت عشا؟

- مش فيه أكل هنا؟

- لأ مفيش.

- ازاي.. أنا نازل وكان فيه بيضتين وبيجي 3 حتت جبنة رومي.

ردت باستغراب:

- وهو ده العشا اللي كنا هنتعشاه.. أنا جعت وعملت البيضتين وأكلتهم.

احمرَّ وجهه غضبًا بينما احمرَّ وجهها خجلًا عندما سألها متأكدا:

- أكلتيهم.. الاتنين؟؟

ردت بصوت خافت:

- إنت هتعد عليا الأكل.. دول بيضتين.

جز سيد على أسنانه وهو يحاول أن يبدو هادئًا.. وابتسم ابتسامة مصطنعة وهو يردد:

- لا أبدًا.. أنا بس مش عايزك تتخني.. خلي بالك الأكل الكتير هيتخنك وانا محبش الست التخينة.

- لا متقلقش.. أنا بقالي سنين أصلا بحاول اتخن شوية حتى 5 كيلو عشان اوصل للوزن المثالي ومفيش فايدة.

- طيب اعمليلي اتعشى.. انتي طبعا مش هتتعشي مرتين هه هه.

كم تمنت أن تلكمه في أسنانه التي ظهرت من بين ابتسامته المزيفة تلك.. لم تكن المرة الأولى التي يمرر لها رسائل جادة في صورة دعابة سخيفة تتحملها.. فهي ليست غبية وتتمكن بسهولة بعد عِشرة شهرين أن تميز طباع زوجها، أفاقت من شرودها على صوته وهو يردد:

- العشا يا أماني.

دخلت المطبخ.. لم تجد سوى لقيمات قليلة من الخبز والجبن الرومي.. وضعتهم له في طبق وقدمتهم له:

- اتفضل.. ده الموجود.

تناولهم منها ببساطة واعتياد:

- يا سلام.. فضل ونعمة.

جلست أماني أمامه تنظر له في دهشة وهو يتناول طعامه، لم يدعوها ولو بالكذب لتشاركه الطعام.. ضاقت به.. نظرت حولها شعرت أن الجدران تكاد تطبق على أنفاسها تخنقها أكثر .

انتهى من تناول طعامه.. اتجه لغرفته، عندما وصل للباب.. التفت لها قائلًا

- إنتي هتفضلي قاعدة عندك؟

- فيه حاجة؟

- اه.. تعالي جنبي شوية.

- انت مش جاي من الشغل تعبان.. نام انت وارتاح.

- ما انا هرتاح برضه.

فهمت أماني ما يلمح له.. لكنها كانت في حالة من النفور وصلت لأقصى درجة ممكنة.

فكرت في أقل من الثانية أن الصراحة لا تفيد في كل الأحيان، فابتسمت وقالت له

- مش هينفع يا سيد.

- ليه؟

نظرت للأرض وتصنعت الإحراج:

- مش هينفع.. افهم.

دخل حجرته وهو يعلق:

- طيب.. تصبحي على خير.

بمجرد أن التفت وأعطاها ظهره، شعرت بدوار.. أمسكت معدتها التي شعرت بانقلابها، رددت داخلها: "لا.. مش قادرة أكتر من كده".

واتخذت قرارًا كانت تفكر به وأصبح لا مفر من اتخاذه والعمل على تنفيذه.

* * *

- 6 -

طول الطريق من البيت للمستشفى ونادين تقود السيارة بصعوبة لتشتت تركيزها

فكرة عدم وجود حسن في حياتها جعلت الدموع تتدفق بغزارة تكاد تحول دون رؤيتها للطريق.. كيف ستكمل حياتها بدونه.. لامت نفسها على ضيقها الفترة الماضية على انشغاله بعمله.. انشغاله عنها أرحمْ بكثير من عدم وجوده في الحياة..

أي شيء مهما كان قاسيًا أرحم من رحيله للأبد.

صوت بكاء لميس ودعوات أم خالد يخترق أذنيها ويؤلم قلبها ولا تعلق.. فقط تحاول جاهدة التركيز في الطريق قبل أن تحدث كارثة أخرى.

وصلت للمستشفى.. نزلت من سيارتها بلهفة ولميس وأم خالد تتبعانها.. وصلت للاستقبال.. وسألت موظف الاستقبال:

- لو سمحت.. جالي تليفون من شوية إن دكتور حسن شاهين عمل حادثة وموجود هنا.. هو حصل له ايه؟

عند سؤالها عن حالته.. اختنق صوتها بدموعها، فطمأنها الموظف:

- مدام نادين.. أهلا وسهلًا بحضرتك.. هو حضرتك مدام دكتور حسن شاهين؟

تعودت من آنٍ لآخر أن يستوقفها أحد معجبين فنها لما قبل الاعتزال.. ردها دائمًا ابتسامة وبعض كلمات الشكر والامتنان .. أما الآن.. فآخر وقت يمكنها أن ترد على أحد معجبيها، فلهفتها وقلقها على حسن لا تدع لها فرصة لمجرد رسم ابتسامة ولو مصطنعة، ردت بلهفة:

- أرجوك طمني.. حسن جراله حاجة؟

لأدرك الموظف حالتها.. فأجابها على الفور:

- لا متقلقيش.. دكتور جلال مدير المستشفى مهتم بنفسه بالحالة وهو معاه دلوقتي.

ردت لميس بنفاذ صبر:

- معاه فين يعني.. إحنا عايزين نشوفه.

- الدور التالت ع اليمين هتلاقوا قسم الأشعة.. هوَّ هناك.

لم تشكره نادين بل ذهبت مسرعة للسلم وخلفها لميس وأم خالد.

وصلن للدور الثالث، وجدت غرفة كبيرة مكتوب عليها "قسم الأشعة"

دخلت، وجدت ممرضة جالسة على مكتب بجوار باب كتب عليه "غرفة الأشعة"، سألتها بلهفة:

- دكتور حسن شاهين جوَّه؟

- أيوة يا مدام.. اتفضلي ارتاحي.

- مش عايزة ارتاح أنا عايزة اطمن على حالته.. هو بيعمل أشعة على ايه بالظبط.. على راسه؟؟ هو فايق ولا فاقد الوعي؟ هي الحادثة حصلت ازاي.. أنا هموت حد يطمني بقى.

انهارت باكية.. كل لحظة تمر عليها دون أن تطمئن على حسن تقتلها.

ردَّت الممرضة بسرعة:

- اطمني والله مفيش أي حاجة.. الدكتور كويس وبخير هو بس لما عربيته خبطت في العمود حصل له شوية كدمات ودكتور جلال عايز يطمِّن عليه فبيعمل اشعات إنما هو داخل ماشي على رجليه وبخير.. اطمنى يا مدام.

جلست نادين تتمتم بكلمات الحمد والشكر لله.. عانقتها لميس وهي تحمد الله، بينما رفعت أم خالد يديها لتقبَّلها "وش وضهر" على نجاة رب البيت.

بعد ربع ساعة مضت كدهر، فُتِح باب غرفة الأشعة، وخرج حسن مع مدير المستشفى وطبيب آخر، هرعت نادين ولميس إليه.. تحتضنه كل منهما، صرخ متألمًا عندما لمسته نادين ولكنه طمأنها بسرعة:

- آآآه.. متقلقوش أنا كويس.

لميس. سلامتك يا بابي.. الحمدلله انك بخير.

نادين وهي تتفحصه:

- مالك يا حسن.. قولِّي ايه اللي حصل.. ايه بيوجعك؟

ردَّ دكتور جلال:

- خير يا مدام.. حمدالله على سلامته.. شرخ بسيط في الساعد هيتجبس 21 يوم والباقي كدمات بسيطة مش محتاجة غير دهانات للورم ومسكنات.. هيتفضل يقعد معانا بس تحت الملاحظة 6 ساعات ويقدر يرجع البيت الصبح إن شاءالله.. حمدالله على سلامتك يادكتور حسن.

* * *

عاد حسن للمنزل في الصباح بصحبة نادين ولميس وأم خالد، سبقتهم أم خالد لغرفة النوم وأعدت الفراش لحسن. ذهبت أم خالد لتعد لهم الإفطار، وذهبت لميس لتبدِل ثيابها، بدأت نادين في مساعدة حسن في تغيير ملابسه بكل حذر

خشية أن تؤلمه.. سألها حسن:

- اتخضيتي يا نادين؟

ردَّت وهي تتذكر:

- كنت هموت من الرعب.

- أنا كنت عايز اتصل بيكي، أنا عشان متتخضيش.. بس كنت بتألم ومقدرتش.. والتليفون بتاعي مش لاقيه.

- ولا يهمك يا حبيبي المهم اني اتطمنت عليك.. عشان خاطري بعد كده لما تلاقي نفسك تعبان تسمع الكلام وترتاح.

- أرتاح ايه بس.. أنا شايل هم الشغل ومش عارف ازاي هقعد 21 يوم ف الجبس.

- لأ بقى يا حسن.. مش معقول كده.. انت لما كنت قُدَّامك تختار اخترت الشغل إنما كده مش بمزاجك انت لازم ترتاح.

- والمركز هيمشي ازاي.

- يمشي زي ما يمشي، صحتك أهم.

طرقت لميس الباب.. دخلت وسألت حسن:

- أنا سامعاك بتقول المركز يا بابي.

ردَّت نادين:

قال المركز قال.. صحتك بالدنيا.

- أنا عندى بقى فكرة تجنن.

نادين وحسن بترقب:

- ايه؟

- طبعا يا بابي لو قعدت هنا هنلاقيك يومين تلاتة وتقول الشغل والمركز والكلام ده كله.. إحنا بقى نسافر عشان أمر واقع تبقى بعيد عن الشغل وترتاح، ومنها نقعد مع بعض ومنها نحتفل بعيد ميلادك ومنها نلحق نصيِّف قبل رمضان اللي فاضل عليه اقل من اسبوعين.

نادين بسعادة:

- فكرة ممتازة يا لولو.. ايه رأيك يا حسن؟

لميس: احنا 2 يعني أغلبية.

نادين: ايه رأيك يا حسن؟

حسن بعد تفكير:

- طيب أطّمن الشغل هيمشى ازاي في المركز وبعدين نسافر إن شاءالله.

فرحت لميس وقبَّلته بسعادة.. بينما شعرت نادين أنها أخيرًا ستأخذ وقت واهتمام حسن لها ولابنتها فقط.

جاءت أم خالد ووقفت على الباب:

- الفطار جاهز يا مدام.

نهض حسن مستندًا بذراعه السليم على نادين.

- نفطر واتصل بمنى انسق معاها هتعمل ايه.

* * *

استيقظت منى ونظرت بجوارها لم تجد أسامة..جلست لدقائق تفكر.. هل بعد كل ما قالته بالأمس مازال غاضبًا منها؟ ماذا تفعل أكثر من ذلك؟

قررت أن عليها أن تترك الأمر بعض الوقت لعله يهدأ.

نهضت حزينة.. خرجت من غرفتها وفي طريقها للحمام، وجدت أسامة في طريقه من المطبخ للسفرة يعد لها الإفطار، وقفت لحظات تعقد المفاجأة لسانها.

طوال خمس سنوات زواج لم تستيقظ على مفاجأة كهذه إلا مرات قليل أغلبها في سنة الزواج الأولى.

لاحظ أسامة دهشتها.. فحدثها بتلقائية:

- يالا ادخلي الحمَّام وتعالي افطري.

شعرت أن دموعها تكاد تنحدر من فرحتها.. سألته:

- انت صحيت امتى؟

اقترب منها:

- من شوية ولما لقيتك نايمة قلت احضَّر الفطار قبل ما ننزل.

- تسلم إيدك مقدمًا.

أثناء تناولهما الإفطار..

- أنا آسف يا منى.

- على إيه؟

- على اللي حصل الفترة اللي فاتت.

- متتأسفش على حاجة يا أسامة.. أنا عارفة ان مكنش عندك أي اختيارات تانية ف أي حاجة.

نظر لها بتودد ثم أردف:

- أنا عارف ان قلبك كبير ومتسامحة.. زي ما سامحتيني أنا عايز اطلب منك طلب.

- اطلب.

- أنا مش هقدر اسيب ماما لوحدها ولا اقدر اسيبها زعلانة مني.

- طبعا.

- يعني هتيجي معايا نروح نصالحها.

وبمحاولة لكتم ضيقها سألته:

- أروح انا ليه؟؟ انت اتنرفزت عليها ولازم تعتذر لها.. هي مامتك وانت ابنها.. نفسي تتعامل معايا على الأساس ده.. ابعدني عن علاقتكم يا أسامة مش لازم انا كمان اتعامل معاها زي ما انت بتعاملها بالظبط.

- بس دي أمي.

- معترضتش والله.. ولو عايزها تيجي أهلا وسهلا.. انما تدخلها ف كل حاجة وتعاملها كأني واحدة غريبة ف بيتي ده صعب أوي.

- احنا علينا الاستحمال يا منى.. أنا مش هقدر اغير أمي بعد العمر ده كله ولا اقدر انسى انها حرمت نفسها من كل حاجة في الدنيا علشاني أنا واختي.

وبتسليم بالأمر الواقع وإرضاءً لحبيبها:

- يعني مطلوب منّي ايه؟

- تيجي معايا نصالحها.

صمتت منى تفكر.. حسمت قرارها في سرعة بعد أن أدركت ان محاولتها الندية ع حماتها لن تجدى ولن تغير من شيء، وكل ما يهمها هو الاستقرار واستمرار الحياة بينها وبين زوجها، فأجابته في إيجاز:

- طيب شوف هنروح لها امتى.

رنَّ هاتفها صادرًا من غرفتها.. دخلت لترد وأسامة يتبعها:

- آلو.. ازيك يا حسن.. مالك؟؟ يا خبر حادثة ايه؟؟ ألف سلامة عليك.. طيب هروح المركز واعدي عليكم ف البيت نتكلم.. مع السلامة.

سألها أسامة بعد ما انتهت من مكالمتها:

- خير؟؟ في ايه؟

- حسن عمل حادثة بالليل بس الحمدلله هو كويس وف البيت وبيقولي انه هيسيب المركز تحت إشرافي طول ما هو ف اجازة.

- سلامته.

- الله يسلمك.. أنا هلم الفطار والبس.

سألها برجاء:

- نروح لماما وبعدين نروح الشغل؟

ردت باستسلام:

- ماشي يا أسامة.. حاضر.

* * *

لم تنم والدة أسامة إلا على فترات متقطعة، فمن بعد تركها لمنزل ابنها، كانت في انتظار ان يتصل بها عندما يعلم أنها تركت البيت غاضبة منه وعليه هو وزجته.

ساعات الانتظار مميتة خاصة أنها تنتظر الشخص الوحيد الذي لها في تلك الحياة.

عندما أتى الصباح محملًا بخيبة أملها في ولدها الوحيد وضاق صدرها بما تشعر به.. شعرت أنه يجب عليها أن تفضفض وإلا ماتت كمدًا وقهرًا. لم تتناول إفطارها، بل ذهبت بدموعها إلى جارتها في الشقة المجاورة. عندما فتحت الجارة الباب.. ووجدتها أمامها بدموعها.

- أم اسامة!!!! مالك ياختي.. اتفضلي.

أفسحت الجارة مجالًا لأم أسامة لتدخل.. دخلت وجلست وجارتها أمامها تسألها:

- إيه اللي جابك من عند ابنك ودموعك على خدك الصبح كده؟

- أنا هنا من امبارح بالليل.

- إمبارح.. والنبي ما سمعت ولا حسيت.. مالك؟

حكت وهي تبكي:

- الواد اللي حيلتي مراته قسيته عليا.. تخيلي أسامة يبهدلني ويزعق لي قُدَّام مراته.

سألتها الجارة باتعجب وعدم تصديق:

- أسامة؟؟!! يا شيخة قولي كلام غير ده.

- والله زي ما بقولك كده.. أنا يعني هضحك عليكي.

- ليه ايه اللي حصل؟

- هيالعقربة اللي بتقويه عليا طبعا.

- بس ولا كان يبان عليها.. ما بقالها سنين متجوزة ومحصلش منها حاجة.

- متعرفيش ياختي أول ما شافتني عندها ف البيت ايه اللي حصل لها.. شالتني على دماغها وزَعقت.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. هدِّي نفسك انتي والحمدلله ان ليكي بيت ربنا ما يحوجك ليهم.. هقوم اعمل كوبايتين شاي واجي نكمل حكاوي. . وقبل أن تصل للمطبخ، سمعا دقات على باب شقة أم اسامة. نهضت أم سامة بلهفة، ونظرت من العين السحرية، بينما وقفت الجارة تتساءل:

- مين؟

أجابتها بفرح بصوت هامس:

- ده أسامة.

وأكملت بعبوس:

- والمخفية مراته.

اقتربت الجارة منها:

- هتفتحى ولا هتسيبيهم كده؟

- هفتح بقى وأمري لله.

كانت تتلهف على مجيء أسامة واعتذاره لها، ولكنها كانت تأبى الاعتراف بذلك. فتحت الباب وتظاهرت بعدم الاهتمام:

- نعم.

التفت إليها أسامة:

- انتي هنا ياماما؟

رَّدت الأم باقتضاب:

- أيوة.

خرجت من شقة جارتها دون أن تعلق على كلامه بأكثر من ذلك، فتحت شقتها.. ودخلت وتركت الباب خلفها مفتوحًا، فتبعها أسامة ومنى.

قال أسمة معاتبًا:

- ينفع كده تسيبي البيت؟

نظرت له بتأفف ثم نظرت لمنى ثم أشاحت بوجهها عنهما ولم ترد.

أردف أسامة وهو يقبِّل يدها:

- إحنا جينا ناخدك معانا.. البيت من غيرك وحش.. مش كده يامنى؟

نظر لمنى يطلب منها أن تجاريه في الكلام.. فقالت:

- طبعًا.. البيت بيتك ياماما وانتي تنوريه.

- لا والنبي إيه!

صعقت منى من الرد.. كانت تتوقع أن مجيئهما سيزيل الخلاف سريعًا لا أن يبدأه من جديد.

شهران هم مدة إقامة حماتها معها.. لكنها كانت دائمًا تتحاشاها في أي خلاف

وكما تعودت أن تفعل.. صمتت، أراد أسامة أن يخفف من حدة الكلام.. فشرح لها:

- بصي يا ماما.. منى مالهاش أي علاقة باللى حصل امبارح.. أنا كنت مخبي الدوا ده عشان مش عايز حد يقلق عليا وخصوصا انتي.. واتنرفزت لما عرفت انك شفتيه ومنى كمان مكنتش تعرف وشافته.. فمعرفش ايه اللي حصلي.. انا آسف حقك عليا.

قلقت الأم على ابنها بمجرد الإشارة لمرض ما، سألته بلهفة حقيقية:

- مالك؟؟ بتاع ايه الدوا ده؟

نظر أسامة لمنى.. ثم لوالدته وأجابها:

- مفيش حاجة اطمنى.. شوية التهابات بسيطة ف المعدة.

علقت الأم وهي تتهم منى:

- مش تخلي بالك من أكل جوزك؟؟ جبتيله العيَا.. ياحبيبي يا ابني.

ندم أسامة أنه تحجج بمعدته.. فهو لم يتوقع رد والدته واتهامها لمنى بالإهمال.. شعر بالذنب فعقب قائلًا:

- على فكرة يا ماما.. أنا بلبخ كتير في الأكل وانا ف الشغل.. يعني منى بريئة وبعدين دي حاجة بسيطة والحمدلله بقيت كويس.

- الحمدلله.

منى تنظر في ساعتها ثم تنظر لأسامة.

يدرك أسامة ان منى تستعجله لتلحق بعملهما.

أسامة بحسم:

- ماما هتقومي معايا دلوقتي اوصلِّك البيت ولا اجي اخدك بعد ما اخلص شغل؟

ردت بتمنع:

- أروح فين ومراتك مش عايزاني.

اقتربت منها منى واحاطتها بذراعها:

- ليه بس يا ماما.. أنا مش فاهمة ايه اللي حصل وخلاكي مش طايقاني كده هو انا عمري زعلتك ف حاجة؟

أسامة: يا ماما حرام عليكي.. ماهي جت تصالحك اهي وهيَّ أصلًا مزعلتكيش.

الأم: حامي لها يا اخويا.

ردَّت منى:

- يحامي لي ؟؟ طيب ياريت.. بصي انا هشتكيلك منه.

- إيه اللي حصل؟

أكملت منى بتودد:

- يرضيكي امبارح من بعد ما نزل يقفل تليفونه وميجيش غير بالليل متأخر ويسيبني هموت م القلق عليه.. إفرضي كنتي منزلتيش وكنتي قاعدة معانا.. كنا نقلق احنا الاتنين؟

نظرت الأم لاسامة معاتبة:

- ملكش حق.. طيب كنت جيت طمنتني انا.

ردت منى بضحك:

- صح يا أسامة كنت طمنتها وسبتني انا قلقانة مش مهم.

اقترب أسامة من والدته وقبَّلها من رأسها:

- خلاص بقى مش عايزين يبقى فيه مشاكل وزعل بيننا.. إحنا ملناش إلا بعض ولا منى ليها غيرك.

اقتربت منها منى قبَّلتها من وجنتها:

- والله ياماما ربنا عالم اني مفيش ف قلبي حاجة وحشة من ناحيتك.. واني بعتبرك زي ماما.

شعرت الأم بالحنان تجاهما.. بالإضافة لفرحتها بحضورهمت

سألتهما:

- فطرتوا؟

منى وهي تنهض:

- اه الحمدلله.. هتلبسى أسامة يوصلك؟

- لا أنا هعمل غدا هنا وابقوا تعالوا اتغدوا وارجع معاكم. –

معلش ياماما مش هينفع.. حسن عمل حادثة ولازم اروحلهم البيت بعد ما اخلص الشغل واحتمال ارجع اروح المركز تاني بالليل.

أسامة: طيب انزلي انتي يامنى وانا هتفق مع ماما.

منى: بعد اذنك يا ماما.. هبقى اكلمك يا أسامة.. سلام.

* * *

شعرت أماني بسيد وهو يرتدي ملابسه قبل نزوله للعمل، لم تدرِ متى نامت ولكنها حمدت الله أنها شعرت به قبل نزوله، نهضت وجلست نصف جلسة

- هتتغدى ايه النهاردة؟

- اعملي أي حاجة موجودة.

- حاضر.. بقولك إيه يا سيد.

- نعم.

- أنا كنت عايزة اخد رأيك ف حاجة كده.

- خير.

ابتسمت وتصنعت اهتمامها به

- رمضان ع الأبواب كل سنة وانت طيب.

- وانتي طيبة.

- أنا بقول ايه رأيك انزل مصر قبل رمضان وانت تبقى تحصلني مش قلت اجازتك اتقدمت السنة دي.

رد عليها مندهشًا:

- مش كنتي زعلانة اني سايبك هناك.. دلوقتي عايزة ترجعي؟

- ماهو انا هقولك اللي فكرت فيه.. أنا حاسة بيك وعارفة ظروفك عاملة ازاي.. أنا بقول اروح عند ماما أوفَّر عليك المصاريف وكمان اصحابك لما هيلاقوك لوحدك ف رمضان هيعزموك أكيد وبكده تبقى انت أولى بتوفير المصاريف دي.

صمت لحظات أدركت انه يفكر.. فأتبعت:

- وطبعا مش هكلفك تمن التذكرة لأني عارفة ان ظروفك مش ولابد.

- انتي معاكي فلوس؟

- ياريييت.. أنا بس هقول لماما أو أسامة يحجزوبى هما.

ساد الصمت بينهما.. سيد يفكر في كلام أماني.. وأماني تدعو الله سرًا أن تنجح خطتها وتنجح في فك أسرها.

انتهى سيد من ارتداء ملابسه.. اتجه للباب، تبعته أماني وسألته:

- هاااا يا سيد.. قلت ايه؟

ردَّ وهو يخرج من باب الشقة:

- سيبينى افكر وارد عليكي.

* * *

- 7 -

وصلت منى لمنزل حسن واستقبلتها أم خالد.. أجلستها في غرفة المعيشة حتى توقظ نادين، لم تتأخر نادين كثيرًا فبعد أقل من عشر دقائق كانت مقبلة ترحب بها:

- ازيك يامنى معلش اتأخرت عليكي.

- لا أبدا، أنا أسفة اني صحيتك.

- كفاية كده الساعة بقت 4 العصر.. تشربي إيه؟؟ لالا متشربيش حاجة انتي تتغدي معانا.

- ماشي يا نادين.. طمنيني بس حسن ماله.

وقصَّت نادين أحداث الليلة العصيبة التي مرت بها على منى، لم تخفها سرًا وحكت لها مادار بخلدها عندما شعرت أنها ستخسر حسن نهائيًا.

العلاقة بين نادين ومنى بدأت فاترة في بداية تعارفها بحسن، ثم أخدت في التقارب حتى أصبحتا صديقتين على مدار الخمسة عشر عامًا الماضية، فبعدما صارحها حسن بحبه وقبل أن يطلب منها الزواج أتى إليها ذات مرة في موعد بينهما بفتاة تتأبط ذراعه، ذُهلت وعقدت الدهشة لسانها فهي تعلم أن حسن وحيد والديه.. وقدَّمها حسن لها: "منى بنت خالتي.. ميغركيش فرق السن

اللي بيننا إحنا اصحاب عشان كده قلت لازم أعرَّفها عليكي.. مكانتش مصدقة انك نادين الممثلة".

غيرتها منها كانت أقوى من أن تعاملها كمعجبة عادية.. هي بالنسبة لها فتاة تتأبط ذراع حبيبها وتقيم معه تحت سقف واحد وتجلس معه أكثر منها. مع مرور الوقت ومع إعجاب منى بها كفنانة في البداية ثم كإنسانة وصديقة جعلها تغير فكرتها الأولى تمامًا وتندمج في صداقتها.

قالت منى بعد أن انتهت نادين:

- الحمدلله يا نادين انها جت على قد كده.. لو مكنش حسن هو اللي كلمني بنفسه ومن البيت كان ممكن اموت م القلق.

- الحمدلله ربنا يخليهولنا.

- أمين يارب.

- أنا معرفتش اكلمك امبارح.. قوليلي بقى كان مالك وايه اللي ودَّاكي المركز بدري كده؟

- حسن مقالكيش.

- لأ.

وقصَّت منى هي الأخرى يومها السابق.. لكنها تعمدت إسقاط السبب الحقيقي للعلاج الذي وجدته حماتها وادَّعت نفس السبب الذي فسَّره أسامة لوالدته.

قالت نادين بعدما انتهت:

- يعني هي فتشت في حاجتك وانتى سكتّي.

- أيوة.

- ليه يا منى؟

- عشان أسامة.

- يعني ايه عشان أسامة.. مامته ليه تفتِّش في خصوصياتكم كده؟ وايه اللي يدخَّلها في تفاصيل حياتكم بالطريقة الأُوفَر دي؟!

ردَّت منى باستسلام:

- هعمل ايه بس..

قالت نادين باستنكار:

- تعملي إيه.. تعملي حدود وتوقفيها عند حدها.. حماتك ليها عندك احترامها انما أكتر من كده لا.. وكمان رايحة تصالحيها.. ايه السلبية دي؟

صمتت منى.. أدركت نادين أنها هاجمتها بشدة.. فتوددت قائلة:

- متزعليش منِّي يا منى.. أنا بتكلم عشانك والله.

ردَّت منى مبتسمة:

- مش زعلانة منك.. أنا بس كل اللي عايزاه أعيش من غير مشاكل.. أسامة مش وحش وبيحبني زي ما بحبه.

- وانا مشككتش في حبه ليكي.. أنا عارفة بيحبك قد ايه.

- مامته نقطة ضعفه يا نادين.. وعمره ما هيشوفها غلطانة.. لو عملت راسي براسها هعيش في مشاكل وانا مش عايزة مشاكل.. أنا بشتغل طول اليوم وعايزة ارجع بيتي ارتاح واحس فيه بالدفا والأمان بعد يوم شغل طويل.. مش أي راجل هيستحمل طبيعة شغلي وأسامة متفهم أوي للنقطة دي ودايمًا بيدعمنى وده بيزوِّده أوي في نظرى وبيخليني اغفر له نقطة ضعفه.. مين فينا كامل يا نادين.

شردت نادين مع كلمات منى.. بالفعل أسامة يدعم منى في نجاحها وتقدمها ورغم طبيعة عملها المتعبة لم يشتكِ منها يومًا أو يطلب منها أن تترك عملها كما فعلَ حسن.

للحظة قارنت بين أسامة وحسن في نظرة كل منهما لزوجته.. أسامة الزوج المتفاهم الداعم لزوجته نقطة ضعفه والدته.. حسن الزوج المثالي والعاشق المخلص لزوجته يرى أن الزوجة مهمتها الأساسية والوحيدة إسعاد زوجها وتربية أبنائها ولا مكان للعمل.. ردَّدت نادين بمرارة جملة منى الأخيرة:

- على رأيك.. مين فينا كامل..

لاحظت منى نبرة صوتها

- بتقوليها كده ليه؟؟

ابتسمت وهي تنهض:

- أبدًا.. هروح اشوف حسن نام تاني ولا إيه.. واستعجل أم خالد في تحضير الغدا.

* * *

بعد تناولهم الغداء..

انفرد حسن بمنى في مكتبه.. جلس حسن على مكتبه وفتح حاسوبه المحمول.. لأوصل فلاشة به.

- هاتي كرسي يا منى وتعالي اقعدي جنبي.

سحبت منى مقعدها.. وجلست بجوار حسن.

- بصى يا منى.. الفلاشة دي عليها ملفات الحالات اللي عندي.. الحالات البسيطة لوحدها وفي كام حالة تعبانين وبياخدوا علاج لأمراض تانية مع الحمل، دول خلِّي بالك منهم أوي ولو وقف أي حاجة قصادك كلميني.. أنا مش هقفل تليفونى خالص.

نظرت منى للملف المليء بالحالات.. وبعد تردد قالت له:

- حسن.. أنا خايفة.

- من إيه؟

- المسئولية اللي انت سايبهالي دي كبيرة أوي عليا.

- عيب يا دكتورة لما تكون ثقتك في نفسك قليلة كده.

- مش موضوع ثقة قليلة.. أنا لسه بدري عليا عشان اتحمل مسئولية زي دي.

- وانا لو مكنتش واثق انك قدّها مكنتش حطيتك فيها.. إنتي طول عمرك متفوقة وسابقة كل اللي في سنك يا منى.. وانا واثق فيكي.

نظرت له منى بابتسامة سعادة.. فشهادته في حقها هو الأخ والمعلم والقدوة تسعدها بل وتحمِّسها لبذل كل ما أوتيت من اجتهاد.. ولكنها سرعان ما استعادت تركيزها عندما بدأ حسن بشرحِ الحالات القلِق بشأنها.

طرقت أم خالد الباب طرقة واحدة، بعدها دخلت بالقهوة، وضعت القهوة أمامهم على المكتب وخرجت. عاد حسن ومنى لعملهما مرة أخرى.

- هعملك كوبى على فلاشة تانية ودايمًا أي ملاحظة جديدة تكتبيها في ملف المريضة.

- حاضر.. بالنسبة لمختار هتعامل معاه ازاي؟

- أنا هكلمه وأقوله انك مكاني، وأي وقت تتصلي بيه يجيلك.

- بس انت عارف مختار ومواعيده.. بحس انه مش قد المسئولية.

- متقلقيش، أنا هتفق مع سعيد حسنين كمان يبقى على اتصال بيكي.. بس انتي عارفة ان سعيد شغله كتير وده اللي بيخليني صابر على مختار.

- ربنا يستر يا حسن.

طرقت نادين الباب ثم دخلت وهي تناول حسن هاتفه:

- تليفونك كان بيرن يا حسن.

نظر حسن في الهاتف وجدَ رقم غير مسجَّل فلم يهتم.. ضغط حسن على زِر (copy) وجلس ينتظر إتمام نسْخ الملفات.

سألته منى:

- هتاخد اجازة كتير؟

تدخلت نادين في حديثهما:

- الدكتور قال 21 يوم.

ردَّ حسن حاسمًا:

- أكيد مش هقعد الـ21 يوم كلهم بعيد عن الشغل.. هنبقى مع بعض بالتليفون.

سألت منى نادين:

- هتسافروا إمتى إن شاءالله؟

نظرت نادين لحسن وهي تفكر:

- ايه رأيك بعد بكرة؟

- ماشي.. أنا هتصل بأشرف الميكانيكي بعد ما ياخد عربيتى يعدِّي يبص على عربيتك قبل ما نسافر.

نادين بفرح بالإجازة المنتظرة:

- إن شاءالله.

* * *

طال انتظار أماني لرد سيد.. لم يمضِ على فتحها موضوع السفر سوى نهار واحد، ولكنها كانت كمن تتقلب على جمر.. روحها السجينة في شقة صغيرة، في مدينة نائية لدولة بعيدة عن موطنها تتوق للحرية من سجنها والعودة لوطنها.

ليالٍ كثيرة مضت عليها وحيدة في غرفتها في منزل والديها تحلم بالزواج والحب والروح التي ستكمل معها حياتها والحياة السعيدة التي تنتظرها، كم تشتاق لغرفتها التي مقتتها قبلًا.. تتمنى أن تعود لتشم عبير الوطن الذي تفتقده بعدما خاب حُلمها.

عاد سيد من عمله.. استقبلته مُرحِّبة بابتسامة زائفة.. حضَّرت ما يحمله من طعام قليل بسرعة وعادت جلست أمامه. كانت تنتظر رده.. لكنه ظل يأكل دون أن يحادثها. لم تستطع صبرًا وسألته:

- فكرت يا سيد؟

- بالنسبة لإيه؟

- رجوعي مصر.

سكت لحظات ثم أجاب:

- ماشي.

قفزت من مكانها وهي تصرخ من الفرحة:

- بجد؟؟ متشكرة أوي يا سيد.. شكرًا شكرًا.

تعجب لفرحتها وسألها:

- للدرجة دي فرحانة؟؟

- انت كان معاك حق لما قلتلي اني مش هرتاح هنا.

- طيب أنا هنزل مصر كمان شهرين تلاتة تقريبًا.. هبقى اجي على بيتكم على طول وبعدين ابقى ازور أهلي.

ردت دون أن تفكر:

- طيب طيب.

- وحاجة كمان.. أنا معييش فلوس احجزلك السفر عايزة تسافري اتصرفي.

ردَّت ببساطة:

- أنا عارفة طبعا.. هقول لماما أو أسامة.. متشيلش هم انت.. المهم اسافر.

باتت أماني ليلتها وهي تُمنى نفسها بالخلاص.. وكانت تفكر في المشكلة التي عليها أن تحلها في أقرب وقت.. هل ستتمكن من أخذ ثمن مكالمة لأهلها من سيد؟؟

* * *

كانت منى ترتدي ملابسها على عجل في غرفتها وأسامة انتهى توًّا من ارتداء ملابسه، بينما كانت حماتها تنادي بصوت مرتفع:

- أنا هفضل محضرة الفطار ومستنياكم كده.. الخدَّامة اللي اشتريتوها.

ردد أسامة ضاحكًا:

- ماما.. نشيد الصباح.

ضحكت منى وردت:

- هو صباح بس يا أسامة.. صباحًا ومساءً وظهرًا وعصرًا وكل حاجة.

- معلش يا حبيبتي.. مش يمكن ربنا عمل كده عشان انتي تكوني فاضية لشغلك وماما شايلة مسئولية البيت.

- أنا معترضتش.. ومامتك شايلة البيت انا عارفة بس لازم تقطمني بكلمتين كل ما تشوفني.

- عديها بقى.

- ما انا بعدي طبعا.. كله يهون عشان خاطرك.

ردَّ وهو يضع تليفونها ومفكرتها في حقيبتها ويناولها إياها:

- ربنا يخليكي ليا.

تناولت حقيبتها من يده وهي تشعر بكم الحب والحنان في تلك الحركة البسيطة.

سمعا صوت والدة أسامة مرة أخرى تصرخ:

- كل ده بتلبسوا ليه؟ انتوا رايحين حفلة ع الصبح.. أنا هحرق دمي ليه إن شالله ما أكلتوا.

خرج أسامة مسرعًا يقبّل يد والدته:

- صباح الخير يا ماما.. معلش تاعبينك معانا.

لم ترد وتجاهلت تحيته وتحية منى أيضًا.

جلس ثلاثتهم لتناول الإفطار.. حينما رن تليفون أسامة، أخرج أسامة التليفون من جيبه.. نظر في شاشته ورد بلهفة وهو يخبرهم:

- دي أماني.

أكمل بحماسة واشتياق:

- حبيبتي ازيك وحشاني.

نهضت والدته واقتربت منه

- هات اما اكلمها.. البت اللي ما صدقت سافرت ولا بتتصل أبدًا.

شاور أسامة لوالدته بيديه أن تنتظر.. وأكمل مع أماني:

- طيب يا حبيبتي.. سلام.

صرخت فيه والدته.. بينما هو يضغط زر الاتصال:

- إنت مخلتنيش اكلمها ليه؟

- قالتلي معهاش إلا دقيقة واحدة وعايزاني اتصل بيها.

بمجرد ان اتصل أسامة.. ردت أماني، تابعته والدته ومنى بصمت وانتظار:

- إزيك يا أماني.. احنا الحمدلله كويسين.. أه ماما عندي اهي وعايزة تكلمك.. اطلبى اللي انتي عايزاه.. خير؟؟ ليه إيه اللي حصل؟؟؟.. طيب هحجز واكلمك أقولك التفاصيل.. خدي كلمي ماما.

أخذت والدته التليفون وحدثت أماني وهي تبكي اشتياقًا لها:

- إزيك يا أماني.. وحشاني يا بت.. كده متتصليش إلا لما احنا نتصل بيكي.. انتي كويسة؟؟ جوزك كويس؟؟.. ألوو.. يا أماني الصوت بيقطّع كده ليه.

- هاتي كده اشوف ياماما.

- الخط اتقطع باين.

- متقلقيش هنكلمها تاني آخر النهار.

تدخلت منى وسألت أسامة:

- مالها أماني يا أسامة؟

- أماني عايزاني احجزلها في أقرب وقت عشان جاية.

سألته والدته:

- جاية من غير جوزها؟

- أكيد.

الأم بقلق:

- لأ، اتصلِّي ببنتى تاني اشوف مالها.. ايه اللي يخليها تيجي من غير جوزها وفجأة كده وتقولك انت تحجزلها.

- هنتصل بيها تاني ونفهم منها.

- طيب ما تتصل.

- الرصيد خلص هشحن لما انزل.

تعجبت منى وأخرجت تليفونها وهي تناوله لحماتها:

- خدي يا ماما اطمني عليها.. هي مامتك لسه هتستنى كل ده يا أسامة.

تناولت والدة أسامة التليفون بلهفة.. بعدما اتصلت لها منى بأماني، سألتها مرات عديدة متتالية خلال المكالمة عن السبب وفي كل مرة تجيبها أماني بأنها مَلَّت حياة الغربة سريعًا وأنها تفتقد حضنها وتود العودة، وأنه لا توجد بينها وبين سيد أية مشاكل من أي نوع.

أنهت الأم المكالمة، وجلست صامتة شاردة، سألها أسامة ومنى عن سبب عودتها، ردَّت بعد تصديق:

- بتقول زهقت من الغربة.. بس انا قلبي مش مطمن.. صوتها ولهفتها انها ترجع يبقولوا ان فيها حاجة.. بنتي مش مبسوطة.

ردَّت منى:

- إن شاءالله مفيش حاجة.. تلاقيكي وحشتيها بس.

لم ترد والدة أسامة.. فقد كان عقلها يبحث عن أسباب منطقية لإحساسها.

نهض أسامة.. وطمأن والدته:

- انا هكلمها تاني واحاول افهم منها.. وهحاول احجز لها في أقرب وقت إن شاءالله.. يالا يا منى هنتأخر.

تبعته منى.. غادرا المنزل بينما ظلت الأم جالسة مكانها حائرة بين مشاعر القلق ومشاعر الفرحة بعودة ابنتها مرة أخرى.

* * *

في الأيام التالية كانت السعادة هي القاسم المشترك للجميع.. أماني سعيدة بقرب رجوعها مصر وسعادتها هوَّنت الكثير مما كانت تشعر به من حزن وبالتالي انعكست سعادتها على معاملتها مع سيد.. لم تعد تتصنع ابتسامتها

وتضغط على نفسها بتقمص مشاعر غير حقيقية بل كانت ابتسامتها نابعة حقًا من قلبها.

منى مع مسئوليتها في إدارة المركز ورغم خوفها في الأيام الأولى، إلا أنها استطاعت أن تنسى الخوف والقلق واندمجت في عملها دون أن تشعر.. لم تكل ولم تمل من ضغط العمل بل كانت سعيدة جدًا بالفرصة والثقة اللتين أهداهما لها حسن على طبق من فضة.

ومع انشغالها قل الاحتكاك ويكاد يكون انعدم بينها وبين حماتها، فحماتها وشعورها بأنها المسئولة الأولى والوحيدة عن البيت جعلها تشعر بأهميتها ومسئوليتها عن أسامة وهو الأهم لديها.. بالإضافة إلى انتظارها لوصول أماني قريبًا، كل ذلك جعلها تنشغل تمامًا عن منى وعن مضايقتها.

أما نادين.. فكانت سعادتها لا توصف.. فأخيرًا أُتيحت لها الفرصة أن تبقى مع حسن بعيدًا عن عمله وعن مريضاته اللاتي يأخذنه منها. حمدت الله على الحادثة التي أجبرت حسن أن يظل معها .. لم تتضايق من المكالمات التي تأتيه يوميًا من المركز ومن مريضاته فتلك المكالمات مهما طالت فستنتهي بعد دقائق ويعود حسن معها.

وكذلك حسن شعر أنه كان في حاجة ماسة للراحة والابتعاد عن روتينه اليومي وغرفة العمليات ورائحة البنج والسيدات الحوامل اللاتي إن شعرت إحداهن بوخزة في إصبع قدمها الصغير تتصل به لتسأله ماذا تفعل؟

وعلى نفس مستوى السعادة كانت لميس.. فأخيرًا حققت رغبة أحمد في التصييف في نفس الوقت وبذلك كانت مع أحمد ووعد في نفس التوقيت. أغلب يومها تقضيه مع أحمد على الشاطئ أو على أحد الكافتيريات أو في السباحة معه.. وكانت وعد صديقتهما المشتركة هي وشقيقتها وسام الأكبر منهم سنًا والتي

بقى على تخرجها عام واحد هما الستار للعلاقة والتي يعرفها العائلات الثلاث انها صداقة شباب وزملاء مدرسة ونادي لا أكثر.

* * *

قبل رمضان بيومين، أعدت نادين كل ما يلزم للاحتفال بعيد ميلاد حسن

واتفقت مع أم خالد على كل ما تريدها أن تعده، وكانت قد استعدت سلفا بشراء فستان سهرة لترتديه للمرة الأولى في عيد ميلاد حسن كما تفعل دومًا، واشترت له أيضًا بدلة جديدة للاحتفال معًا.

خمسون عامًا يُتمها حسن اليوم.. عاشت معه خمسة عشر عامًا فقط.. شعرت وكأنهم أيام مضت سريعة، تمنت من قلبها أن يعطيه الله العمر وتظل بجواره حتى ينقضي أجلها.

* * *

دخلت نادين للميس في غرفتها وهي تبدِّل ملابسها:

- بتعملي ايه يا لميس؟

- بلبس.

نظرت لها وهي ترتدي جينز وتي شيرت.

- ليه؟ انتي مش لسه طالعة من البحر من شوية.. متعبتيش؟

- لا متعبتش.. هما كام يوم في السنة يا مامي.

- وعيد ميلاد بابا؟

ضحكت لها لميس:

- مش عايزة اكون عزولة.. انتوا كل سنة بتخرجوا تحتفلوا مع بعض ومش هتعرفوا تروحوا ف حتة النهارده فهسيبكم تحتفلوا.

- كل سنة بنخرج بعد ما بنحتفل بيه احنا التلاتة في البيت يا ليس.

- طيب يا مامي هنزل شوية مع صحابي وبعدين اجي.

- انتي بتقعدي مع صحابك أكتر ما بتقعدي معانا.. إحنا تقريبا مش لاقيينك من ساعة ما جينا.. يا نايمة يا مع صحابك.

- يعني انا طول السنة لوحدي...

قاطعتها نادين:

- نعم.. لوحدك فين يا ليس.. ما انا قاعدة معاكي على طول في البيت ولما بتحبي تروحي النادي مش بمنعك.

ردت ليس بنفاد صبر:

- أنا بحب اقعد مع اصحابي يا مامي.

سألتها نادين بمرارة:

- وانا لأ؟

اقتربت منها تقبِّلها:

- إنتي حبيبتي بس انتي حاجة وهما حاجة.. أنا بتبسط وانا قاعدة معاهم.. مامي أوعدك هنزل شوية واجي نحتفل بعيد ميلاد بابي.. أوك؟

ردت نادين باستسلام:

- أوك.

* * *

وصلت لميس لمكان تجمعها اليومي مع أحمد ووعد، وجدت أحمد جالسًا وحده.. اقتربت منه وجلست بجواره:

- اتأخرت عليك؟

- أه.. أنا هنا من بدرى.

- انت لحقت يا بني.. إحنا مش لسه من شوية طالعين وقلنا هنتغدا ونرجع تاني؟

أجابها بحزن:

- ماما وبابا سافروا.

سألته لميس بتعجب:

- سافروا فين؟.. انتوا مش لسه حاجزين هنا اسبوع كمان.

- أيوة.. تيتا تعبانة أوي وماما قلقت عليها وصممت تروح تشوفها.. أصل العكننة ورانا ورانا.

ردتت لميس بشفقة:

- يا حراااام.. هي جدتك عندها ايه؟

- عندها بتاع 90 سنة.

- يا احمد مش قصدي سنها.. قصدي تعبانة مالها؟

- أنا عارف يا لميس.. عندها حاجات كتير أو تقريبا كل حاجة.

سألته بتعجب أكثر:

- أحمد، انت مش بتحب جدتك؟؟

رد ببساطة:

- بحبها.. بس بقالها 10 سنين مثلا نايمة عيانة وبتتعذب.. أنا بدعي لها ربنا يرحمها أحسن من العذاب اللي هي فيه ومعذبة خالتي معاها وكل شوية يقولوا بتموت ويتجمعوا واللي يسيب شغله واللي يسيب بيته واللي يسيب عياله زي ماما كده ومش بتموت.

- حرام يا احمد.. ربنا يشفيها.

- ربنا يرحمها.

- وانت قعدت لوحدك ليه؟.. عشاني؟؟

سألته وابتسمت منتظرة أن يؤكد على استنتاجها، لكنه رد بتلقائية:

- أنا قلت الأسبوع اللي فاضل ده خسارة فاتصلت باصحابي هييجوا يقعدوا معايا، الأسبوع ده.. دي هتبقى أيام زي الفل.

ضحك وهو يُمنى نفسه بأيام سعيدة قادمة وسط أصدقائه.. صمتت لميس ولم تُعلق بأي كلمة حين رأت وعد قادمة عليهما.

* * *

في اليوم التالي.. بعد عودة لميس من الشاطئ.. جلست مع والديها قليلًا.

عندما أتت أم خالد تخبرها بأنها أعدت لها الغداء. أثناء تناول لميس الطعام.. شردت وتساءلت: "يا ترى احمد هيتصرف ازاي في الأكل؟؟"

تركت طعامها وأحضرت تليفونها واتصلت بوعد وهي تكمل طعامها:

- ألو.. وعد تعاليلي شوية.. تنامي إيه بس مش وقته.. أه عايزاكي.. طيب هقولك اهو.. هاخد أكل لاحمد وتيجى معايا نوديهوله الشاليه.. لأ اصحابه هيوصلوا متأخر وهو لوحده.. لو قلتله مش هيرضى ياخد مِنّي، فالأحسن نروح له مفاجأة

نديله الأكل ونمشي على طول.. طيب ربع ساعة مش أكتر يا وعد.. مستنياكي.. باي.

نادت لميس على أم خالد.. جاءتها مسرعة:

- نعم يا لميس.

- ممكن تساعديني نحط أكل لأحمد؟

- أحمد مين؟

- صاحبى.

ردت متعجبة:

- صاحبك ده ايه!! مامتك عارفة الكلام ده؟

أجابتها لميس بضيق:

- كلام ايه؟؟ يعني مامي هترفض اني اديله أكل؟!

صححت لها مقصدها:

- لا أنا اقصد حكاية صاحبك دي.

- بتقفي على حاجات هايفة جدًا.. هتساعديني ولا لأ.

لم ترد أم خالد بل بدأت في إعداد علبة طعام. سألتها لميس:

- فيه تورتة من امبارح؟

- أيوة.

- طيب اعملي علبة تانية فيها تورتة.

* * *

بعد أقل من نصف ساعة، كانت لميس ووعد في طريقهما لشاليه أحمد، اقترحت وعد:

- اتصلى بيه يا لميس.

- عايزة اعملهاله مفاجأة.. عشان ميتكسفش ياخد الأكل منِّي.

اقتربتا من الشاليه.. وقبل أن تدق لميس جرس الباب:

- تعالي يا وعد نلف له من البلكونة.. لو قاعد الجنب التاني مش هيسمع الجرس.

تقدمت لميس وانساقت خلفها وعد.. وصلت للشرفة والتي تفصلها عن الأرض بضعة درجات من سلم صغير. وجدت الشرفة مغلقة.. قبل أن تتحدث مع وعد، سمعت أصوات لم تفسرها، ولكن ما جذب انتباهها هو صوت أنثوي. همت وعد أن تتحدث فأشارت لها لميس بالصمت، اقتربت وعد وهي تصتنت للصوت، همست للميس وهي تسحبها من يدها:

- يالا نمشي.

أزاحت لميس يد وعد بعنف وظلت تبحث عن مكان خلف زجاج الشرفة تنظر منه. من خلال فتحة صغيرة لم تغطها الستائر.. نظرت..

تمنت لو لم ترَ ما رأته.. مشهد سمعت عنه، ولكنها لأول مرة تراه بعينيها.. سقطت علب الطعام من يديها وأصابها الغثيان والقئ المتواصل، فزعت وعد وظلت تسألها:

- مالك يا لميس.. لميس.

خلال دقيقة ،خرج أحمد على صوتهما وهو يكمل ارتداء ملابسه وأغلق باب الشرفة خلفه.

سألهما بتلعثم:

- ايه اللي حصل.. مالها لميس.. انتي جيتي ليه.. قصدي يعني جيتي امتى؟

كانت قواها تخور ووعد تساعدها قبل أن تسقط على الأرض، اقترب أحمد ليساعدها، صرخت فيه بصوت ضعيف:

- ابعد عنِّي يا مقرف.

تحاملت على نفسها واستندت على وعد وتركته مُغادرة.. تبعهما على السلم وهو يحاول أن يبرر موقفه:

- استني يا لميس.. اسمعيني.

- أسمع ايه.. كفاية اللي شفته.

تدخلت وعد قائلة:

- سيبها بقى يا احمد انت غلطان وبتتكلم كمان.

أحمد بعد أن أيقن أنه لا مجال للإنكار:

- أول مرة يا لميس.. والله أول مرة.. معلش متزعليش.. انا حتى معرفهاش إلا النهارده بس.

لميس موجهة حديثها لوعد وهي تبكي:

- خليه يسكت.. مش عايزة اسمع صوته.. مقرف.. قذر.

- خلاص بقى يا احمد.. سيبها لما تهدى.

لميس بعصبية:

- أهدى إيه.. مش عايزة اشوفه تاني.

أحمد منفعلًا:

- بقولك أول مرة.. انتي مكبَّرة الموضوع كده ليه.. تكونيش مراتي.

صُدمت لميس من رد فعل أحمد وتقليله من حجم جريمته.. ردَّت وهي تحاول أن تحبس دموعها:

- ميشرفنيش اني اكون مراتك في يوم من الأيام.. أنا غلطانة اني صدقتك وحبيتك.

تركته لميس واقفا على أول درجة من السلم وغادرت.. وقف ينظر لهم وهو يردد في نفسه: "هيَّ جت عليا يعني.. ما كل الناس عايشة حياتها.. حبكت تيجي دلوقتي".

لم يكن نادمًا على ما فعله.. فالولع بالتجربة كان يجذبه ولكن لم تسنح الفرصة من قبل، وعندما جاءته الفرصة على طبق من فضة لم يستطع تجاهلها.. فهاهو كان على بُعد خطوات من اكتشاف المجهول قبل أن تقاطعه لميس بوصولها المفاجئ.

التفت موليًا ظهره للميس واتجه لقِبلته المنشودة وكله لهفة للأرض التي سيغزوها بعد قليل ويكتشف أسرارها.

* * *

بعدما غابت لميس عن نظر أحمد، جلست على الرصيف وهي تبكي.. جلست بجوارها وعد تربت على كتفيها:

- معلش.. متزعَّليش نفسك.. هو اللي ميستاهلش حبك ليه.

- مش هقدر اوصفلك البشاعة اللي شفتها.. مش عارفة انسى المنظر ده.

كادت لميس أن تتقيأ مرة أخرى .. فما شاهدته كان بمثابة انتهاك لبراءتها وسنها الصغير.. الحب في نظرها: مجموعة من المشاعر الراقية وما إن تجاوز المشاعر ووصل للجسد دون زواجٍ فما هو إلا شيء مقزز .

أقبلت عليهما وسام بلهفة وتعجب:

- مالكم؟؟ قاعدين كده ليه؟؟ مالك يا لميس؟

ردَّت وعد:

- انتي ايه اللي نزّلِك؟

- جيت ادوَّر عليكم لما اتأخرتوا.. قلقت عليكم عشان عارفة ان احمد لوحده.

بمجرد ذِكر اسم أحمد، بكت لميس مرة أخرى، سألتهما وسام بقلق:

- في إيه؟؟ عملّها حاجة يا وعد؟؟ انتي سيبتيها؟

ردَّت وعد نافية:

- لا والله ما سبتها خالص.. بس أصل يعني..

وسام بقلق:

- ايه يا بنتي.. اتكلمي في ايه؟

- لميس شافته ومكنش لوحده.. كان معاه واحدة.

شهقت وسام من المفاجأة.. ثم أشفقت على لميس بعدما استوعبت الموقف.. جلست بجوارها وضمتها لها بحنان الأخت الكبيرة:

- حبيبتي أنا حذرتك قبل كده وانتي مسمعتيش كلامي.

لميس وهي تبكي بين ذراعيها:

- بحبه.

- مش هقولك حب مراهقة عشان انتي صادقة في مشاعرك وهترفضي تصدقي انه مش حب حقيقي.. بس مع الوقت هتعرفي انك لسه صغيرة على الحب الحقيقى اللي هييجي لما شخصيتك تنضج وساعتها تقدري تختاري الشخص اللي يستاهل حبك.. وبعدين تعالي هنا، أحمد ده حتة عيل لسه بياخد مصروفه من أهله وكنتي مصدقاه.

قالت وعد:

- خلاص يا وسام.. انتي هتقعدي تقطميها.

- بفوَّقها يا وعد.. أنا كان ممكن اقولها الكلام ده من بدري بس محبيتش ادِّي نصايح وخلاص مكنتش هتتقبلها منِّي وهيَّ مصدقاه وعايشة حالة الحب عشان كده فضلت قريبة منها مستنية الوقت اللي هي بنفسها تكتشف إن إحساسها ده مش حب وان احمد بالذات ميستاهلش.

قالت لميس موجهة كلامها لوسام:

- كان نفسي تكون ليا اخت زيك يا وسام.

وسام معاتبة:

- واحنا مش اخوات ولا ايه؟.. امسحي دموعك دي وتعالي اقعدي معانا شوية ونبقى ننزل بالليل نسهر.

- لا مش قادرة.. أنا رايحة الشاليه.

وعد لوسام:

- أنا رايحة معاها.

* * *

قضت لميس النصف الثاني من يومها في أسوأ حالاتها النفسية، وهو ما لاحظته نادين وتعللت لميس بأنها مريضة بنزلة برد. أعطاها حسن دواءً ليحسن حالتها.. تظاهرت بأخذه وألقته في القمامة.

محاولات كثيرة من أحمد الاتصال بها.. في كل مرة تغلق الهاتف قبل أن ترد.

في اليوم التالي، طلبت لميس من حسن قطع الإجازة والرجوع للقاهرة، وكان طلب لميس مشجعًا لحسن لأخذ قرار العودة للعمل. ولم تعارضهما نادين، ولكنها أصرت على أن تنتزع وعدًا من حسن بأن يكمل إجازته في المنزل حرصًا على سلامته واستكمال فترة العلاج كاملة .

* * *

- 8 -

قبل رمضان بيوم.. انتهت الإجازة، وعادت السرة لبيتها مرة أخرى. بمجرد دخولهم للمنزل شعرت نادين وكأنها عادت لرتابة الحياة مرة أخرى، فهاهي لميس تدخل حجرتها وتنزوي بها، أما حسن فيستعد للذهاب للمركز للإشراف على ماتم أثناء غيابه.

جلست نادين في غرفتها أثناء استكمال حسن ارتداء ملابسه، شردت وهي تنظر للجدران.. وكأنها تتمم على ما تركته من قبل؛ لون الحائط، اللوحة المعلَّقة، صورة زفافها.. كل شيء كما هو.. كما حفظته من جلوسها وحدها أوقاتًا طويلة، ذبابة.. لم تكن تلك الذبابة موجودة من قبل.. طارت الذبابة ووقفت على حائط آخر ونادين تتابعها بعينيها.

"نادييين".

انتبهت نادين على صوت حسن:

- هاا.

سألها وهو يشاور للسقف:

- مالك؟؟ بتدوري على حاجة فوق..

ردت بشرود وهي تشاور:

- الدبانة.

نظر حسن مرة أخرى صوب إشارة نادين وسألها بجدية:

- مالها؟

- مش راكزة كده وعمَّالة تطير من هنا لهنا دلوقتي تقرفني.

نظر حسن مليا لنادين وهو يتأمل جديتها، لم يتمالك نفسه فانفجر ضاحكًا، نظرت له نادين وعقدت حاجبيها:

- بتضحك على ايه يا حسن.

- انتي بتهزري صح؟

- أهزر في ايه.. انت سألتنس ببص على إيه جاوبتك.

سألها بقلق:

- انتي بتتابعي دبَّانة ليه ومهتمة بيها أوي كده؟

- عادي.. ساعات اتأمل في صورة فرحنا وساعات في اللوحة دي.. أصل انا حفظت شكل السقف والنجفة وكل حاجة في الأوضة.

اقترب منها حسن وجلس بجوارها.. وبقلق حقيقى سألها:

- نادين.. لو بتتكلمي بجد أنا هخاف عليكي.. إيه اللي بتقوليه ده؟

رأت نادين الحب في عينيه.. فطمأنته:

- متقلقش.. أنا من زهقي بس ومبلاقيش حاجة اعملها فبتأمل أي حاجة حواليا.. متخافش يا حسن أنا لسه بعقلي.

ابتسم حسن وعلق قائلًا:

- آآآه.. شكلك كده بتقوليلي بشياكة انك اتضايقتي عشان رجعنا.

- أبدًا.. ما أنا عارفة ان مسيرنا نرجع يعني كنا هنفضل هناك على طول.

نهض حسن واقفًا:

- أطلب منك طلب؟

- اؤمر يا حبيبي.

- ممكن توصليني المركز ولا اخد تاكسي لو مش قادرة تنزلي؟

نهضت نادين فورًا.. وبكل حماس:

- لا طبعا اوصلك.. هكمل لبس واجهز حالًا.

* * *

ذهبت نادين مع حسن المركز، جلست في الغرفة الصغيرة الملحقة بمكتبه والتي تحتوى على سرير وطاولة صغيرة وكرسي يفصلها عن مكتبه باب صغير، كانت تستمع لكل ما يدور داخل مكتب حسن، تفاصيل كثيرة سمعتها من منى وموظفي المركز ومختار طبيب التخدير. شعرت بالملل في تلك الحجرة الصغيرة.

جلست تفكر فيما تسمعه حولها.. أذنها تفلتر الأصوات، فتستقبل الأصوات المؤنثة وتهمل الأصوات المذكرة بلا وعي منها..

منى، الممرضات، موظفات المركز، عاملات النظافة.

يصل لمسامعها صوت ترحابهن بحسن.. دعواتهن له بالشفاء والعودة.. كلمات التشجيع من حسن لمن تشهد لها منى بحسن أداء العمل في الفترة الماضية..

جو من السعادة والحماس يفصلها عنه باب صغير.. تُرى.. هل هن أسعد حالًا منها؟؟

تضيق الحجرة عليها أكثر فأكثر أو هكذا تتخيل.. تشعر بالاختناق دون أن تعرف سبب.. خرجت من محبسها .. كما تصوَّر لها.. وحاولت الهدوء وهي تسأل حسن:

- حسن.. لسه كتير؟؟

أجابها حسن:

- زهقتي؟؟

- أه.

- تروَّحي انتي واخلِّي منى توصلني؟

جلست على كرسى بعيد نسبيًا وأجابته وهي تجلس:

- لا هستناك.. هنا.

بدأ الموجودون ينصرفون تباعًا حتى تبقت منى وحدها. اقتربت نادين وجلست في المقعد المقابل لمنى أمام مكتب حسن، وبعدما انتهت منى من تفاصيل العمل.. سألت حسن:

- هتفك الجبس امتى؟

- أسبوع كمان إن شاءالله.

- على خير إن شاءالله.. والله يا حسن أنا ما كنت اعرف انك بتتعب كده.. تصوَّري يا نادين أنا جت عليا أيام كنت ببات هنا ومبروَّحش بيتي يومين متواصلين.

ردَّت نادين:

أنا كنت فاكرة حسن بيعمل كده بمزاجه وحبه للشغل.

- لأ ضغط الشغل والولادات اللي بتيجي فجأة بتخلي الواحد مش ضامن وقته خالص.

حسن مازحًا:

- قوليلها يا منى.

سألتها نادين:

- طيب وأسامة مش بيتضايق؟؟

- بصراحة يعني.. حماتي الله يديها الصحة ويهديها وجودها في البيت شال من عليا مسئولية كبيرة وبقيت مطمِّنة على أسامة إن في حد يشوف طلباته وهيَّ على قلبها زي العسل إن هيَّ بقت ست البيت.

- يعني بطلت تضايقك.

- يعني .. لازم ترمي كلمتين كده كل ما تشوفني وانا بسمع من ودن واخرَّج من التانية.

تدخَّل حسن في حوارهما قائلًا:

- معلش يا منى.. ست كبيرة برضه وعليكي استحمالها.

منى ضاحكة:

- لاجل الورد.. كله عشان خاطر أسامة.. قولولي بقى قطعتوا الاجازة ليه مش كنتوا ناويين تقعدوا كمان.

ردت نادين بسرعة:

- زهقوا يا ستي.

سألت منى بتعجب:

- زهقوا!!!! ده انا بقول يارب يوم اجازة اسافر فيه في أي حتة.

- طيب ماتسافري.. مفتاح الشاليه تحت أمرك أي وقت خدي أسامة وروحي غيَّري جو.

حسن مقاطعًا:

- تسافر فين.. الشغل محتاجها.

ردَّت منى على كلام حسن:

- لا يا حسن الله يخليك، أنا لازم اخد بكرة اجازة.

- أجازة ازاي والشغل.

- معلش الحمدلله انك رجعت ولو جت ولادة ولا حاجة هبقى اجي انما لو مفيش عديها وسيبني بكرة.

- إستني لما افكّ الجبس وخديلك يومين تلاتة.

- لأ بكرة لازم معلش.. أماني اخت أسامة جاية من السفر ومامتها هتروح المطار مع أسامة ولازم اعملهم فطار كويس.. ما تيجوا تفطروا معانا ونتلم كلنا ونحس برمضان زي زمان.

نظر حسن لنادين منتظر رأيها.. ترددت نادين فكررت منى:

- هعمل حسابكم يا نادين خلاص.. ماشي؟

اجابتها نادين بحماس:

- هتعمليلنا بلح الشام.. اللي بتعمليه يا منى غير أي حد خالص.

ضحكت منى:

- هعملك اللي نفسك فيه بس تاكلي ومتقولِّيش دايت وحركات.

- هاكل طبعا.. أم خالد بتعمله حلو بس مش بنفس طعامة اللي بتعمليه.

- أنا عارفة السر على فكرة.

نادين بتساؤل:

- سر إيه؟

- أصل مامتك الله يرحمها هي اللي علمتني اعمله عشان كده بيطلع زي اللي كانت بتعمله بالظبط.

رددت نادين بحزن وحنين:

- الله يرحمها.

قاطعهما حسن:

- وانا.. مفيش حاجة اسبيشيال يا منى اتعلمتيها من ماما تلحقيني بيها.

منى بفرحة وحماس:

- سيبونى امخمخ لكم واعملكم أكلات التراث بتاعة أمهاتنا كلهم الله يرحمهم.. والله زمان بقالنا كام رمضان متجمعناش مع بعض.

أثار حديث الذكريات بين ثلاثتهم حالة من السعادة الممزوجة بالحنين والشجن لأيام مضت.

كان الحديث يجرى على ألسنتهم ممزوجًا بابتسامة من القلب وكل منهم يتذكر أحب الناس إليه - أمهاتهم- ، في وقت لم يعد لهن وجود ولن يصلهن سوى دعوات بالرحمة وبالمغفرة.

* * *

اليوم طويل ساعاته تمر ببطء.. فأماني عيناها معلقة بالساعة طوال اليوم تتمنى أن ينتهي حتى تطير في الصباح إلى مصر. في الأيام الماضية نظفَّتْ الشقة بكل ما أوتي لها من همة ونشاط وقامت بإعداد بعض الوجبات لسيد كما طلب منها، انتابها في بعض الأحيان شعور بالذنب لإحساسها بأنه تخدعه سرعان ماكان يزول بعدما تتذكر حياتها القاسية معه في الغربة.

عاد سيد في المساء في موعده، نظر للحقائب المُعدة وبادر أماني بالسؤال

- فرحانة؟

ردت أماني بصدق:

- أوي يا سيد.

- هتوحشيني يا أماني.

فوجئت أماني بالمشاعر التي بدت في صوت سيد، فالعلاقة بينهما جافة جادة لاتحمل في طياتها الحب الذي كانت تأمله، فهي تتذكر عندما سألته أول مرة قبل زواجهما بأيام قليلة عن حبه لها، كانت إجابته صادمة: "حب ايه وكلام فارغ إيه.. أنا فاكرك أعقل من كده.. إحنا هنتجوز واللي بيننا أكبر من الحب وكلام الأفلام ده.. ومتفتكريش اني ممكن اقعد اتكلم الكلام الهايف بتاع بحبك وانتي روحي وانتي عمري.. خلى مخك أكبر من كده".

لم تنسَ من وقتها ان تعريفه للحب هو "كلام فارغ"، ولم يكن لديها متسع من الوقت لتعيد التفكير في زواجها وبررت موقفه بأن الرجال غالبًا الحب لديهم أفعال وليس أقوال، فلم تكرر سؤالها أبدًا ولم يبادرها يومًا ما بكلمة حب

ولكن الأدهى أنها لم تجد أيضًا ما يدل عن حبه لها.. حتى علاقتهما الزوجية مجرد أداء وظيفي يُشبع به رغبته دون الالتفات لرغبتها أو إشباع حاجتها.. انتبهت أنها لم ترد عليه.. فسألته:

- بجد؟؟ هوحشك بجد يا سيد؟

ردَّ بصدق:

- أه طبعًا.. انتي كنتي مالية عليا البيت وقايمة بكل طلباتي دلوقتي لما هتسافري هرجع لوحدي تاني واطبخ واغسل وانضَّف زي الأول.

لم تستطع الرد.. صدمة جديدة كما تعودت منه، فهو لن يفتقدها هي كما ظنت.. بل سيفتقد خدمتها له.. ندمت على مشاعر الذنب التي شعرت بها الأيام الماضية، ووقر في قلبها أن قرارها صحيح مليون بالمائة.

* * *

عاد حسن ونادين في المساء، استقبلتهما أم خالد وهمَّت أن تتناول لفَّة كبيرة تحملها نادين.

- لا يا أم خالد دي حاجة للميس مش للبيت. تراجعت أم خالد وأخبرتهما:

- لميس مخرجتش من أوضتها خالص وكل ما ادخل ابص عليها ألاقيها نايمة.

تساءل حسن بقلق:

- مالها.. تعبانة ولا إيه؟؟ هي من قبل ما نرجع من السفر وهيَّ مش مظبوطة.

نادين مطمئنة.

- دلوقتي ندخل نطمن عليها.

ذهبوا في اتجاه غرفة لميس .. استوقفت أم خالد نادين:

- مدام نادين.. لحظة لو سمحتي.

التفتت لها نادين بينما أكمل حسن طريقه لغرفة لميس.

- معلش قوليلي بكرة إن شاءالله ع الفطار اعملكم ايه عشان ولادي مصممين اروح افطر معاهم كل سنة وانتي طيبة موسم وهيتجمعوا في بيت خالد.

- وانتي طيبة.. متعمليش حاجة احنا معزومين على الفطار عند منى.. الصبح لما تخلِّصي البيت روحي لهم ومش مهم تستنيني لما اقوم من النوم.

- شكرًا يا مدام.. ربنا يعيده عليكم بالخير.

ابتسمت لها نادين ممتنة.. وتبعت حسن لغرفة لميس.

* * *

دخل حسن غرفة لميس، جلس على حافة السرير.. مدَّ يده يلمس جبين لميس ظنًا منه أن نومها بسبب ارتفاع درجة حرارتها، استيقظت لميس على لمسة يده.. اعتدلت:

- بابي!! خير؟

سألها بحنان ممزوج بالقلق:

- مالك؟

- مفيش.

- بقالك يومين متغيرة أوي.. انتي تعبانة؟

- مفيش حاجة يا بابي، أنا بس زهقانة ومش بلاقي حاجة اعملها فبنام.

- طيب قومي شوفي المفاجئة اللي جايبهالك.

وقبل أن تسأله دخلت نادين حاملة معها اللفة الكبيرة، فأشار حسن لنادين

- افتحيه.

فتحت نادين اللفة التي تحملها.. فظهر فانوس كبير مزين بألوان زاهية وجميلة تعكس روح رمضان، ابتسمت لميس ابتسامة عبرت عن فرحتها بالمفاجأة. نهضت من فراشها واقتربت من الفانوس الذي كان يرتكز على الأرض ويصل طوله حتى صدرها.

احتضنته بفرحة طفلة:

- الله.. حلو أوي.. ميرسي يا بابي.

كان حسن يراقب ردة فعل لميس.. بمجرد أن رأى ابتسامتها شعر بخفقان قلبه لسعادته الغامرة ، وعندما ألقت نفسها بين ذراعيه.. احتضنها وقبَّل شعرها.

قالت نادين بمرح ممزوج بروح الأم:

بالراحة يا لميس عشان دراع بابا.

- وانتي تفتكري يا نادين حتى لو بيوجعني بعد الحضن ده ممكن احس بأي وجع؟

نادين مازحة:

- آآآه.. أطلع منها يعني.

ردَّ حسن وهو فارد ذراعه السليم لنادين ويضم لميس بالذراع المصاب

- وانا اقدر برضه.. انتوا الاتنين علاجي من أي ألم.

اقتربت نادين منه.. ضمها بذراعه، ضحكت لميس بسعادة.. والاثنين يضمونها بحنان، شعرت وكأن الله أرسل لها حضن والديها ليخفف عنها ما تشعر به بسبب خيانة أحمد وما شاهدته بعينيها.

ضمتهم بحب، وأسندت رأسها على صدر حسن:

- أنا بحبكوا أوي.

* * *

أول يوم رمضان، استيقظت منى مبكرًا ليكون لديها متسع من الوقت لإعداد أصناف الطعام التي يحبها كل من المدعوين. دخلت المطبخ بسعادة ونشاط لتبدأ عملها حتى تتمكن من الانتهاء مبكرًا، وجدت حماتها في المطبخ:

- صباح الخير ياماما.

- صباح النور.. أسامة لسه نايم؟

- اه.. شوية وابقى اصحيه.. انتوا هتنزلوا الساعة كام.

- قال لي على 12.

- طيب لسه فيه وقت.. بتعملي ايه؟

- بعمل الأكل وهبقى اسيبهولك انتي تسويه.

شعرت منى أن اليوم لن ينقضى كما حلُمَت وأن وجود حماتها وتدخُّلها لن يترك لها الحرية وممارسة مهامها كربة البيت ليوم واحد فقط.. فهي حقا تشتاق لذلك الشعور.

وقفت تفكر للحظات.. ماذا عساها أن تفعل لتنفرد بمطبخ بيتها، نظرت في الساعة.. وجدتها العاشرة صباحًا.. إذن لا داعي للقلق.. ساعتين على الأكثر وتستطيع أن تُعد ما يحلو لها.

وقفت تساعد حماتها دون أن تُبدي تذمرها.. كانت مجرد مساعدة لها دون أن تتدخل حتى لا تُفسِد اليوم من بدايته.

بعد نصف ساعة.. سمعت صوت أسامة مقبلًا عليهما:

- صباح الخير.. انتوا صحيتوا امتى؟

ردَّت والدته:

- أنا صاحية من بدري ومنى لسه صاحية من شوية.

- طيب يالا يا ماما.. يدوب تلبسي وننزل عشان نروح من بدري أحسن ما نتأخر عليها.

- هتعرفي تكملي الأكل يا منى؟

أسامة قاطعها قبل أن ترد منى:

- معقول يا ماما بتسألي منى سؤال زي ده.. هي أول مرة هتعمل عزومة؟

تجاهلت والدته كلامه عن عمد حتى لا تضطر لمدح منى.

* * *

قبل مدفع الإفطار بدقائق، ظلت منى تشرف على السفرة وعما إن كان ينقصها أي شيء ونادين تتبعها من المطبخ للسفرة وتطمئنها أن كل شيء على ما يرام، بينما جلس حسن مع أسامة يتبادلان الأحاديث العامة، وتنحَّت لميس جانبًا ممسكة بموبايلها تلعب games.

أما أماني فكانت مع والدتها في الغرفة تبدل ملابسها وتبث والدتها أشواقها وحنينها إليها. لم تشعر منى بعدد الساعات التي وقفت فيها لتعد أصناف الطعام وحدها بل كانت في قمة سعادتها، فمنذ شهور لم تشعر أنها السيدة في بيتها.. ومهما حاولت أن تقنع نفسها بأنها لم تهتم بسيادة حماتها إلا أن الواقع وإحساسها الحقيقي اليوم مختلف تمامًا.

فهي بالفعل افتقدت دورها كربَّة بيت.. تناست تمامًا مسئوليتها كطبيبة ناجحة، وعاشت اليوم على أنها زوجة وربة منزل فقط. طوال اليوم تعد صنوف الطعام وكأنها في مسابقة طهي، تريد إسعاد عائلتها الكبيرة.. أسرتها وأسرة أسامة،

إحساس داخلي بالسعادة وكأن بيتها (بيت العيلة) الذي يتجمع فيه أفراد العائلة أول يوم رمضان، أعطاها مزيدًا من الحماس والسعادة.

لم يختلف شعور أسامة كثيرًا عن شعورها بالسعادة، فاليوم يرى حبيباته الثلاث في أسعد حالاتهن؛ منى وسعادتها التي سمعها في كل كلمة تنطق بها وميزها من صوتها دون أن تبوح، والدته وأماني واللتان تأكد من سعادتهما عندما رأى الدموع والقبلات الحارة التي تبادلانها بمجرد وصول أماني.. ولم يتعجب عندما رأى أماني متشبثة بذراع والدتها طول الطريق وكأنها طفلة تخشى أن تضيع في زحام الحياة إن أضاعت يد والدتها.

ما العجب؟! فأماني ستظل الابنة الصغرى (حبيبة امها) حتى بعد أن تجاوزت الثلاثين.

انطلق مدفع الإفطار، وانطلقت معه نداءات منى:

- حسن.. أسامة.. يالا اتفضلوا.. اقعدي يا نادين انتي ولميس.. ثواني هنادي ماما وأماني من جوَّه.

جلس الجميع على مائدة الطعام، ارتفعت أصوات الملاعق واختطلت بعبارات الشكر والامتنان لمنى، أما أماني فقد كانت تختلس النظر بين الحين والآخر للموجودين.. نظرات فرحة بوجودها وسطهم.. افتقاد للعائلة بعد الوحدة التي عاشتها.

اشتاقت أن تسمع أصوات حولها.. أن ترى وجوهًا مختلفة عن وجه سيد .. الوجه الوحيد الذي كان يلازمها طيلة شهرين.

بعد الانتهاء من الإفطار، وبعد حوالي ساعتين.. استأذن حسن في الانصراف للذهاب للمركز، وأصر أسامة أن يقِله في طريقه أثناء ذهابه لقضاء بعض المشاوير الهامة.

نزل الرجلان ودخلت والدة أسامة غرفتها تصلي، وجلست النساء الثلاثة ولميس في غرفة المعيشة. أمسكت لميس الريموت وظلت تُقلب بين القنوات، سألتهن سؤالًا عامًا:

- اجيب قناة ايه؟؟ هتتابعوا مسلسل مين؟

منى: هاتي أي مسلسل حلو نتفرج عليه.

أماني: مين عامل مسلسلات السنة دى.

لميس. كتير أوي.. مشفتيش الإعلانات.

أماني: لا يا لميس للأسف.. التليفزيون عندي باظ من شهر ومكنتش بتفرج على حاجة.

لميس: ولا على النت؟

أماني: لا مكنش عندي كمبيوتر.

لميس: بصي يا ستي .. السنة دي نجوم كتير أوي عاملين مسلسلات.. عادل أمام ومحمود عبد العزيز ويحي الفخراني واحمد السقا وفيفي عبده وغادة عبدالرازق و...

وقاطعتها أماني:

- ايه كل ده هنتفرج على كل ده إمتى.

سألتها نادين باستغراب:

- أمايى.. انتي كنتي عايشة من غير تليفزيون ولا نت وف غربة ازاي.. ده انا هنا وقدامي كل وسائل الترفيه وبموت من الزهق.

أماني ومنى يرددن بتعجب:

- زهق؟؟

- أه طبعًا.. في حياتي ايه يشغلني.

سكتت كل منهن ترى حياة الأخريات أفضل من حالها، لم يكن شعور بالحسد بقدر ما هو تمني حياة أفضل.. شعور بالغيرة لا يتجاوز الحد الطبيعي، ولكنه في ذات الوقت يظهر الصورة الخارجية والجانب المضيء من الحياة.. غافلًا عما تخبئه الجدران والنفوس.

فمنى رغم انشغالها إلا أنها تفتقد أمومتها وهو ما تتمتع به نادين وتفتقد حريتها في بيتها وهو ما نالته أماني بعد سفرها، أما أماني فتفتقد الزوج المحب الذي يلبي احتياجاتها المادية والعاطفية وهو ما حظيت به منى ونادين.

أما نادين فتفتقد الحياة العملية والزوج المتفهم لطموحها وهو ما تتمتع به منى.

ردت أماني متعجبة:

- زهق ايه يا نادين بس اللي بتقولي عليه.. أومال انا كنت اعمل ايه بعد ما سافرت ولقيت نفسي روحت سجن.. بيت صعب فيه أقل الامكانيات اللازمة للحياة.. راجل تاني غير اللي اتجوزته.

سألتها منى بقلق:

- يعني ايه راجل تاني يا أماني؟

- واحد معرفوش أو بمعنى أصح معرفتوش على حقيقته إلا بعد ما عشت معاه لوحدنا.. أناني، بخيل فوق ما تتصوروا.. لدرجة انه ممكن يجيب أكل على أده وياكل وانا قاعدة قدامه عادي.

ردَّت نادين مصدومة:

- يا ستار يارب.. إيه ده يا أماني.. إزاي مفهمتيش كده قبل ماتسافري.

في حين قالت منى:

- لو تفتكرى يا أماني.. أسامة مكنش مرتاح للجوازة السريعة دي.

ردَّت نادين على كلام منى:

- ميفيدش بحاجة الكلام ده يامنى دلوقتي.. انتي هتعملي ايه يا أماني.. يعني راجعة اجازة وهتسافري تاني ولا إيه؟

- لأ، أرجع فين، أنا ماصدقت عرفت اجي.. أنا ناوية اتطلق.

في نفس اللحظة كانت والدتها قد انتهت من أداء الصلاة وقادمة إلى غرفة المعيشة عندما سمعت كلمات أماني الأخيرة "أنا ناوية اتطلَّق".

دبت الأم على صدرها وهي تولول:

- يا مصيبتي.. طلاق إيه يا بت، أعوذ بالله.. إحنا معندناش بنات تتطلق.

* * *

في نفس الليلة، نادين في غرفتها، مستلقية على السرير تتابع أحد المسلسلات، يدخل حسن الغرفة.. تعتدل نادين في جلستها، يحاول أن يبدِّل ملابسه فتنتفض نادين لتساعده:

- شكرًا يا نادين.

- لا شكر على واجب يا حبيبي.

- أنا كلمت الدكتور واحتمال افك الجبس بكرة.

ردَّت نادين بقلق:

- ليه كده يا حسن.. مش لما تاخد وقتك براحتك.

جلس حسن على طرف السرير بعدما انتهى من تغيير ملابسه، طمأنها:

- متتقلقيش.. أنا سألت الدكتور وقالِّي مفيش مشكلة.

جلست بجواره:

- ليه؟؟ بسرعة كده زهقت من الاجازة؟

- شغلي وحشني يا نادين.. أنا مش بحس اني عايش إلا وانا بشتغل.

- خلاص اللي تشوفه.. طيب والعربية هتخلص إمتى؟

- تقريبًا اسبوع كمان تكون خلصت.

- طيب ابقى خد عربيتي لحد عربيتك ما تتصلح إن شاءالله.

صمت حسن برهة.. واستطرد:

- بقولك ايه يانادين.. ايه رأيك اشوف سواق؟

ردت وهي تفكر:

- فكرة كويسة.. بس ايه اللي خلاك تفكر فيها؟

- بصراحة.. من بعد الحادثة مش حابب اسوق تاني.

- طيب انت تعرف حد؟

- لأ.. بس بسيطة يعني ممكن إعلان صغير في الأهرام الاقي بدل الواحد عشرة.

- خير.. إن شاءالله تلاقيه بسرعة.

- مالِك؟؟ حاسس انِّك متغيرة من بعد ما جينا من عند منى.. حد ضايقك هناك؟

- لا أبدًا.. اليوم كان حلو أوي.. بس اتضايقت عشان أماني.

- مالها؟

- جايَّة عايزة تتطلَّق.

سألها حسن متعجبًا:

- ليه كده؟

وبدأت تحكي له ما عرفته من أماني من طباع سيئة لزوجها وما تحملته من مواقف في الغربة وحدها.

* * *

- 9 -

في اليوم التالي.. بعد الإفطار.. أوشكت والدة أسامة على الانتهاء من إعداد حقيبة ملابسها.. ولم تكن أماني قد أفرغت حقائبها؛ استعدادًا للعودة مع والدتها، كانت والدة أسامة تبكي.. وأماني جالسة صامتة، طرق أسامة الباب ودخل، نظر لأماني، وجدها صامتة لا تعلق مطلقًا على بكاء والدتها.. وعندما وقعت عيناه على دموع والدته، تأثر ورقَّ قلبه:

- وبعدين يا ماما.. هتفضلي زعلانة كده؟

تركت الملابس والحقيبة وجلست:

- عايزني افرح يعني وبنتي راجعالي عايزة تتطلق.

ردَّ وهو يربت على كتفها:

- خلاص.. نرجعهاله تاني.

صرخت أماني:

- أرجع فين.. بعد كل اللي حكيتهولكم ده وتقولولي ارجع؟

ردت الأم وهي تكفكف دموعها:

- أنا مقلتش ترجع.. بس برضه الطلاق ده عيبة كبيرة أوي.

قال أسامة:

- طيب عايزاني اعمل ايه؟ اللي انتي عايزاه هعملهولك.

ردَّت الأم:

- لما يرجع نقرص ودنه شوية ونخليه يجيب لها شقة هنا واهي تبقى تروح بيتها في اجازته ولما يسافر تقعد معايا.. يمكن ربنا يكرمها بحتة عيل تفرح بيه ويملا عليها الدنيا.

انتفضت أماني وظلت تصرخ وتبكي:

- حرام عليكي يا ماما.. ده انا كنت شايلة هم انه مينزلنيش مصر.. يقوم هو ينزلني وانتي اللي تقوليلي استني معاه.. حرام عليكي انتي ازاي مش حاسة بيا؟!

- يا بت انا خايفة عليكي.. عايزة تطلقي وتقعدي جنبي.. يا خيبتي يانا.. يا فضيحتي وسط الناس.

قال أسامة محاولًا تهدئتها:

- إهدي يا أماني.. إهدي ياماما.. اصبروا لما نفكر في حل.

- حل.. هتقولِّي حل.. أنا مش مصدقة انكم مش حاسين بيا.

ردَّت الأم:

- يعني نحس بيكي نخرب بيتك.

- وهوَّ فين البيت ده؟

قال أسامة:

- متلوميناش اننا وافقنا.. انتي اللي كنتي عايزاه.

- كنت حمارة وغبية وأخدت جزائي خلاص.. أعيش عمري كله بستحمل غلطة غلطتها وانا مش فاهمة حاجة؟!

ردَّت الأم:

- لأ.. تتطلقى وتبقى سيرتك لبانة في بؤ الناس.

- ناس ايه.. كانوا فين الناس وانا عايشة سنتين زوجة مركونة ع الرف.. وكانوا فين الناس وانا عايشة في السعودية لوحدي مبشوفش الشارع ولا الناس ومش لاقية لقمة آكلها وانا ميتة من الجوع.. كانوا فين الناس وانا عايشة بين 4 حيطان من غير أي حاجة تسليني وبموت من قهرتي ووحدتي وعذابي.. أقولك ملعون ابو كلام الناس اللي يخليني ارجع اعيش العيشة دي تاني.. وخلاص ده قراري، أنا الحمدلله بيت ابويا موجود ومعاشه كمان موجود وانتي مش هترميني في الشارع.. ولو اترميت برضه مش هرجع له.

رقَّ قلب والدتها وإن لم تتحدث، ظلت الدموع تجرى من مآقيها، أما أسامة فلن يتحمل دموع شقيقته ولا بثها عذابها أكثر من ذلك، اقترب منها وضمَّها وربت على ظهرها ونشيجها يعلو:

- خلاااص.. اهدي .. مش هترجعيله أبدًا.. اطمِّني.

نظر لوالدته معاتبًا:

- هتهون عليكي؟؟

- أنا امها يا أسامة وخايفة على مصلحتها.. انتوا متعرفوش يعني ايه تتطلق.. يعني بدل ماكانت بنت سنها كبير هتبقى مطلقة.. مين هيبصلها ولا يخبط على بابها بعد الطلاق.

- مش أول ولا آخر واحدة تتطلق.. مسيرها يجيلها نصيبها.

قالت أماني:

- ومين قالكم اني بدوَّر على جواز.. أنا عايزة اتطلق وخلاص.

- قلتيله؟؟

وبسؤال الأم، صمتت أماني، وانتظر أسامة الرد.

تشاغلت أماني باستكمال إعداد حقيبة والدتها، ودون أن تنظر لهم.. أجابتهم:

- أنا خفت ألمَح للطلاق وانا هناك.. أنا لآخر وقت مبينة له اننا سمن على عسل لحد ما اجي هنا وأقوى بيكم.

سألتها والدتها:

- وهو هيوافق بالساهل كده؟

نظرت لأسامة وهي منتظرة منه رد، كان سؤالها اعترافًا ضمنيًا بموافقتها على الطلاق.

ردَّ أسامة بحسم:

- غصب عنه يوافق.. أومال تعيش معاه بالعافية؟

ردَّت الأم:

ربنا يستر وميعملناش مشاكل.

ألقت الأم بذور القلق في قلب أماني، لكن لم يكن بوسعها سوى انتظار ماسيحدث. سألها أسامة:

- هو مكلمكيش يسأل عليكي؟

أماني بسخرية:

- هوَّ طبعًا بيدخل نت كل يوم من شغله.. وطالما ملقانيش أون لاين مش هيتصل ويدفع فلوس مكالمة دولي.

- يا ساتر.

- أومال انت فاكر ايه؟

- خلاص.. لو متصلش يومين كده واتصل اقوله.. مينفعش نسيبه على عماه.. والأحسن نقطع عِرق ونسيح دم.

*** * ***

استطاعت لميس أن تتغلب على حزنها مع الوقت، لم تضعف للحظة وترد على اتصالات أحمد التي ظلت تتدرج تنازليا حتى انعدمت.. ومع ضيق الوقت في يوم رمضان، لم تذهب نادين وبالتبعية لميس للنادي، وبذلك تجنبت أية صدفة تجمعها بأحمد.

وفي إحدى الليالي، جلست نادين مع لميس في غرفة المعيشة.. وفي يد كل منهما طبق من المكسرات للتسلية أثناء مشاهدة المسلسلات.

كانت تُعرض إحدى حلقات مسلسل مع سبق الإصرار، وأثناء الفاصل الإعلاني سألت لميس:

- إيه رأيك في المسلسل يامامي.

- لسه مش قادرة اقول رأيي دلوقتي.. لما اشوفه على بعضه ابقى احكم.

- المسلسل شكله حلو.. قوليلي يامامي إيه الدور اللي شفتيه وكان نفسك تعمليه.

- يااااه يا لولو.. مع إن سؤالك تقليدي بس رجَّعني لأيام حلوة أوي.

ضحكت لميس:

- تقليدي تقليدي هو انا في برنامج.. أنا بسألك بجد إيه الدور اللي لما بتشوفيه بتقولي كان نفسي اعمله.

- حاجات كتير يا لميس.. أنا كل اللي اشتغلتهم كام فيلم يتعدوا على الصوابع.

- لألأ مش أي حاجة.. أفلامك حلوة جدًا والناس مش بتنساكي.

- الناس بتنسى يا حبيبتي.. مش معنى ان فيه ناس بتفتكرني وبتسلم عليا ان الناس فاكراني.. بس مش مهم كل واحد بياخد نصيبه.

- برضه مجاوبتيش عليا.

صمتت نادين وهي تفكر.. وابتسمت وهي تجيب:

- كان نفسي اعمل شخصية تاريخية تعلِّم مع الناس.. وكان نفسي اعمل دور أم.. أي أم سواء لأطفال أو لكبار.

- طيب شخصية تاريخية ومفهوم ليه.. إنما شخصية أم عادي يعني؟

- لأ مش عادي.. أنا مجربتش امثل دور أم وانا أم بجد.. عارفة يالميس الواحدة فينا قبل ما تخلف بتكون عادي بتحب الأطفال ونفسها يكون عندها طفل بغريزتها الطبيعية.. إنما المشاعر اللي بتتوجد فينا بمجرد الواحدة ما بتعرف ان جواها جنين بيتكون بتختلف تمامًا عن الخيال اللي كانت متوقعاه.

- ازاي.

- مهما قلت لك مش هعرف اوصفلك عشان كده نفسي اطلَّع المشاعر دي في دور على الشاشة.. كل الأدوار اللي عملتها زمان كنت بنوُّتة رومانسية وقصة حب وخلاص.. وللأسف خلاص معدش ينفع حتى احلم اني امثل تاني.

- وإيه المشكلة؟

- حاجات كتير.. سيبك انتي المسلسل بدأ واحنا بنرغي.

أغلقت لميس التليفزيون ونهضت من جلستها على الأرض وجلست بجوار نادين:

- نبقى نشوفه ف الإعادة مش مهم.. كملي يامامي انتي حسيتي بإيه لما عرفتي انك حامل فيا.

- يااااه.. ده انا كنت هطير من السعادة بقيت مش مصدقة نفسي.. كنت بقعد اكلمك وانتي في بطني كأنك سامعاني ولما بدأتي تتحركي جوايا كنت احط إيدي على بطني وانتي تخبطيني احس اني لمستك.. كنت مشتاقة أوي اني اشوفك ولما شفتك حسيت ان روحي وحياتي بقت متعلقة بيكي وانهم مش خسارة فيكي أبدًا.. لما كنتي تعطسي مثلًا اتصل ببباكي واعيط وأقوله الحقني لميس تعبانة ونجري على دكتور الأطفال.. طبعًا أغلب دكاترة الأطفال اللي اتعاملنا معاهم كانوا بيضحكوا عليا وعلى الأسباب اللي كنت بروح لهم بسببها.. لحد ما دكتور سخيف قالي ياريت يامدام تبطلي دلع فيه ناس تعبانة أكتر من بنتك.

- إيه الدكتور السخيف ده.

- هوَّ أينعم كان كلامه سخيف بس خلاني افكر وابص حواليا لقيت اني فعلا كنت أُوفَر بس اعمل إيه بقى بنوُّتي حبيبتي وبخاف عليها.

اقتربت لميس من نادين وعانقتها.. ظلت في حضنها:

- وحشني حضنك.. من زمان مقعدناش نتكلم مع بعض.

ردت نادين وهي تداعب خصلات شعر لميس:

- أنا اللي وحشني الحضن ده يا حبيبتي.. إنتي على طول قاعدة في أوضتك ولما باجي اكلمك بحس انك مش فاضيالي فمش بحب اضايقك.

- أنا مقصدش اني ابعد يامامي والله.. أنا بس بحب اقعد اتكلم مع صحابي.

- أنا عارفة ياحبيبتي.

ظهرت أم خالد على الباب.. وتساءلت بعين نصف مغمضة وهي تتثاءب لاستيقاظها توًّا:

- مدام نادين.. أعمل السحور دلوقتي؟

نظرت نادين في الساعة:

- يااااه.. حسن اتأخر.. هكلمه اشوفه جاي ولا هيبات في المركز وأقولك يا أم خالد.

انصرفت أم خالد.. وتناولت نادين الموبايل لتتصلْ بحسن، ردَّ حسن بعد أول رنة:

- ألو.. إيه ياحسن اتأخرت كده ليه؟؟ طيب مع السلامة.

أغلقت الموبايل وسألتها ميس:

- جاي ولا هيبات؟

- في التاكسي وداخل ع البيت.. . يااااااام خالد.. اعملي السحور واعملي حساب الدكتور.

* * *

بعد تناولهم السحور، دخل حسن مكتبه، فتح حقيبته وأخرج ملفًا به مجموعة من الأوراق.

دخلت نادين بعد دقائق:

- إنت لسه هتشتغل يا حسن؟

- والله يا نادين مش قادر وعايز انام بس ورايا حاجة كده اخلصها وانام.

- والحاجة دي متتأجلش يعني؟

نظر لها حسن ثم نظر في الملف الذي أمامه:

- على فكرة انتي ممكن تساعديني لو فاضية.

جلست نادين وبكل حماس:

- أكيد.. أنا يعني ورايا ايه؟ بس اساعدك في إيه؟

ناولها الملف:

- دي السيفيهات اللي جت لي للتقديم على شغل السواق.. افرزيهم كده وطلَّعي لي الأنسب ليهم.

- الأنسب من حيث إيه؟

- أنا عايز واحد يكون متفرغ ويبقى معايا وقت ما احتاجه.. دي أهم حاجة عندي.. إنما الأمانة وحسن الأخلاق دي هتبان في المعاملة مش في الـCV.

قلَّبَت في الأوراق وهي ترد:

- خلاص سيبلي الموضوع ده وقبل ماتنزل هتلاقي ال CV اللي اخترته في الملف والتانيين هشيلهم على جنب يمكن نحتاج لهم بعدين.

* * *

بعد عودة أماني ووالدتها لمنزلهما، تجنبت أماني تمامًا فتح حسابها على الفيس بوك أو الميل حتى لاتواجه سيد، كانت في انتظار أن يبادر هو بالسؤال على الأقل ليطمئن على وصول زوجته لأهلها سالمة.. كان الألم ينهش أعصابها.. تتألم

لما آلت إليه حياتها، فكل مرة يكون لديها بصيص من رجاء أنها أخطأت حين قررت طلب الطلاق.. تتمنى أن تتأكد من خطأ قرارها لربما أُنقذِت حياتها الزوجية.

قديما.. عندما كانت ترى أحد أفلام الأبيض وأسود، وترى البطلة تطلب الطلاق بإصرار وحين يطلق البطل صيحته بيمين الطلاق تنهار البطلة باكية.

كانت تضحك من ذلك المشهد المتكرر في أفلام السينما، لم تعلم أنه حقيقي لهذه الدرجة.. فهي تريد الطلاق بكل إصرار ولكنها تتألم في نفس الوقت.

جاء أسامة لزيارتهما، كعادته اليومية، كانت نائمة قبل الإفطار.. عندما سمعت والدتها توقظها، وتخبرها أن أسامة يريد أن يحادثها، خرجت لمقابلته.. وبعد السلام، سألها:

- متصلش برضه؟

- مش قلتلك مش هيتصل.

- هوَّ حتى معندوش فضول يعرف حصلك ايه؟

قالت الأم:

مكنش باين عليه انه واطي كده.

قال أسامة بعصبية:

- أنا هتصل بيه دلوقتي، كفاية كده.

واتصل أسامة بسيد.. جاءه صوت سيد مُرحِّبًا:

- أهلااااا بأبو نسب.

- ازيك يا سيد.

- الحمدلله.. ازيك انت وازي الحاجة وأماني.

- لو كنت عايز تطمن على مراتك كنت سألت عليها.

- ما انا عارف انها هتيجي البيت عندك، فالدار أمان يعني.

- والسفر اللي جياه لوحدها.. مش تطمن ليكون الطيارة مثلًا حصلها حاجة.

- ياراجل كفى الله الشر.. لو الطيارة كان حصل لها حاجة كنت عرفت من الأخبار وكانت الخارجية كلمتني.

نظر أسامة لأماني ووالدته غير مصدق ما يسمعه من سيد، كظم غيظه ولم يبدأ بمقدمات:

- طيب يا سيد.. أنا متصل بيك أقولك ان أماني مش مرتاحة معاك وعايزة تتطلق.

- نعم؟؟ مش مرتاحة ليه ان شاءالله دي كانت عايشة هنا معززة مكرمة بتتعامل أحسن معاملة.. ولا هي اتجننت فجأة ولا ايه؟

- من غير غلط يا سيد.. أختي مش مرتاحة معاك يا أخي.

- عَقَّل أختك وكأني مسمعتش حاجة.

- الكلام ده آخر كلام.. وزي ما دخلنا بالمعروف نخرج بالمعروف.

- طلاق مش هطلق.. خليها تقعد كده بقى زي البيت الوَقف.

أغلق سيد الهاتف.. فوجئ أسامة برد الفعل، أما أماني ووالدتها فكانتا منتبهتين وفي انتظار معرفة رد سيد. بمجرد أن ترك أسامة الهاتف، سألته والدته بقلق:

- قال ايه؟

ردَّ موجهًا كلامه لأماني:

- ده لا يطاق بجد.. ده فعلًا كان مستخسر يتكلم.

سألته أماني:

- المهم قال ايه.

ردَّ أسامة بانكسار:

- قال مش هيطلَّق.

* * *

جلس حسن في مكتبه بعد الانتهاء من أول عملية في اليوم وإجراء بعض الكشوفات والأعمال الإدارية، فتح الملف الذي يحتوى على الـ CV الذي اختارته نادين ليطلَّع عليه لأول مرة ويرى اختيارها، وبدأ قراءة البيانات:

الاسم: مصطفى يوسف عبد العزيز.

السن: 22 عامًا.

المؤهل: دبلوم تجارة نظام الثلاث سنوات.

الخدمة العسكرية: إعفاء.

الخبرات: الحصول على رخصية قيادة درجة ثالثة.

أكمل حسن قراءة البيانات لم يجد سوى العنوان ورقم التليفون.. تعجَّب!!

فقد تذكر أنه ألقى نظرة عابرة على الطلبات المُقدَّمة وكان أغلب من تذكرهم لديهم خبرات سابقة في القيادة لسنوات، فلِمَ اختارت نادين هذا الطلب بالذات!!

نظر في ساعة يده، وجدها الثالثة والنصف عصرًا، اتصل بنادين ليحسم أمرُه.

جاءه صوتها على الهاتف، سألها: صحيتي؟؟

- أه من شوية.

- بقولك ايه يا نادين.

- نعم؟

- إنتي ليه اخترتي الشاب ده مع انه معندوش خبرات سابقة وتقريبًا أصغرهم سنًا.

- هو فعلًا أصغر المتقدمين سنا.. الباقيين من التلاتينات لحد اللي ع المعاش.

- واشمعنى ده؟

- انت قلتلي أهم شرط التفرغ وده الوحيد اللي مش متجوز والباقيين متجوزين وعندهم أولاد وممكن ينشغلوا بحياتهم ومواعيدك متناسبهمش.. عموما أنا قلتلك اني هشيل باقي السيفيهات لو ده مش عاجبك أختار غيرُه.

كلمات نادين الأخيرة لم تكن عن قناعة تامة.. كانت تتمنى أن يقبل حسن هذا الشاب في الوظيفة، عندما اخبرت حسن أنها اختارته حرصا على مواعيده.. لم تكن تلك الحقيقة كاملة بل كانت نصفها فقط، أما النصف الآخر الذي حجبته عن حسن، فهي أنها لا تريد لزوجة أخرى غيرها أن تعيش مأساة الوحدة والإهمال الذي تشعر به عندما ينشغل زوجها هو الآخر مع حسن .

* * *

- 10 -

كانت منى في مكتبها عندما فوجئت باتصال من أسامة يخبرها أنه بداخل المركز. نهضت تستقبله بعد أن أنهى الاتصال دون أن يخبرها سبب زيارته المفاجئة.

سألته بقلق عندما رآته:

- خير يا أسامة؟ فيه إيه؟

- ايه يا منى مش عايزان اجي ولا إيه؟

- لا أبدًا.. طيب تعالى المكتب.

- لا مش هعطلك.. أنا كنت جاي لحسن.

- لحسن؟؟!! ليه؟

- هينفع اقابله ولا لأ؟

- هو ف عملية دلوقتي تعالى اقعد في مكتبي لحد ما يخلَّص.

تبعها أسامة لمكتبها.. سألته ثانية عن سبب طلبه مقابلة حسن، كاد أن يخبرها لولا دخول إحدى الممرضات مسرعة:

- دكتورة منى.. فيه حالة طارئة وصلت حالًا ومستنيينك في أوضة الكشف.

وقبل أن تستأذن منى.. عاجلها أسامة قائلًا:

- روحي يامنى شوفى شغلك وانا هستنَّاكي هنا.

ذهبت منى وجلس أسامة ينتظرها في مكتبها، بعد دقائق دخل عامل البوفيه بفنجان قهوة:

- اتفضل يا أستاذ.. الدكتورة طلبت لحضرتك القهوة.

- متشكر.. ممكن بعد إذنك أول ما دكتور حسن يخلَّص العملية تديني خبر.

- تحت أمر حضرتك.

خرج عامل البوفيه وجلس أسامة يرشف من قهوته على مهل وهو شارد الذهن يفكر فيما سيقول وكيف سيبدأ، وبعد حوالي ربع ساعة، جاءه العامل مرة أخرى:

- دكتور حسن خلَّص من 5 دقايق وفي انتظار حضرتك.

* * *

رحَّب حسن بأسامة واستقبله بحفاوة.. ورغم استغرابه من الزيارة إلا أنه لم يبادره بالسؤال عن سببها بل ظل يفتح مواضيع عادية حتى لا يزيد إحراج أسامة البادي عليه. أما أسامة فكان يبحث عن أقصر الطرق للبداية حتى لا يتسبب في تعطيل حسن عن أداء عمله، فاستغل لحظة صمت وبدأ حديثه:

- انا جاى لك في خدمة.. أنا محرج جدا وانا بتكلم بس ملقيتش حد غيرك.

- محرج ايه بس يا أسامة احنا أهل.. خير؟

- أكيد منى حكت لك ان أماني من ساعة ما رجعت وهيَّ طالبة الطلاق.

- أه قالتلي.. طيب مفيش أي مجال للإصلاح.. يعني لو عايزني اتدخَّل.

- لأ بصراحة هي رافضة تمامًا أي صلح بينهم.. وانا فعلًا جاي لك عشان تتدخل.

- ازاي؟

- من ساعة ما رجعت بقالها شهرين وكل ما اتكلم مع جوزها في موضوع الطلاق ده يرفض وانا والله حاولت أكتر من مرة بالذوق ومفيش فايدة.. وعرفنا انه جاي اجازة قريب.

تنحنح أسامة خجلًا قبل أن يكمل.. بينما لم يكن حسن قد فهم مقصده، أكمل أسامة:

- يعني.. أنا عارف ان ليك معارف كتير.. فلو ممكن حد يضغط عليه من السفارة مثلًا ويكلمه انه يطلق بهدوء من غير مشاكل وخصوصًا انه بيخاف على شغل السعودية جدًا ومعندوش أي استعداد يخسره بأي شكل من الأشكال.

صمت حسن يفكر في طلب أسامة، خشى أسامة أن يكون طلبه قوبل بالرفض.. في نفس اللحظة التي دخلت منى المكتب لتفاجئها لحظة صمت ظنت أنها متعَمَدة، سألتهما:

- خير؟؟ سكتوا فجأة ليه؟ هو فيه بينكم أسرار؟

ردَّ حسن:

- لا أبدًا أسرار ايه؟؟ إنتي مش عارفة يعني سبب زيارة أسامة؟

أسامة وهو في قمة إحراجه:

- لأ.. منى متعرفش سبب الزيارة.

رنَّ موبايل حسن.. مريضة تستفسر منه عن علاج لها، في أثناء المكالمة نظرات منى لأسامة كلها تساؤل بينما أسامة ظل يتصبب عرقًا من الإحراج متجاهلًا نظراتها.

أنهى حسن مكالمته، فهبَّ أسامة واقفًا وهو يصافح حسن.

- هستأذن يا دكتور وآسف على الإزعاج.

ردَّ حسن:

- أبدًا يا أسامة إزعاج إيه، أنا قلتلك احنا أهل.. انت نورت.. منى لو عايزة تمشي مع أسامة اتفضلى انتي، أنا قاعد مش مروَّح دلوقتي.

خرجت منى خلف أسامة والفضول يعتصرها لمعرفة تفاصيل المقابلة بينهما.

* * *

دخلت منى منزلها وألقت حقيبتها على أقرب كرسي بانفعال:

- إنت ازاي تكلمه في حاجة زي دي من غير ماتقولِّي.. إنت قاصد تحرجني يا أسامة؟

كلام منى أدى إلى ثورة أسامة.. ثورة كتمها بداخله بعد الفتور الذي شعره بعد طلبه من حسن.

- أنا عايز افهم.. أخويا أخويا أخويا وأول ما احتاجه في خدمة واتكلم معاه فيها تقوليلى بتحرجني.. هوَّ لو بيعاملك زي اخته بصحيح كان اهتم بطلبي.. إيه يعني خدمة صغيرة وهو معارفه كتير.. هتضره ف إيه خدمة زي دي إنما هتنقذ أختي من العذاب اللي هي فيه.

وتعجبت منى من انفعال أسامة.. فمِن الأولى أن يعتذر لها عن مفاجأتها بزيارة حسن وطلب المساعدة منه، لا أن يتعامل معها بتلك العصبية. تكلمت بنبرة أهدأ:

- بتزعق ليه يا سامة.. احنا بنتكلم.

ولم يهدأ.. كأنه لم يجد أحد يتحمل عصبيته سوى منى فانفجر فيها:

- هو فيه ايه.. كلكم محسِّسنِّي اني مش عارف اتصرف.. هو مين المسئول عن التاني.. خلاص مش عارف احل مشكلة صغيرة.

وأيقنت منى أن أسامة وقع تحت ضغط لا يتحمله، من المؤكد أنها والدته من تُشعره بأنه غير قادر على حل المشكلة، اقتربت منه وقالت بهدوء:

- طيب اهدى ونكمل كلامنا بعدين.

لم يهدأ بل استمر في عصبيته وهو متجه للباب مغادرًا المنزل:

- انتي فاكراني عيِّل صغير هتهديني بكلمتين.. دي بقت حاجة تقرف.

قالها وصفقَ الباب بشدة خلفه.. وجلست منى مستاءة من الموقف ككل، حزينة على المشكلة التي دبت بينهما لسبب لا يستدعي رد فعله هذا.

* * *

بعد ما أنهى حسن عمله مساءً.. اتجه لسيارته.. فتحها مصطفى، ركب حسن.. ثم اتجه مصطفى لمكانه خلف مقود السيارة.. في الطريق بدأ حسن حديثه:

- إيه الأخبار يا مصطفى؟ مرتاح في الشغل؟

- الحمدلله يادكتور.. المهم اكون عند حسن ظن حضرتك.

- أنا شايف ان طول الشهرين اللي فاتوا وانت مثال الالتزام.. عايز أقولك على حاجة بس تصارحني هتقدر ولا لأ.. من غير إحراج لو مش هتقدر قول.

- اؤمرنى يادكتور.

- بنتى لميس هتبدأ الدراسة بكرة.. فلو تقدر توديها وتجيبها كل يوم هعتبره أوفر تايم وليك زيادة في المرتب.

- يادكتور تحت أمرك من غير أي زيادات.. . قولّي حضرتك اجي الساعة كام الصبح وهتلاقيني في المعاد إن شاءالله.

- خلاص 7 الصبح تحت البيت.

- تحت أمرك.

أمسك حسن بهاتفه، واتصل برقم أسامة، كان أسامة جالسًا على أحد المقاهي، منفردًا بنفسه بعيدًا عن المشاكل التي تحيط به.. عندما رنَّ هاتفه ورأى اسم حسن

تردد.. هل يرد أم يتركه بلا رد؛ ردًا على إحراجه له، وجد من الأفضل أن يرد ربما اعتذرله.

وبصوت محاولًا الهدوء:

- ألو.. أهلًا يادكتور.

- ازيك يا أسامة.. ايه اللي خلاك تمشي بسرعة كده؟

- معلش محبتش اعطلك عن شغلك زي ما عطلت منى.

- لا أبدًا إنت نورتني.. المهم انا حبيت اعرفك اني كلمت اتنين من معارفي كل واحد على حدة وفهمته الموضوع وقلت له ان صاحبة الشأن في مقام أختي، فوعدونى ان الموضوع هيخلص قريب أوي إن شاءالله.. اطمن.

لم يصدق أسامة ما سمعه.. لم يتوقع اهتمام حسن وتجاوبه بهذه السرعة.. ندم على سوء ظنه.. حاول البحث عن كلمات أكثر من كلمات الشكر.. ظل يردد:

- أنا مش عارف اشكرك ازاي.. أنا متشكرأوي.

- لا شكر على واجب.. أنا كنت اتمنى اتدخل في اصلاح بس بدل أماني رغبتها كده خلاص.. ربنا يعوضها خير إن شاءالله.

- إن شاءالله.. أنا متشكر أوي أوي.

- العفو.. أي أوامر تانية؟

- لا العفو يا دكتور.. أنا متشكر أوي.

- لو حصل جديد ابقى طمنى.. مع السلامة.

- أكيد إن شاءالله.. مع السلامة.

* * *

دخل حسن منزله، وجد البيت هادئًا وأضواءه مطفأة - على غير العادة- ، اتجه إلى غرفته، وجد نادين نائمة، فمشى بهدوء كي لا يوقظها، رآها تفتح "الأباجورة" التي تجاورها:

- انت جيت ياحسن.. مش معقول الساعة مجتش 11.

- خلَّصت بدري النهارده وعندي 4 عمليات بكرة فقلت اخد راحتي في النوم شوية.

- طيب كويس انك لحقتنى قبل انام.. هحضرلك عشا عشان أم خالد نامت.

- لا أنا لسه ورايا شوية شغل خفيف كده هخلصه واجي انام.. هبقى اتصرف واكل أي حاجة.. نامي انتي ولو اني مستغرب نومك بدري.

- أعمل ايه.. لميس مصممة متروحش المدرسة بالباص وعايزة تروح بتاكسي وانا خايفة مش عايزاها تركب تاكسي لوحدها بدري كده فهقوم اوصلها وابقى اجيبها ان شاءالله.

- لأ خلاص أنا حليت القصة دي خالص.

- إزاي؟

- اتفقت مع مصطفى يجيبها ويوديها.

- وانت؟

- مالي؟

- افرض مواعيدكم تضاربت.

- ياستي.. فرضًا يعني لو حصل ابقى اخد أنا تاكسي المهم ابقى مطمن عليها.

- طيب الحمدلله ده انا كنت شايلة هم توصيلها.

- كملي نومك وانا رايح المكتب شوية.

- هتطوِّل؟

- لأ.. ملفات الحالات اللي عندي عايز اضيف عليها شوية ملاحظات.. بقالي اسبوع مش فاضي.

- هستناك.

* * *

عاد أسامة لمنزله بعدما اطمأن بمكالمة حسن وطمأن والدته وشقيقته، بحث عن منى في أرجاء المنزل لم يجدها، جلس قليلًا.. نظر في الساعة كانت تقترب على منتصف الليل، تردد.. هل يتصل بمنى أم ينتظر أم يتجاهل غيابها؟

قرر التجاهل.. لكن التجاهل تحول لانتظار، فكل خمس دقائق ينظر في الساعة، كل ربع ساعة يخرج للشرفة لعله يجدها آتية ثم يعود أمام التليفزيون محاوِلًا التجاهل ثم ينتظر وهكذا.. كان مترددًا بين الاتصال بها أو عدم الاتصال.. لكن كبرياءه منعه من الاتصال.

بعد أكثر من ساعة، سمع صوت الباب، تظاهر بعدم الاهتمام بتركيزه الوهمي في شاشة التليفزيون عندما رأته منى.. ألقت التحية ثم دخلت لغرفتها دون أن تفتح أي باب للمناقشة.

كان ينتظر عتابها حتى يتصالحا، ولكنها أفسدت عليه خطة التصالح.

أغلق التليفزيون، ذهب لغرفتها وجدها تبدل ملابسها، اتجه للسرير وسألها بنبرة جدية:

- اتأخرتي كده ليه؟

- كان عندي شغل.

- مكلمتنيش يعني تقوليلي انك هتتأخري.

كانت تمسك بعلَّقة الملابس وتعلق ملابسها بالدولاب، لم تكمل ما تفعله وظلت تنظر له بتعجب، فسألها:

- إيه مالِك؟؟ بتبصيلي كده ليه؟

علَّقَت ملابسها وأغلقت الدولاب واتجهت للكومودينو، و ناولته هاتفه:

- لأ.. شوف اتصلت بيك كام مرة.

- انتي اتصلتي بيا من شوية؟

- أنا مقلتش من شوية.. أنا اتصلت بيك كتير بعد ما نزلت وانت مردتش عليا.

- تقومي تسيبيني كده قلقان عليكي.

لم تستطع منى حبس دموعها.. تكلمت من خلال الدموع:

- أنا تعبت.. بجد طريقتك دي تعبتني.. مش كل مرة نتكلم فيها كلمتين تسيبني وتجري ومتردش عليا أو تقفل التليفون.. المفروض أي مشكلة نتكلم ونحلها مش تسيبني وتمشي.

ردَّ وهو يمسح دموعها بطرف إصبعه ويجلسها بجواره:

- أمشي فين.. ما انا برجع لك تاني.

لمسة إصبعه تخللت لقلبها، أغمضت عينيها.. كم تعشق حنانه.. وتكره طريقة اختلافه.. شعرت بقبلة حانية يطبعها على وجنتها.. فتحت عينيها.. كان مقتربًا منها يعانقها.. وكعادتها دائمًا بعد كل مشكلة بينهما.. في لحظة الصفاء، تتردد صوت نجاة الصغيرة داخل أذنها: "ما أحلى الرجوع إليه".

سمعته يردد في أذنها:

- متزعليش.. هو طبع بقى واستحمليه زي ما بتستحملي عصبيتي.. مش عارف اغيّر طبعي.

أجابته وهي تضمه أكثر:

- وانا مش عارفة اغير طبعي.. مش عارفة ازعل منك.

* * *

نزلت لميس في الصباح، وقفت تنظر حولها بحثًا عن السيارة، وجدت السيارة وبجوارها مصطفى في انتظارها، لم تكن قد رأت مصطفى سوى مرة واحدة عابرة، ولكنها سمعت عنه من والديها. اتجهت للسيارة.. وركبت في المقعد الخلفى. كان مصطفى يقف مسندًا ظهره لباب السيارة ينظر في عكس اتجاه المنزل.. كان شاردًا عندما سمع باب السيارة يغلق، نظر للسيارة فجأة.. وجد لميس بداخلها.. ركب بسرعة:

- صباح الخير.. أنا آسف اني مشفتش حضرتك.

- صباح النور.. ولا يهمك.

قاد مصطفى السيارة متجهًا للمدرسة التي عرف عنوانها من حسن بالأمس.. كان ينظر بين الحين والآخر للميس في مرآة السيارة، كان من الواضح أن النوم لم يغادر جفنيها كليًا، فقد كانت تتثاءب وهي مسبلة العينين أكثر من مرة. طوال الطريق لم يتبادلا أي كلمة.. وقف أمام باب المدرسة:

- تؤمريني بحاجة حضرتك؟

التفتت له وهي تنزل من السيارة:

- اسمي لميس.. حضرتي دي أوفر وانا أصغر منك بكتير.

أغلقت الباب وحدَّثته من الشبَّاك الأمامي:

- متتأخرش عليا الضهر عشان ببقى على أخري وعايزة اروَّح انام.

- حاضر.

اتجهت لميس في اتجاه باب المدرسة.. مصطفى يتابعها بنظراته.. همَّ أن يقود السيارة، ولكن استوقفه ما رآه؛ بمجرد اتجاه لميس للباب.. رآها أحمد الذي كان يقف ينتظرها مع وعد، اتجه إليها مسرعا وهو مبتسم:

- وحشتينى يا لولو.

تجاهلته ولم ترد عليه وتأبطت ذراع وعد، وأكملت طريقها لباب المدرسة، تبعها أحمد ووقف أمامها:

- هنا لازم هتردي عليا وتكلميني مش هتعرفي تهربي.

ردت بانفعال:

- أتهرَّب ليه وانا خايفة منك.. ده انت المفروض تحط وشك في الأرض من اللي عملته.. كتك القرف.. إوعى.

سمعت صوت خلفها يناديها باسمها:"ميييس".

التفتت وجدته مصطفى على بُعد خطوات قليلة منها.. سألها وهو ينظر لأحمد:

- فيه حاجة؟ حد بيضايقك.

سألها أحمد:

- مين عم الأمور؟؟

ردت لميس:

- لأ يا مصطفى مفيش حاجة.

وأكملت وهي تنظر لأحمد:

- واللي هيضايقني في المدرسة هروح لمستر علاء واقوله وهو هيعرف يتصرف.

تهديدها لأحمد صريح، ورغم أن مصطفى لا يعرف من هو مستر علاء، ولكنه استطاع أن يستنتج. أما أحمد فقد نظر لمصطفى باستعلاء ودخل المدرسة سابقًا وعد ولميس.

نظرت لميس لمصطفى وأشارت لوعد:

- ورانا رجالة ياكلوا الزلط.

ابتسم مصطفى بإحراج.. سألها بمزاح:

- أي خناقة؟

ضحكت هي ووعد وشكرته.. وودعته ودخلت باب المدرسة.

سألتها وعد:

- مين ده؟

- مش باين يعني انه السواق بتاعنا؟

- باين عليه دمه خفيف وجدع.

- باين كده.

* * *

في عصر أول يوم دراسي، يعود حسن من المركز عابسًا، وعلى غير العادة لا يلقي التحية على أم خالد ويتجه لمكتبه دون أن يتحدث، تتعجب أم خالد من طول بقائه في المكتب وعدم سؤاله عن نادين، تذهب ببطء وتطرق الباب طرقة خفيفة ثم تفتحه.

- عايز حاجة يا دكتور؟

- لأ.

- أحضرلك الغدا؟

يرد حسن بضيق:

- لأ.

- هتستنى مدام نادين؟

- هيَّ مش هنا؟

- لأ.. أصلها نزلت مع...

وقاطعها صارخًا:

- خلاااص.. سيبيني دلوقتي.. مصدَّع ومش قادر اسمع كلام كتير.

تنسحب أم خالد بهدوء بعد أن أحرجها أسلوب حسن الغريب والذي لم تعتَده من قبل. دخلت المطبخ، جلست مستاءة من رد حسن، رنَّ جرس الهاتف.. ردت بسرعة من المطبخ، فوجئت بأنها زوجة ابنها خالد، تبكي وتشتكي لها من مشكلة تمر بها مع زوجها وتطلب من والدته التدخل.

أما حسن فبعد خروج أم خالد من المكتب، كان يبدو عليه التفكير. أجرى اتصالًا لم يكتمل فالهاتف الذي يتصل به مغلق.. كرَّر الاتصال، وفي كل مرة الهاتف مغلق

همَّ أن يجري الاتصال من الهاتف الأرضي، ولكنه فوجئ به يرن وأدرك أن أم خالد ردَّت مسرعة، كانت أم خالد تستمع لزوجة ابنها باهتمام، وتحاول تهدئتها وإعطائها بعض النصائح لتهدئة الأمور.

أما حسن فكان منتظر انتهاء المكالمة حتى يجري مكالمته.. انتظر دقائق ورفع السماعة فسمع أم خالد تتحدث، أغلق السمَّاعة وظل منتظرًا.. دقائق أخرى وتكرر نفس الموقف.. مرة واثنان وثلاثة على مدى 20 دقيقة لم يكن متحملا لمزيد من التوتر.. غادر المكتب منفعلًا وذهب لأم خالد في المطبخ، وجدها مازالت تتحدث، صرخ فيها وعلى مسمع من زوجة ابنها:

- إيييييه.. كل ده رغي رغي رغي.. تليفوني مش عارف اتكلم فيه هو مفيش دم أبدًا ولا إحساس.

وقفت أم خالد مصدومة.. شُل تفكيرها وعجز لسانها عن الرد، ظلت السماعة معلقة والدموع بدأت تملأ عينيها، زادت عصبية حسن عندما لم يجد رد فعل من أم خالد:

- هتفضلي تبصيلي كتير.. اقفلي السماعة دي.

هجم على السماعة يُغلقها.. في نفس اللحظة التي عادت فيها لميس ونادين.. سمعا صوت صياحه، ردت أم خالد قبل أن ترى نادين:

- شكرا يا دكتور على مكافأتك ليا بعد خدمتي ليكم.. هي دي شكرًا بتاعتك.. تهزأني على مسمع مرات ابني.

- شكرًا إيه وخدمة إيه؟؟ انتي كنتي بتخدمينا لله ولا كنتي بتشتغلي وتاخدي مرتب.

ردت أم خالد بدموعها:

- معاك حق.. انت كنت باخد مرتب قصاد شغلي.. بس من النهارده أنا مش عايزة فلوسك.. حسبي الله ونعم الوكيل.

اندفعت نادين في غمرة اندهاشها لما تسمعه، لم تسمع حسن يتحدث من قبل بتلك اللهجة، دخلت مسرعة تتساءل:

- ايه اللي حصل؟؟ فيه ايه يا حسن؟

- مش عايز كلام كتير يانادين خلاص انتهينا.

تركها ودخل مكتبه أغلق الباب خلفه، حاولت نادين أن تلحقه، فتحت الباب وجدته مغلقًا، زاد تعجبها لما يحدث وتصرفات حسن غير المبررة، دخلت أم خالد غرفتها تبكي وتبعتها لميس.

- رايحة فين؟

أم خالد ببكاء:

- ماشية.

بكت لميس هي الأخرى:

- لأ متمشيش وتسيبينا.

- هبقى اكلمك يا لميس.

جاءت نادين ، وجدت أم خالد تحزم حقيبتها، فسألتها:

- هوَّ في ايه؟؟

- والله ما عارفة انا عملت ايه عشان يبهدلني كده.

- طيب صلِ ع النبي كده وروَّقي واغسلى وشك وسيبي الشنطة دي.

- إلا الكرامة يا مدام نادين.. أنا بشتغل هنا وعمري ما حد داس لي على طَرف.. أجي النهارده بعد العمر ده كله واتهزأ على مسمع من مرات ابني.

- طيب احكيلي حصل ايه بالظبط.

وحكت أم خالد ما حدث بالتفصيل دون زيادة أو نقصان، ولم تجد نادين سببًا يستدعي كل ما حدث، ولم تفلح محاولاتها في إبقاء أم خالد، وتركت المنزل بدموع لميس وغصة في قلب نادين.

بعد نزول أم خالد.. ظلت لميس تبكي:

- ليه كده يامام.. ازاي تسيبها تمشي.

ردت لميس بقلة حيلة:

- كنت هعمل ايه بس يا لميس.. انتي مشفتيهاش صممت ازاي.

- بابي ليه يزعق لها كده.

- لميس كفاية يا حبيبتي أنا مش عارفة حاجة لما اعرف هقولك.

ذهبت نادين لمكتب حسن، طرقت الباب وحاولت فتحه كان الباب مغلقًا من الداخل، وسمعت صوتًا غير مُفسر فأدركت أن حسن يتحدث في الهاتف.

عادت للميس مرة أخرى، جلست أمامها:

- قومي يا لميس اغسلي وشِّك وروحي شوفي وراكي إيه؟

- يعني كده دادة خلاص مش راجعة تاني.

- لأ طبعًا، هسيبها يومين تهدى واحاول معاها تاني.

- بجد يا مامي.

- أكيد يا لميس.. البيت ميستغناش عنها.. قومي كمِّلي مذاكرتك عشان تلحقي تنامي بدري.

دخلت لميس غرفتها، وظلت نادين مكانها حتى سمعت صوت باب المكتب يفتح وحسن مغادر، استوقفته قبل أن يصل للباب:

- استنى يا حسن.. قبل ما تنزل فهِّمني ايه اللي حصل.

- اللي حصل حصل خلاص ومش عايز كلام كتير.

- هو انا مش المفروض افهم ايه اللي بيحصل في بيتي.

- شغالة ومشيت.. إيه؟؟ الدنيا هتخرب؟

- طيب ليه؟ أنا عايزة افهم بس.

وتحدث بمنتهى العصبية:

- عايز اعمل تليفون مهم وهيَّ عمَّالة ترغي في التليفون ومفيش أي إحساس بالمسئولية.

- طيب متكلمتش من الموبايل ليه؟

- تليفون طارق كان مقفول ومش عارف هلاقيه فين.. استوقفها اسم طارق.. فكررت:

- طارق؟؟ طارق مين؟

- طارق متولي.

- المحامي؟؟

- أيوة.

- وانت عايزه أوي كده ليه.

أنهى حسن الكلام واتجه ليفتح الباب:

- بعدين يا نادين.

لحقته نادين ووقفت في طريقه وأغلقت الباب:

- لأ مش بعدين.. أنا لازم افهم.

ردَّ حسن بانكسار.. وقلق:

- واحدة ماتت النهارده وانا بولِّدها.. ماتت بين إيديا فجأة.

سألته نادين بتأثر:

- ماتت ازاي؟

- ماتت.. وانا بولدها وخلاص خلَّصت وبخيط الجرح لقيتها ماتت في إيدي.

كان صوته يقطر ألمًا، وقلقًا، حاولت نادين أن تخفف عنه رغم تأثرها:

- الله يرحمها.. عمرها كده انت ملكش ذنب.

- أكيد.. أنا كل شغلي كان صح.

- طيب ده ايه علاقته بطارق.

وبعد تردد.. أجابها:

- أهل المتوفية قالوا هيبلغوا النيابة ويتهموني بالإهمال والتسبب في وفاتها.

صرخت نادين:

- اييييه.. يبلغوا النيابة؟!

ردَّ منفعلًا وهو يحاول أن يخفض صوته:

- ششششششش.. لميس هتسمع.. مش عايز حد يعرف حاجة وانا مكنتش عايز أقولك.

- كنت هتخبي عليا يا حسن.

- أيوة.. أنا نازل.

- حسن.. استنى فهِّمني هيحصل ايه.

- أنا نفسي مش عارف.

- طيب راح المركز؟

- لأ مش قادر اشتغل أعصابي مش مستحملة.

- طيب رايح فين؟

- رايح لطارق أسأله.. لو بلَّغوا صحيح موقفي هيكون إيه.. وكفاية أسئلة يا نادين بقولك أعصابي مش مستحملة.

تركها وخرج.. تركها ينهش قلبها القلق والأفكار المتلاحقة والتوقعات لما قد يحدث في الأيام التالية.

* * *

حاولت منى التعتيم على حالة الوفاة بعد الهرج والمرج الذي ساد المركز أثناء استلام جثة المتوفية وتجمع أهلها، أجَّلت ما يمكن تأجيله من عمليات وحمدت الله أنه لم تأتِ أية ولادة مفاجئة.. واستطاعت احتواء الموقف بعد ما تركها حسن في المركز وحدها.

في المساء.. وبعد انتهاء أحد الكشوف وقبل أن يدخل الكشف التالي دخلت مساعدتها وفاجأتها:

- دكتورة منى.. فيه عسكري جاب الاستدعاء ده.

تناولت منى الورقة المشار إليها.. قرأتها، نظرت لمساعدتها:

- هعمل تليفون مهم.. متدخليش حد إلا لما اقولك.

خرجت المساعدة.. أمسكت منى بموبايلها واتصلت:

- آلو.. حسن انت فين؟؟ جالك استدعاء للنيابة ومكتوب انك لازم تروح بكرة الصبح.. آه جه هنا على المركز.. آه أنا قاعدة شوية لسه.. هتبعت مصطفى؟ ماشي هبعتهولك معاه.. سلام..

* * *

- 11 -

قضى حسن ليلته مؤرَّقًا لم يستطع النوم لحظة واحدة، فطوال حياته المهنية لم يخطئ أبدًا ولم يتعرض لموقف مشابه، كان قلِقًا للغاية.. لم تطمئنه كلمات طارق بعدما رأى استدعاء النيابة فقد كان يستشعر خطرًا يقترب.. حياته ومستقبله ومستقبل أسرته على حافة الضياع.. كانت ترتسم سيناريوهات للأيام المقبلة أمام مخيلته لم يكن بينهم ما يدعو للتفاؤل أبدًا.

استيقظت نادين بعد إحدى غفلاتها المتقطعة.. رأت حسن جالسا بجوارها.. فاعتدلت جالسة:

- لسه منمتش برضه ياحسن.

- شوية وانام.. نامي انتي.

- متخافش إن شاءالله خير.

- هكذب لو قلتلك اني مش خايف يا نادين.. أنا خايف أوي.. خايف على اسمي ومركزي اللي عملتهم بطلوع الروح والشقا وسهر الليالي.. خايف على بنتي اللي لو سُمعتي اتأثرت هي كمان مستقبلها هيتأثر.. خايف اضطر اسيبكم لوحدكم غصب عني.

ارتعبت نادين من كلامه.. اغرورقت الدموع في عينيها.. اقتربت منه وضمته إلى صدرها:

- لا يا حسن.. إن شاءالله مش هيحصل أي حاجة من دي.

شعر حسن بالأمان في ضمتها له.. والحب والدفء.. كان بحاجة إلى الإحساس بالأمان.. ولكنه تماسك، أرجع رأسه للخلف ونظر في عينيها مباشرة، وأردف وهو يمسح دموعها:

- نادين.. مش عايز لميس تعرف حاجة لحد ما نشوف هيحصل ايه.

- حاضر.. بس ليه طارق مقابلش أهل الست دي واتفق معاهم يتنازلوا.

- هو مستني بيقول لما يشوف تحقيق النيابة هيمشي ازاي.

- متروحش.

- مينفعش.

- ليه مينفعش.. متروحش وسافر.

- أهرب يعني؟؟ هو انا عملت حاجة عشان اهرب يانادين.

- أنا خايفة.

- ربنا يستر.

حاول كل منهما طمأنة الآخر.. وبما أن فاقد الشيء لا يعطيه، فقد تعذَّر على كل منهما تصدير مشاعر يفتقدها وظلَّ القلق يجمعهما حتى الصباح.

* * *

صباح اليوم التالي.. كان صباحًا مختلفًا.. فقد استيقظت لميس متأخرة عن موعدها، دخلت الحمَّام وارتدت ملابسها على عَجَل.. البيت هادئ تمامًا.. لم تجد فطورها مُعدًّا، رغم أنها كانت ترفض تمامًا أن تجلس لتتناول الإفطار،

إلا أنها افتقدت أم خالد جدًا هذا الصباح. كانت تملأ أركان البيت حركة، توقظها في موعدها، ترجوها لتناول الإفطار، ولكنها تمتنع فتركض خلفها حتى باب المنزل ببعض اللقيمات التي تأكلها إرضاءً لها.

عندما استعدت للنزول، ذهبت لغرفة والديها، طرقت الباب طرقة خفيفة.. فسمعت حسن:

- تعالي يا ميس.

دخلت ميس ووقفت بجواره:

- صباح الخير يا بابي.

- صباح النور.. انتي نازلة؟

- أيوة.. وكنت عايزة فلوس.

نهض حسن من فراشه بهدوء حتى لا يوقظ نادين.

- أصحِّي مامي؟

- لا سيبيها نايمة.. انتي عايزة حاجة تانية؟

- لا ميرسي.

ناولها النقود.. ثم ضمها إليه.. تعجبت ميس؛ فليس من عادته أن يودعها قبل نزولها المدرسة. نظر في الساعة:

- يالا عشان متتأخريش.. مصطفى زمانه تحت.

- أوك.. أقوله حاجة؟

- لأ.. أنا متفق معاه هيجيلي إمتى.

غادرت لميس المنزل.. وكان بالفعل مصطفى في انتظارها، تبادلا تحية الصباح ولم يتبادلا أي حديث آخر، وعندما توقف أمام باب المدرسة.. نزلت لميس قبل أن يفتح لها الباب، وسألها:

- الدكتور عامل ايه؟

ردت بتلقائية:

- الحمدلله.

- حصل أي حاجة جديدة؟

- على إيه؟

- في مشكلة امبارح.

بدأ القلق يساورها فسألته لتفهم

- أي مشكلة؟

أدرك مصطفى أن لميس لا تعلم شيئًا.. فتراجع عن كلامه.

- لا أبدًا.. مشكلة كده وخلصت.. بعد إذنك.

ربطت لميس بين كلام مصطفى وعصبية حسن أمس ونظراته وضمه لها وهو يودعها، استوقفت مصطفى ولحقته قبل أن يقود السيارة ووقفت بجوار نافذته: - في ايه يا مصطفى؟ بابي ماله؟

حاول أن يبحث عن سبب، فسألته لميس مجددًا:

- بتفكر ليه؟؟ هو في حاجة تستدعي انك تخبي عليا.

أجابها مصطفى بصدق:

- ما دام انتي مش عارفة يبقى الدكتور مش عايز يعرَّفك.. فأرجوكي بلاش تتسببي لي في مشكلة.

سألته برجاء:

- قولِّي ومش هقول لحد.

صمت مصطفى.. فكررت سؤالها مستجدية:

- أوعدك مش هقول انك قلتلي حاجة.

تردد مصطفى للحظات ثم أجابها:

- الدكتور رايح النيابة النهارده عشان الست اللي ماتت امبارح وهو بيولدها.

صرخت لميس صرخة مكتومة وهي تكمم فمها:

- شفتي.. أهو انا مكنتش عايز أقولك حاجة عشان رد فعلك ده.

استدارت لميس وركبت السيارة مرة أخرى.. التفت لها مصطفى، فعاجلته قبل أن يسألها:

- رجَّعني البيت.

- والمدرسة؟!

- مش رايحة النهاردة.

وبكل قلق أكد عليها مصطفى:

- طيب أنا ذنبي إيه تتسببي لي ف مشكلة!

- مش هقول حاجة يا مصطفى خلاص أنا وعدتك.. أنا قلقانة على بابي وعايزة اكون معاه.. رجَّعني وانا هقوله اني تعبت ومقدرتش ادخل المدرسة فرجعت ارتاح.

استسلم مصطفى لأمرها، وقاد السيارة عائدًا للبيت.

* * *

لم تفصح لميس عن السبب الحقيقي لعودتها كما وعدت مصطفى، ما حسن فلم يكن في حالة تسمح له بغير تصديقها.. في الساعتين ما بين رجوع لميس ونزول حسن.. كانت تتبعه في كل خطوة داخل المنزل.. حتى لاحظت نادين واستنتجت نه شعور ما بالخطر ربما استشعرته لميس دون معرفة سبب.. فقلقت أكثر.

لحظة خروج حسن، كانت لميس ونادين تتبعانه حتى باب المنزل، استوقفته نادين وسألته:

- أنا عايزة اعرف أسوأ الفروض يعني ممكن يحصل ايه؟

فاستغلت لميس كلمات نادين وعلقت:

- أنا حاسَّة ان فيه حاجة مخبينها عليا.. في إيه؟

وانفعل حسن:

- ليه كده يا نادين؟ مش قادرة تصبري لحد ما نعرف هيحصل ايه.

- أيوة مش قادرة.. وعايزة اجي معاك.

حسن بجدية:

- تيجي فين.. هو انا رايح اتفسح.

تساءلت لميس من جديد:

- انتوا هتتخانقوا ومحدش يرد عليا؟!

حسن لنادين:

- ادخلي يا نادين وخلِّي بالك من لميس وإن شاءالله اروح وارجع.

قبَّل نادين من رأسها، وضم لميس إليه، وودعهما ونزل.

* * *

حكت نادين للميس ما عرفته من حسن. قضيتا ساعات الانتظار كعقود من الزمان، كلما ازداد قلق نادين، اتصلت بحسن وجدت هاتفه مغلقًا.. وفي الثانية ظهرًا، رنَّ هاتف نادين.. وعندما رأت اسم حسن، ردت بلهفة:

- آلو.. حسن طمني عملت إيه.

جاءها صوت حسن حزينًا:

- خدت 4 أيام حبس يا نادين.

صرخت نادين وهي تبكي ولميس تبكي على بكائها، فاستدرك حسن قائلًا:

- خلاص خلاص.. اهدي شوية في ايه.. أنا خرجت بكفالة.

اختلطت السعادة بالدموع التي لم تتوقف بعد في عيون نادين.. سعادة ودموع اختلطت بغضب..

- كده يا حسن.. حرام عليك كنت هتوقف قلبي.

- سلامة قلبك يا نادين.. الحمدلله ربنا كريم وطارق قدر يقنع وكيل النيابة اني اخرج بكفالة.. هي كانت كبيرة شوية بس الحمدلله اني خرجت.

- كفالة يعني لسه القضية مش كده؟

- أيوة لسه طبعًا.. أملي كبير في ربنا ان تقرير الطب الشرعي يثبت براءتي.

- إن شاءالله ياحسن.. إن شاءالله.. انت فين دلوقتي؟

- أنا في المركز وشوية وجاي.

- ترجع بالسلامة.

أنهت نادين المكالمة مع حسن وهي تتمتم بالحمد والشكر لله.

سألتها لميس بعدما فهمت مضمون المكالمة:

- مش هو خرج خلاص.. يبقى ليه قلتي القضية لسه؟

- خرج بكفالة يا لميس الحمدلله.. ومستنين تقرير الطب الشرعي.

- يعني ممكن بابي يتحبس لو التقرير ده فيه حاجة.

- بعد الشر.. متقوليش كده تاني.. إن شاءالله يخرج منها.

* * *

بعدما أغلق حسن الهاتف علقت منى على مكالمته:

- حرام عليك يا حسن خضيتها.

- والله يا منى انا كنت مرعوب مخبيش عليكي وطارق امبارح قالي اتوقع ان ممكن يكون فيه حبس على ذمة التحقيق لحد تقرير الطب الشرعي ودي حاجة متوقعة.

- يا خبر.. الحمدلله انها جت على قد الكفالة ورجعت لنا تاني.

- الحمدلله.. قوليلى الفلوس اللي بعتيها مع مصطفى أخدتيها منين؟

- خدتهم من الحسابات وقلت للمحاسب يعلقهم لحد ما ترجع وتشوف هتكتبهم ايه.

- تمام تمام.

رنَّ هاتف منى.. ده أسامة.. أكيد بيطمن عليك. ردتمنى على الهاتف:

- آلو.. أيوة يا أسامة.. الحمدلله رجع بالسلامة.. خرج بكفالة.. أه موجود اهو ثواني.

ناولت الهاتف لحسن: أسامة عايز يكلمك.

تناول حسن الهاتف ورد على أسامة.. وبعد السلامات التقليدية، بادره حسن سائلًا:

- وأخبار أماني ايه؟

أتاه صوت أسامة مجيبًا:

- الحمدلله بخير هي وماما بيسلموا عليك كتير.

- الله يسلمهم.. مفيش جديد من جوزها.

- لا والله لسه مفيش أي جديد.. كلمها مرتين من بعد ما طلبت الطلاق على النت أول مرة قالت له انها مصممة على الطلاق وتاني مرة مردتش عليه ومن ساعتها لا حِس ولا خبر وقاعدة لاطايلة سما ولا أرض.

- أنا هكلم معارفي تاني.. أنا مش ناسي والله يا أسامة.

- كتر خيرك يا دكتور.. ربنا يفك كربك إن شاءالله.

- متشكر أوي يا أسامة.. منى معاك.

تناولت منى الهاتف وأشارت لحسن بالاستئذان في المغادرة، وعند خروجها من المكتب اصطدمت بمختار الذي دخل مندفعًا وبمنتهى العصبية سأل حسن:

- انت قلت ايه عليا لوكيل النيابة.

فوجئ حسن بكلام مختار.. فردد كلامه:

- قلت عليك؟؟

توقفت منى على باب المكتب متعجبة مما يحدث.. أنهت مكالمتها على الفور، وعادت للمكتب مرة أخرى ووقفت بجوار حسن، عندما استطرد مختار:

- أيوة.. أنا لولا اني كنت واخد معايا محامي كان زماني في التخشيبة مع المجرمين وانت السبب.

هبَّ حسن واقفًا وهو يخبط بيده على مكتبه:

- أولًا انت توطي صوتك وانت بتكلمني.. ثانيا انت ناسي ان انا وانت كنا في العملية مع بعض وزي ما انا متهم انت كمان متهم لحد مانعرف سبب الوفاة إيه بالظبط.

- أنا مالي.. ماتشوف انت عملت ايه.

- أنا كل شغلي سليم وانت عارف ومتأكد ان عمر ماحصل معايا حاجة زي دي.

- ولا انا.

- انت بتقارن ايه بإيه.. انت بتقارن شغلك اللي ميعديش 5 سنين بشغلي اللي بشتغله بقالي أكتر من 25 سنة.. اتعدل في كلامك يا مختار.

قاطعته منى:

- انت هتشرح له الفرق بينكم يا حسن.. إيش جاب لجاب.. هتقارن الدكتور الملتزم المتفاني في شغله بدكتور معندوش أي مسئولية.

ردَّ مختار:

- انتي مالك.. ولا لازم تشهدي لوليّ نعمتك.

حسن وهو يجلس بهدوء:

- مشوفش وشك هنا تاني يا مختار.. ولا في أي حتة تانية.. بره.

خرج مختار وهو يهدد ويتوعد. ربتت منى على كتف حسن:

- متضايقش نفسك يا حسن.

- ولا اتضايق ولا حاجة سيبك منه وخلينا نشوف شغلنا.

* * *

في الأيام التالية، وبسبب عدم وجود أم خالد، شعرت نادين بثقل مسئولية البيت.

كانت تشعر بأن كل شيء حولها غير مرتب.. وإن حاولت ترتيبه لا ترضيها النتيجة.. شعرت أن محاولتها اللاهثة في الإبقاء على البيت نظيفًا مرتبًا أبطئ كثيرًا من المفروض عليها.. مما جعلها شديدة العصبية والحساسية مما حولها، حتى رفعت راية الاستسلام وبادرت حسن في أحد الأيام أثناء تناول الغداء:

- حسن.. أنا مبقتش قادرة على شغل البيت.

- طيب شوفي حد مستنية ايه.

- أنا لسه هشوف واتعود واعوّدِ.

- عايزة ايه يا نادين؟

- عايزة ارجَّع أم خالد.

صمت حسن لحظات استرجع فيها آخر لقاء له مع أم خالد.. ثم قال:

- أنا كنت سخيف أوي معاها آخر مرة.. مش عارف لو رجعت هتعامل معاها تاني ازاي.. هي كمان مستحملتنيش وانا متنرفز مع انها كانت أول مرة تحصل مني حاجة زي دي.

- معلش.. أنا هروح لها واتفاهم معاها واشرح لها السبب واعتذر لها.

- لا ياناادين.. متصغرنيش قدامها وتعتذري لها.

- بس انت غلطت فيها.

- وهيَّ كمان ردت ودعت عليا.. لو عايزة ترجعيها فهميها اني وافقت على مضض بعد ما اتحايلتي عليا واني زعلان من ردها.

ردت نادين باستسلام رغم عدم اقتناعها:

- حاضر يا حسن.. اللي تشوفه.

* * *

ذهبت نادين لزيارة أم خالد في منزلها بدون موعد مسبق. عندما طرقت الباب، فتح لها طفل في عمر 5 سنوات تقريبًا، وعندما نظرت للداخل وجدت البيت مزدحمًا، فسألت الطفل:

- فين أم خالد؟

أتتها سيدة من الداخل.. وعندما رأتها:

- مين.. مدام نادين.. أهلًا وسهلًا اتفضلي.

لم تكن تلك السيدة إحدى بنات أم خالد.. فسألتها نادين مرة أخرى:

- أم خالد موجودة؟

- أيوة.. ماماااا ياماماااا.. اتفضلي حضرتك.

دخلت نادين بخطوات متباطئة.. عندما رأت أم خالد آتية تجفف يديها بفوطة مطبخ: "مين يا سارة؟".

عندما رأت نادين، أقبلت عليها مرِّحبة وهي تسلم بحرارة:

- أهلًا يا مدام نادين.. خطوة عزيزة.. اتفضلي.

جلست نادين في الأنتريه، وأمسكت سارة بطفلة رضيعة تبكي تحاول تهدئتها، وطلبت من الصغير أن يدخل لمشاهدة التليفزيون.

قالت أم خالد مرحِّبة:

- منورة يا مدام نادين.. وازيّ لميس وحشاني أوي.

- لو وحشاكي كنتي سألتي عليها ولَّا جيتي.

- معلش.. هبقى اكلمها إن شاءالله.. تشربي إيه.

وهمت أم خالد بالذهاب للمطبخ.. ولكن نادين استوقفتها:

- لأ، شكرًا.. أنا جاية اتكلم معاكي شوية.

جلست أم خالد مرة أخرى.. فاستطردت نادين:

- هااا.. هترجعي إمتى؟ البيت وحِش من غيرك.

- تسلمي يا حبيبتي.

- أنا مش بجاملك.. فعلًا البيت وحش من غيرك.

- ربنا يكرمك.. دايمًا عامر بأصحابه بس سامحيني أنا مش هقدر أرجع.

- ليه بس.. ده انا جاية اراضيكي.. لو تعرفي حسن كان ماله يومها هتعذريه.

- معلش يا مدام نادين.. مش عايزة اعرف.. هو أهانني أوي.

ابتسمت نادين محاولة التخفيف من الموقف:

- إهانة ايه بس.. ده انتي على راسنا من فوق.

- تعيشي ياحبيبتي.. بس زي ما انتي شايفة الحمدلله أنا مش محتاجة الشغل ومن زمان وولادي عايزنّي اقعد بس انا مكنش هاين عليا العشرة.. إنما الدكتور معملش حساب العشرة وبهدلني.. يالا هوَّ النصيب اتقطع لحد كده.

- يعني ولا حتى عشان خاطري.

- سامحيني.. مش هقدر.

نهضت نادين بعد أن أخرجت ظرفًا من حقيبتها:

- طيب اتفضلى يا أم خالد.. ده حسابك.

مدت أم خالد يدها تأخذ الظرف:

- شكرا.. متنسيش تسلميلي على لميس.

- يوصل إن شاءالله.. بعد إذنكم.

نهضت نادين مغادرة.. بعد أن خاب سعيها لإعادة أم خالد للعمل مرة أخرى.

* * *

لم يخطر ببال حسن قط أن ثقته بنفسه ستهتز يومًا ما، لكنه اكتشف أن هذا ما حدث بالفعل بعدما مرَّ بتلك التجربة القاسية. قسوة التجربة لم تكن في الإشفاق على الشابة المتوفاة وصدمة أهلها كما خُيَّل لنادين في الأيام الأُوَل، وإنما خوفه تمثل في اللحظة التي كاد أن يفقد فيها حريته ومستقبله وسمعته التي تُعَد جُزءًا أساسيا من رأس ماله المهني.

حاول أن يتخطى إحساسه بعد ما خرج من النيابة بكفالة، ولكنه عندما عاد لعمله مرة أخرى، وجد نفسه يختلق الأعذار للتهرب من العمل فكان يحوِّل أغلب الولادات لمنى ويكتفي بالإشراف عليها أو الانهماك في كشوف متابعة الحمل. كانت الأيام تمر بطيئة فقد كان ينتظر تقرير الطب الشرعي كمن ينتظر الحكم بالحياة أو الموت.. فحياته تتمثل في عمله ونجاحه وحرمانه منهم هو الموت بعينه.

أما نادين فقد زاد الضغط عليها سواء ضغط الأعباء المنزلية التي لم تتعود عليها من قبل.. أو ما تستشعر به من تغير في روتين حسن، فأصبح يتواجد في المنزل أكثر من الأول، ولكنه يجلس في مكتبه شاردًا وإن حاولت نادين أن تتجاذب معه أطراف الحديث يطلب منها أن تتركه وحده للعمل فتستسلم بهدوء.

وعلى جانب آخر كانت لميس تُحمِّلها مسئولية ترك أم خالد للمنزل نهائيًا لأنها لم تبذل جهدًا أكثر لإقناعها بالعودة، فكانت دائمًا تشعرها بالفرق وأن أم خالد كانت تعرف عنها وتلبي لها مطالبها من قبل أن تطلبها على عكس نادين وهو ما ترك أثرًا سيئًا في نفس نادين.

صمدت أسبوعًا، وفي آخره طلبت من حسن أن تأتي بمديرة منزل بديلة عن أم خالد، فوعدها أن يبحث وطلب منها أن تبحث هي الأخرى في اتجاه آخر؛ بشرط أن تكون عن طريق أحد معارفهم الموثوق به.

لم تكن أماني أحسن حالًا كما كانت تُبدى.. كان أسامة يزور بيت والدته يوميًا، ويتجاذب معها أطراف الحديث، فيجدها متفائلة مقبلة على الحياة، سعيدة بوجودها وسطهم بعكس الحقيقة التي كانت تشغلها عندما تنفرد بنفسها فتظل تفكر وتتساءل عن نهاية لوضعها وهل ستحصل على الطلاق فعلًا أم أنها مع الوقت ستيأس وتعود مرة أخرى لسيد.. عندما تأتيها تلك الفكرة ترفضها تمامًا وتقتنع بأن وضعها الحالي أفضل مما كانت عليه مع سيد.

لميس مع بدء الدراسة وبداية انشغالها بالدروس الخصوصية والمذاكرة، جعلت كل فرد من أفراد المنزل منشغلًا عن الآخرين رغم تواجدهم في بيت واحد.. فقد يمر يوم أو أكثر دون أن يجتمع ثلاثتهم على وجبة واحدة.

فصباحًا تغادر المنزل أثناء نوم والدها ووالدتها وعند عودتها غالبًا لم تكن نادين قد انتهت من إعداد الغداء فتأكل أية وجبة سريعة قبل أن تنام أو تذهب للحاق بموعد الدرس الخصوصي، وعند عودتها قد تجد نادين في انتظارها أو تجدها تناولت غداءها مع حسن، وتعودت أن تفطر يوميًا مع مصطفى بعد صدفة عادية.. فبعد أيام قليلة من ذهاب أم خالد.. وعند ركوبها السيارة، كان مصطفى يتناول طعامه.. عندما تسللت لأنفها رائحة جعلتها تتساءل:

- ريحة ايه دي يا مصطفى؟

ارتبك مصطفى وترك السندوتش في الكيس وأغلقه ومسح فمه بمنديل:

- أنا آسف أصل ملحقتش افطر قبل ما اجيلك فجبت سندوتشات.

- بتتأسف ليه.. كمل فطارك عادي.. أنا بسأل بس أصل الريحة حلوة أوي.

نظر لها في المرآة وسألها:

- تعرفى الفول؟

ضحكت لميس.. انفجرت ضحكًا مما أثار دهشة مصطفى، دمعت عيون لميس من كثرة الضحك.. فسألها:

- طيب فهميني بتضحكي على إيه؟

- بذمتك فيه مصري ميعرفش الفول ويحبه كمان.

- بتحبيه؟

- أه طبعا.. هو أنا مباكلوش إلا كل فيين وفيين بس لما بتيجي فرصة مش بفوّتِها.

- يعني اقدر اقولك اتفضلي معايا ولا هتكسفيني.

- أنا مش هكسفك بس ممكن آكل أكلك.

- لقمة هنية تكفي 100.. اتفضلي.

تناولا إفطارهما معًا في طريقها للمدرسة، وبعد أن انتهت من تناول السندوتش:

- شكرًا يا مصطفى.. ممكن تبقى تجيبلي معاك بكرة.

- طبعا.. أنا تحت أمرك.

- مصطفى ممكن تبطل تتعامل معايا بالطريقة دي.

تعجب مصطفى فسألها:

- أنا ضايقتك في حاجة؟

- لأ.. بس بحس انك بتتعامل معايا كأني بابي أو مامي.. كلامك معايا كله آسف وأمرك وانا مش حابة الطريقة دي.

- دي احترام لمقامك.. انتي بنت الدكتور اللي مشغَّلني.

- هو الاحترام لازم يكون بالكلام بس.. والاحترام بيكون عشان بابي صاحب الشغل؟

- يعني..

وارتبك.. تردد هل يجيبها بالنفي أو الإثبات.. تحيَّر.

- أنا مش عارف يعني لما احترمك عشان انتي بنت صاحب شغلي دي حاجة حلوة ولا وحشة من وجهه نظرك.

- مش فكرة حلوة أو وحشة.. فكرة ان الاحترام مش بس بكلمة حضرتك وأمرك ويافندم ويا باشا.. ما انا بحترمك وبتكلم معاك عادي.. بحترمك عشان انت شخص محترم.

- متشكر ربنا يخليكي.

ابتسمت وعلقت على ابتسامته الخجولة:

- من زمان مشفتش ولد بيتكسف.

زاد خجله ولكنه سألها فجأة:

- انتي تعرفي ولاد كتير يعني؟

عبست.. وتبدلت ابتسامتها.. وردت بجدية:

- متهيألي انت شفت ان المدرسة بتاعتي مشتركة و من "كي جي 1" وانا معايا ولاد زمايلي.

فوجئ مصطفى برد الفعل العنيف من وجهة نظره، فوضَّح موقفه بسرعة:

- انتي فهمتى ايه.. أنا مقصدتش اضايقك أنا بتكلم معاكي عادي والله.. أنا آسف، أنا غلطان اني سألتك.. أنا هسكت ومش هتكلم تاني.

شعرت لميس بصدقه، وندمت على تسرعها:

- خلاص يا مصطفى.. محصلش حاجة.

- بجد مش زعلانة.

- أيوة.. مفيش حاجة خلاص.

- طيب احلفي انك مش زعلانة.

شعرت لميس بطيبة.. جعلتها تبتسم:

- والله مش زعلانة.

- طيب ممكن اسألك سؤال وهسكت خالص.

- اسأل.

- مين اللي اتخانقتي معاه أول يوم مدرسة؟

صمتت لميس قليلًا، فاستدرك مصطفى:

- خلاص خلاص.. مش هسأل تاني.. وصلنا.

وقف مصطفى بالسيارة أمام المدرسة، ترجلت لميس.. ومصطفى ينظر بعيدًا من نافذته، انحنت لميس قبل أن تغلق الباب:

- مصطفى..

التفت لها مصطفى:

- نعم..

- أنا مزعلتش منك.. واحنا راجعين هحكيلك.. حاسة اني عايزة احكيلك، واتكلم معاك كتير مش عارفة ليه.

أنهت لميس كلامها واغلقت الباب، واتجهت لباب المدرسة.

ظل مصطفى واقفًا يتابعها بعينيه، متشوقًا لانتهاء اليوم الدراسي حتى يسمعها.

وبالفعل في نهاية اليوم وعند عودتهما.. حكت لميس عن أحمد وعن مشاعرها البريئة التي كانت تكنها له.. وحكت عن أنها أنهت علاقتها به بسبب سوء أخلاقه.

وعلى مدى الأيام التالية، زاد التقارب بين لميس ومصطفى، وسمى كل منهما بينه وبين نفسه تلك العلاقة بالصداقة.

* * *

في غضون أيام قليلة جاءت شقيقة إحدى العاملات بالمركز للعمل في منزل نادين.

في أول يوم كانت نادين تراقبها جيدًا تدون أن تصرِّح بذلك، فقد كانت تتبعها في كل أرجاء المنزل بحجة الإشراف على عملها ودلها على كل ما تحتاجه.

في العصر وبعد عودة لميس من المدرسة، رنَّ هاتف نادين باسم حسن، فاستنتجت أنه يتصل بها للسؤال عن حميدة، ردت بصوت خفيض:

- آلو.. أيوة يا حسن.

وبصوت يملؤه الفرح:

- نادين حبيبتي باركيلي.

تعجبت نادين وسألته:

- مبروك يا حبيبي.. بس على ايه؟

- أنا براءة يا نادين خلاص.

- التقرير طلع خلاص؟

- أيوة.

- وسبب الوفاة طلع ايه؟

- جرعة زايدة في التخدير أدت لنقص حاد في الأكسجين وهى اللي سببت الوفاة.

- الله يرحمها.. ومبروك يا حسن ألف مبروك.. الحمدلله ان الموضوع ده خلص.

- الحمدلله.. كده الواحد يعرف يشتغل بمزاج.

- اشتغل وركِّز في شغلك وانسى التجربة دي خالص.. فهمني بقى هو كده السبب يبقى دكتور مختار.. صح؟

- أيوة.. هو اللي غلطان يا نادين.. حذرته كتير من استهتاره وعدم التزامه بمواعيده ومفيش فايدة.

- يعني هيتحبس؟

- مش حبس وبس.. ده اتوقف عن العمل واحتمال يتشطب من النقابة.

- يا عيني.

- هو اللي غِلِط واللي غِلِط لازم يتحمل نتيجة غلطته.

- معاك حق.. المهم عايزة اقولك ان مهما شفت مش هلاقي زي أم خالد.

- ليه.. هي الجديدة مش مريحاكي.

- مش زي أم خالد برضه.

- هي اللي رفضت ترجع.. هي حرة.. مش هتلوي دراعنا.

- أمري لله.. أحاول اتعود على حميدة وخلاص هي برضه مش وحشة أوي.

- معلش يا نادين .. بكرة تاخدوا على بعض.. هسيبك واكمل شغل مش عايزة حاجة؟

- راجع إمتى؟

- مش عارف.. هكلمك وانا راجع ولو عايزة حاجة قولي لمصطفى يجيبهالك وهوَّ بيجيب نادين من الدرس.

- حاضر يا حسن.. مع السلامة.

أنهت نادين مكالمتها مع حسن وقلبها يكاد يطير من فرط سعادتها أن الكابوس انتهى وانتهت القضية بسلام وبدون خسائر. خرجت لميس من غرفتها حاملة كتاب:

- مامي أنا نازلة.

- مصطفى جه؟

- أيوة.

- هيستناكي ولا هيروح ويرجعلك.

- حسب بابي ما بيكلمه ويقوله.

- طيب خلي بالك من نفسك.

- أوك.. باي.

اتجهت لميس للباب.. ذهبت معها نادين لتوصيلها، عندما رن الهاتف الأرضي..

نادت نادين على حميدة:

- حمييييدة.. . ردي.

لميس بصوت خفيض:

- ماتردِّي انتي يا مامي شكلها لخمة أوي.

- لأ انا عايزة اعوِّدها على كل حاجة في البيت.. خليها تتعامل.

نزلت لميس، وأغلقت نادين الباب وعادت لحميدة.

- فيه واحد عايزك يا مدام.

- واحد مين؟

سألته حميد: مين معايا.. قالي هي هتعرف.

تعجبت نادين وذهبت للرد على الهات، بينما ذهبت حميدة للمطبخ ووقفت تتصنت من جوار الحائط:

- آلو.

جاء لنادين صوت يملؤه الثقة:

- وحشتيني.

سألت نادين بتساؤل

- مين؟

- لالالا.. كده ازعل أوي.. نسيتي صوتي.

- مش معقول.

- بصي عشان مفيش وقت.. خلال ساعة تكوني عندي.

نظرت نادين في الساعة أمامها ولم تكن وصلت للخامسة بعد

- أجيلك!!!.. النهاردة؟

- دلوقتي حالًا ومن غير حجج.. أقفل مسافة السكة تكوني عندي.. سلام.

أُغلق الخط قبل أن تستطيع أن تفكر وتتخذ قرار أو ترد على كلماته.. هل ستذهب فعلًا أم تعيد الاتصال وتعتذر؟

لحظات تفكير وعليها أن تتخذ قرارها بسرعة، وكانت حميدة مازالت تراقبها بعد أن استنتجت من ردودها أن المتصل يحدد معها موعدًا. مطت شفتيها وهي تردد: "ياعيني ع الراجل اللي قاعد في شغله ومآمن لها".

حسمت نادين قرارها.. ذهبت وبدلت ملابسها، وبعد أقل من ربع ساعة كانت على باب الشقة، وسألتها حميدة:

- حضرتك نازلة؟

- أيوة.

- رايحة فين؟

- مشوار ومش هتأخر.

- فين يعني؟

ونظرت لها نادين شذرًا:

- نعم؟؟

ردت حميدة بثقة:

- يعني لو الدكتور سأل عليكي أقوله ايه؟

- هو هيكلمني على الموبايل.. وهاجي قبل لميس ماترجع.

وخرجت نادين حتى لا تتأخر على موعدها وهي لا تعلم لماذا قررت بسرعة الذهاب.. ولمَ نفذت كلماته كالمسحورة.

* * *

- 12 -

أقبل حسن على عمله كذي قبل بعدما اطمأن قلبه من جهة القضية التي كادت أن تودي بمستقبله. مرَّ على المركز ككل واطمأن على أن كل شيء على مايرام، فقد كانت منى تتابع بجوار عملها كل مهام حسن في عدم وجوده.

عاد إلى مكتبه وهو يفكر في كيفية مكافأتها بما يتناسب مع عملها.. فكر وفكر، ثم اتصل بها في مكتبها وطلب منها أن تأتيه فور انتهائها من عملها.

بعد فترة وجيزة.. أتت منى، وبعدما دخلت مكتبه، جلست أمامه:

- خير يا حسن كنت عايزني ف ايه؟

- مبروك يا حضرة النائبة.

نظرت له منى باستغراب.. وسألته:

- إيه.. أنا بقيت في مجلس الشعب من ورايا ولا إيه.

- لو عايزاها هتوصليلها يا منى.

- لا ياعم انا كفاية عليا أوي شغلي الحمدلله.

- وشغلك الجديد كمان.

- شغل ايه؟

- إنتي اثبتي كفاءة كبيرة الفترة اللي فاتت يامنى سواء وقت الحادثة بتاعتي ولَّا الأيام اللي فاتت من بعد حالة الوفاة.. فكرت كتير أكافئك بإيه.

قاطعته منى:

- مكافأة ايه بس ياحسن.. أنا معملتش حاجة زيادة.

- أنا خلاص قررت هتبقى من أول الشهر نائب ليا في كل حاجة في المركز في حالة غيابي.. مش بس في الكشوف والعمليات لأ كمان في الأمور المالية أو الإدارية.

لم تصدق منى ما سمعته من حسن.. هي بالفعل تنوب عنه في غيابه ولكن بشكل ودي، إنما ترقيتها لتكون نائبة له في مركز يتطور يوميًا ويعَدّ من أهم مراكز الولادة في القاهرة خطوة لم تخطر لها ببال قَط، وبالتالي لم تسعَ لها يومًا.

ارتسمت علامات السعادة على وجهها وفرَّ الكلام من بالها ولسانها فلم تجد ما يعبِّر عن فرحتها.

رأى حسن سعادتها المرتسمة على ملامحها ففرح:

- أهو كده بقى ابقى اروح مؤتمرات وانا مطمن على المركز.

- حسن أنا مش عارفة اقولك ايه.. أنا والله مكنتش مستنية مكافأة ولا أي حاجة.. كفاية أوي الفرص اللي انت اديتهالي.. كل زمايلي بيحسدوني على اللي وصلتله بفضلك بعد ربنا.

- مبحبش الكلام ده.. انتي دكتورة شاطرة ولو مكنتيش بتتعبي وتجتهدي في شغلك مكنتيش وصلتي لمنصبك ده.

- شكرًا يا حسن.. ربنا يخليك ليا وتفضل تشجعني كده.

دخلت إحدى الممرضات تخبر منى أن لديها حالة مستعجلة، فاستأذنت منى وتركت حسن يُكمل عمله وذهبت لاستكمال عملها.

* * *

توقفت نادين بسيارتها أمام بناية سكنية.. دخلت العمارة التي ألفتها كثيرًا من قبل، وقفت تنتظر المصعد وذهنها شارد في سبب اتصال «مجدي الهندي» واستدعائها بهذه السرعة.. وكيف لها أن تمتثل لكلامه بهذه السرعة، ربما الحنين الذي يجتاحها منذ فترة هو المحرك الأساسي لها في هذا الموقف.

وصل المصعد للدور الأرضي.. ركبت وضغطت على زر الصعودن وصلت للدور الثامن.. اتجهت لباب في آخر الردهة، وجدت الباب مفتوحًا.. دخلت.. نظرت حولها.. وجدت أن المكتب تغيَّر كثيرًا عن السنوات الماضية؛ فالديكور وترتيب الغرف مختلف تمامًا عما آلفته.

اتجهت مباشرة لمكتب مجدي، وجدته جالسًا على المكتب مديرًا ظهره للباب :

- مساء الخير.

انتفض مجدي من مكانه للترحيب بنادين:

- أهلًا أهلًا نجمتنا الجميلة.. وحشاني.

- ازيك يامجدي، عامل ايه.. انت كمان واحشني والله.

أجلسها على مقعد أمام المكتب وجلس قبالتها:

- لو وحشتك صحيح كنتي سألتي.. بقالك كام سنة مسألتيش.

أُحرجت نادين من مجدي ومن عدم سؤالها عنه منذ أكثر من خمس سنوات.

مجدي الهندي المخرج الشهير هو مخرج أفلام نادين قبل الاعتزال. كان معترضًا كثيرًا على قرارها وحاول إثناءها عن هذا القرار بكل ما أوتي من أسباب، ولكنها أصرت فبارك لها قرارها وتمنى لها حياة سعيدة.

واستمرت العلاقة بينهما من خلال مكالمات تليفونية في المناسبات فقد حرصت نادين على تهنئته بعد الانتهاء من كل فيلم، كما حرص على معايدتها والسؤال عنها كل مناسبة، حتى انقطعت المكالمات مع مشاغل الحياة، أجابته نادين بخجل:

- معلش أنا قصرت فعلًا في السؤال.. بس طمّنِى في ايه مكالمتك قلقتني.

- لا متقلقيش.. أنا كنت عايزك بسرعة عشان فيه ناس جايين وعايزك تقابليهم؟

- ناس!!ناس مين؟

- فريد فوزي وسيف فخر الدين؟

رددت نادين خلفه بتعجب أكثر:

- فريد فوزى وسيف فخر الدين.. طيب أنا إيه علاقتي بيهم واضح ان ده معاد شغل.

- ماهو انا عايزك في شغل.

ضحكت نادين وتكلمت بمرارة تغلفها ابتسامة:

- شغل إيه يا مجدي ماخلاص.

- خلاص ايه؟؟ الفن في دمك يانادين وانا متأكد انك لو وقفتي قُدَّام كاميرا هترجعى نجمة زي الأول واكتر.

ترددت:

- ما انت عارف ان جوزي رافض اني امثل.

- الكلام ده زمان لما كنتي بتعملي أدوار رومانسية ممكن تخليه يغير عليكي وعلشان تتفرغى لبيتك وبنتك.. بنتك دلوقتي أكيد كبرت بقت في سنة كام؟

رددت بتلقائية وهي تفكر في كلامه:

- تالتة إعدادي.

- طيب يعني مش صغيرة وتقدر تعتمد على نفسها مش مستنية انك تراعيها.

- مش هينفع يامجدي.. معدش ينفع.

صمتت قليلا وسألته:

- الوسط مليان نجوم اشمعنى أنا اللي فكرت فيها.

- من ساعة ما قرات السيناريو وانا مش شايف غيرك.. وده أول فيديو هعمله بعد كل سنين السينما دي.. مش شايف بطلة غيرك في الدور الورق اللي كاتبُه فريد بينطق وبيقول ده دور نادين.

- فريد فوزي أي حاجة بيكتبها لازم تنجح.

- وده يخليكي متترددیش ثانية واحدة.

- مش عارفة يا مجدي.. انت فاجئتني وحيرتني.

- أنا اتكلمت مع فريد وهو كمان أيدني في اختياري جدًا.. ولما قلنا لسيف فخر الدين اننا هنحاول معاكي ترجعي تاني وعايزين أجر يليق بيكي قال انه هيديكي اللي انتي عايزاه.

وسألته نادين بفضول:

- هو دور عن ايه؟

- شخصية البطلة اللي هتقومى بيها هي ست مصرية بسيطة مكافحة هتترمل وهي عندها 30 سنة بـ4 أولاد.. ومن ساعة ماجوزها يتوفى لحد ماولادها يكبروا هتمر بصعوبات ومشاكل هتتغلب عليها.. صدقيني يانادين السيناريو حلو أوي ودي فرصة هتندمى أوي لو فوتيها.

بدأ الحنين يداعب خيالها، ولكن هذه المرة شعرت به يجتاحها، سمعت أصوات أقدام داخل المكتب.. وفوجئت بالضيوف المنتظرين: الكاتب والسيناريست فريد فوزي، والمنتج سيف فخر الدين.

* * *

أسامة في زيارته اليومية لوالدته بعد أن تلقى مكالمة منى وأخبرته بالترقية وسعادتها الجمة بتطورها في عمله.لا يشعر هو أيضًا بالسعادة لما وصلت له منى.. ومازوَّد سعادته أنها أخبرته أن نجاحها بسبب دعمه لها ووقوفه بجوارها دائمًا.

كان شاردًا يفكر في هدية يقدمها لمنى.. وفجأة خطرت على باله فكرة فقال لوالدته في حضرة أماني:

- ماما.. أنا عايز منك مساعدة.

- خير يا أسامة؟؟

- بفكر اعمل لمنى حفلة صغيرة كده عشان الترقية.

الأم وهي تمط شفتيها:

- حفلة.. ايه عايز تروحوا تسهروا وترقصوا وتقول حفلة.

قالت أماني مقترِحة:

- ممكن تعزمها على العشا في أي حتة شيك.. هتفرح أوي.

- لأ، أنا عندي فكرة تانية بس لو تساعدوني فيها.

أمانى والأم:

- إيه هيَّ؟

- أحضَّر لعزومة عشا عندنا في البيت ونتلم كلنا أنا ومنى وانتوا وحسن ومراته وبنته.. هي بتحب أوي لمة العيلة وأكيد دي حاجة هتفرحها.

سألته أماني:

- طيب دي عايز مساعدتنا فيها ازاي؟

حينها رنَّ هاتف أسامة، وعندما نظر للمتصل، قال:

- رقم مش مسجل.. من السعودية.

انتبهت أماني واعتدلت في جلستها بينما قالت والدته:

- رُد بسرعة يمكن يطلع اللي ميتسماش.

رد أسامة ليحسم تخميناتهم:

- آلو.

أتاه صوت سيد بعيدًا:

- ازيك يا أسامة.. أومال أماني هترجع إمتى؟

ردَّ بحسم:

- هيَّ مش قالتلك مش راجعة.. انت هتطلق إمتى؟

- هيَّ لسه برضه مصممة؟

- أيوة.

- طيب ينفع برضه عايزين تضروني ف شغلي عشان مشاكل عائلية؟

تأكد أسامة أن وساطة حسن جاءت بفائدة وان سيد خاف بالفعل

فمجرد اتصاله يدل على انه يريد التوصل لحل ودي، رد أسامة بثقة:

- وانت تسيب موضوعنا متعلق كده 3 شهور لا بتتكلم ولا عايز نوصل لحل ولما نيجي ناخد حقنا تزعل؟

- أنا باقي عليها.

- واضح أوي.. عموما وقت الكلام ده انتهى.. هتطلق امتى؟

- خلاص مش هي اللي طالبة الطلاق؟؟ تتنازل عن كل حقوقها.

- حقوقها اللي هي ايه يا سيد.. الشقة ولَّا العفش ولَّا الشبكة اللي جبتها ولَّا المؤخَّر الكبير اللي انت خايف تدفعه.

- أنا مكذبتش على حد.. أنا قلتلكم ظروفي وانتم وافقتم.

ردَّ أسامة وهو ينظر لأماني معاتبًا:

- صح احنا اللي وافقنا واحنا اللي غلطنا.. المهم عشان نخلص هتطلق امتى؟

علامات القلق تبدو على وجه أماني ووالدتها في انتظار تحديد موعد الطلاق/

أجاب سيد ببرود:

- أنا جاي بعد بكرة الطيارة توصل الساعة 7 بالليل.. لو عايز نخلص تعالوا قابلوني في المطار ونتزل على أي مأذون.. بس خلى بالك مليش دعوة بفلوس المأذون وتبريني من كل حاجة.

- ماشي يا سيد.. عندك حاجة تانية عايز تقولها.

- لأ خلاص كده.

- ماشي مع السلامة.

بمجرد أن أنهى أسامة المكالمة سألتاه أماني ووالدتها.

قالت أمه متساءلة: هاا قالك ايه؟

بينما قالت أماني مندهشة: معقول وافق؟؟

- جاي بعد بكرة الساعة 7 وعايزنا نروح له المطار نتقابل هناك.

قالت الأم:

- نعم!! نروح له ليه ما ييجي ويجيب المأذون.

ردَّت أماني ساخرة:

- ايه ياماما عايزاه يدفع حق تاكسي من المطار لمأذون لحد هنا.. عايزاه يموت فيها.

الأم ودمها يغلي في عروقها:

- موتة تشيله مطرح ماهو قاعد.. ازاي مكنَّاش فاهمين النتانة دي.

قال أسامة موجهًا كلامه لأماني:

- أنا كل مرة اتأكد ان الوقت اللي عشتيه معاه هناك يا أماني كان عذاب.

- وأي عذاب.. أنا كنت بموت بالبطيء.. الحمدلله اني رجعت ويارب ميرجعش ف كلامه ويطلقني، خليني اخلص منه.

- أنا مش عارف هو اتهدد بإيه بس واضح ان التهديد جاب نتيجة.. ده هو اللي اتصل ودي متهيألي تُكتَب في التاريخ.

أماني وهي تضحك:

- على رأيك والله.. المهم كمل كلامك بقى عايز نعمل ايه لمنى بمناسبة ترقيتها.

ردَّت عليها والدتها:

- انتي ف ايه ولا ف ايه، هتطلقى وعايزة تعملي حفلة.

ردَّ أسامةقائلًا:

- نأجلها يا أماني مش مهم.

أمانى بتصميم :

- والله أبدًا ما يحصل.. مش معنى اني هتطلق اعكنن على اللي حواليا.. منى وأسامة حقهم يفرحوا ودكتور حسن كمان واجب اننا نشكره لأننا من غيره مكناش قدرنا نهدد الزفت ده.. أسامة أنت عايزنا نساعدك في ايه وانا هعمل كل اللي تطلبه منِّي.

أماني لم تكن تكذب في كلماتها.. كانت تريد أن تثبت أن طلاقها لن يؤثر عليها أو على المحيطين بها بأية حال من الأحوال

كانت تخشى من أن مشاعرها كمطلَّقة تدفعها للغيرة من زوجة أخيها؛ لذلك حاولت إثبات العكس ومن قلبها، تردد أسامة في تكملة ما يخطط له خوفًا على

مشاعر شقيقته، ولكنها ألحت في السؤال عما ينويه وأصرت على مساعدته أيا كان.

- أنا كنت بقول لو تقدري انتي وماما تحضَّروا كل حاجة وهي تتفاجأ بأننا عازمين العيلة ومحضرين العشا متهيألي هتفرح.

- إمتى؟

الأم صامتة تتابع مايدور بين أماني وأسامة.. سعيدة بحب كل منهما للآخر وخوف كل منهما على مشاعر الآخر.

أجاب أسامة:

- أنا كنت بتكلم على بكرة بس لو مش هينفع مش مهم.

- خلاص بكرة إن شاءالله هنجيلك أنا وماما ع الضهر كده ونحضَّر كل حاجة.

ردَّت والدتها على كلامها:

- وانتي ياختي بتتكلمي بلساني ليه؟؟ هو انا وافقت.

- هتوافقي أنا عارفة.. إحنا لينا مين غير أسامة عشان نفرحه هو ومنى ونباركلها.

- بدل ما تفرح بالترقية كانت تسعى انها تجيب حتة عيل.

وقتها تبدلت ملامح أسامة وحاول أن يتحكم في أعصابه، فنهض مغادرًا وهو يوجه كلامه لأماني:

- طيب أنا ماشي بدل الكلام هيفتح مواضيع مالهاش لازمة وهبقى اكلمك نتفق على التفاصيل.

قالت والدة أسامة موجهة كلامها له:

- أنا كلامي مالوش لازمة يا أسامة.. ده جزاتي اني عايزة افرح بعيالك.

- أنا راضي بقضاء ربنا ومش عايز حد يفتح معايا الموضوع ده.

قالت له أماني:

- اقعد واستهدى بالله يا أسامة ومحصلش حاجة لده كله.. ماما ادعيلهم وبس ربنا يرزقهم.

- داعياله يابنتي والله.

أسامة حاول أن يتجاوز الجرح الذي فتحته والدته دون قصد، وأن يجلس ويكمل يومه معهم كما كان ينتوى.. ولكن الألم الذي اجتاحه لم يُمكنه من ذلك فاستأذن بعد قليل.

* * *

طول الطريق أثناء عودة نادين وهي تفكر في الموقف الغريب الذي مرَّت به.. مكالمة غير متوقعة بالمرة.. استدعاء بصيغة آمرة يجعلها تلبي النداء دون تفكير.. الدور الذي حلمت به ولم تؤدِه من قبل يُعرض عليها الآن.. الحُلم يداعب خيالها والحنين للفن والأضواء يجذبها مرة أخرى.

تتردد كلمات فريد ومجدي وسيف في محاولات إقناعها.. هي لا تحتاج للإقناع فهي تتمنى العودة اليوم قبل الغد، ولكنها تخشى رفض حسن..

يتردد في أذنها كلمات مجدي: "نجمات كتير متجوزين وبيشتغلوا يا نادين انتي خايفة من ايه؟".. يرد صوت حسن في داخلها منذ خمسة عشر عامًا: "أنا أو الفن".

تحاول ان تكف عن التفكير.. ترى أفيشات الأفلام على السينمات وكأن كل شيء اختفى حولها ولم تعد ترى سوى الأفيشات.. تتخيل نفسها مرة أخرى على أفيش أحد الافلام.

فجأة يتردد صوت سيف في أذنها "هتكوني بطلة المسلسل والباقي شباب.. المسلسل هيتوزع باسمك وأجرك هيكون نفس أجر نجوم الصف الأول حاليًا".

تحاول إنكار أن كلامه أثَّر فيها فتردد في داخلها" "أنا مش محتاجة فلوس.. حسن مكفِّيني".

تُسكت الأفكار داخل رأسها ثم تعود وتتساءل في داخلها: "إيه اللي فكرهم بيا بس ما انا قاتلة حبى للفن.. ليه صحوا الحلم جوايا من تاني؟".

يتردد صوت فريد في أذنها "من أول مشهد كتبته في السيناريو وانا شايفك انتي وبس وقلت كده لمجدي وهو كمان أيدني.. المسلسل ده مكتوب لك انتي يانادين ومينفعش ترفضيه أبدًا".

رأسها مزدحمة بالأفكار والأحلام والأصوات.. كادت أن تصرخ بأن تكف الأصوات التي في رأسها.. وصلت بيتها وهي لا تسمع حولها سوى صوت أفكارها. دخلت على غرفتها مباشرة في محاولة للتفكير بهدوء، كانت حميدة تتابعها محاولة أن تستنتج أين كانت ولمَ جاءت شاردة هكذا حتى دون أن تسأل على لميس.

* * *

عادت منى من عملها قبل الحادية عشرة.. عندما دخلت من باب الشقة وجدت الأنوار مطفأة، استنتجت أن أسامة لم يعد بعد. دخلت حجرتها فوجئت بأسامة جالسًا على ضوء الأباجورة.. فأضاءت النور:

- مساء الخير.

- مساء النور.

- انت دخلت تنام بدري كده ليه.. مش عوايدك.

- أنا قاعد كده من بدري.

جلست منى بجواره على طرف السرير.. نظرت له بقلق:

- مالك يا حبيبي؟

ابتسم لها رغمًا عنه وهو يربت على يدها:

- سيبك منى.. مبروك على الترقية وعقبال ما اباركلك على العيادة بتاعتك.

- الله يبارك فيك ياحبيبي.. متغيرش الموضوع وقولي مالك.

- أنا كويس.. تعرفي ان النهارده خبرين حلوين في يوم واحد.

- خير يارب.. فرحني.

- الزفت سيد اتصل وقال هيطلّق بعد بكرة.

- وهو ده اللي مزعلك.

صمت أسامة.. يفكر هل سيبوح لها بما يفكر فيه أم يحتفظ به لنفسه، تابعت منى:

- والله يا أسامة على اللي أماني كانت بتحكيه ده الطلاق أحسن لها 100 مرة عن قعدتها معاه.

- طبعا.. أنا مش زعلان على أماني.. دي أماني نفسها فرحانة.

- طيب احكي مالك؟

- مش عايز اعكنن عليكي وانتي فرحانة.

- اني اشوفك زعلان ومش عارفة في ايه ده يزعلني فعلا.. أنا زعلتك في حاجة؟؟

- لا يا منى.. أبدًا.

- في ايه بقى؟

- ماما لمَّحِت تاني لموضوع الخِلفة.. عارفة ساعتها بس حسيت ان حياتنا ممكن في لحظة تكون على كف عفريت.

- ليه يا أسامة بتقول كده؟؟ إحنا حياتنا أساسها حبنا مش أي حاجة تانية.

- بس انا عارف ان الحاجة التانية دي مهمة أوي وممكن تفرَّق بيننا.

- تبقى مش واثق في حبي ليك.

- واثق بس لحد إمتى هفضل اهرب من الحقيقة.

- الحقيقة اللي لازم تفهمها اني بحبك انت يا أسامة.. قلتهالك كتير وهفضل اقولهالك لحد ما اموت.. انت مش جوزي وبس انت جوزي وحبيبي وابويا وابني.. أنا أكتفيت بيك من الدنيا مش عايزة غير إن ربنا يديم علينا حبنا وسعادتنا.. متخليش أي أفكار في دماغك لوحدك تنغص علينا حياتنا.. صدقني أفكارك دي أوهام مالهاش وجود.

- بجد يامنى؟؟ مش هتسيبيني؟

- هزعل منك بجد.. ده سؤال تسأله!

شعر أسامة أن منى تريد أن تطمئنه بصدق مشاعرها.. لام نفسه لأنه أباح لها بما في صدره في يوم فرحتها. أراد أن يصلح ما أفسده فسألها:

- قوليلي بقى بكرة هتخلِّصي إمتى؟

- أنا بكرة أجازة.. معنديش شغل كتير فقلت لحسن هاخده أجازة.

خاف أسامة أن تفشل مفاجأته، سكت قليلًا يفكر أثناء تغيير منى لملابسها:

- بقولك ايه يامنى.. أنا بكرة عازمك ع الغدا.

- خلينا في البيت نقعد مع بعض.

- لا مينفعش.. إحنا نخرج نحتفل مع بعض.

- اللي تشوفه ياحبيبي.

اطمأن أسامة أن منى ستكون معه طول اليوم بالخارج.. لذلك قرر أن يذهب صباحًا ليعطي مفتاح الشقة لأماني وبعد نزولهما تأتي أماني ووالدته لتحضير عزومة العشاء.

***

قضت نادين ليلتها تفكر.. تأخذ قرار الرفض ثم تعود وتفكر مرة أخرى وتأخذ قرار الموافقة بعد إقناع حسن.

نومها كان متقطعًا من شدة التفكير.. نامت قليلًا بعد نزول لميس للمدرسة واستيقظت في العاشرة مع صوت حسن وهو يرتدي ملابسه. جلسا يتناولا إفطارهما.. لم يلحَظ حسن أنها شاردة وكلما تكلم حسن لم تسمعه من المرة الأولى

رنَّ هاتف حسن، فنهضت نادين تطلب قهوة من حميدة، وعندما عادت أخبرها:

- أسامة اللي كان بيكلمني.

- ليه خير؟

- عازمنا النهارده بالليل عندهم على العشا وبيقول منجيبش سيرة لمنى.

- ازاى يعني؟عازمنا لوحده؟

- أه أنا نسيت اقولك اني رقِّيت منى امبارح وخليتها النائب بتاعي.. عشان كده أسامة بيحضَّر للعزومة دي للاحتفال بيها.

- الله.. أسامة ده مفيش منه كتير دلوقتي.

- منى تستاهل كل خير.

- هنروح امتى؟

- لا انا عندي شغل.. روحي انتي ولميس وانا هبقى معاكم على تليفون.

- معقول يا حسن.. الراجل عازمك انت ومش هتيجي.

- منى اجازة ومفيش غيري.. عموما هحاول اخلص بدري واجيلكم على هناك.

في المساء..

عادت منى مع أسامة بعد أن قضيا وقتًا ممتعًا معا.. عادت وهي تكاد تطير من فرط إحساسها بحب أسامة لها ومحاولته إسعادها.. لا تتذكر متى آخر مرة استمتعت بوقتها هكذا بعيدًا عن ضغط العمل. لاحظت مكالمات كثيرة من أماني لأسامة طوال فترة خروجهما لم تفهم مايدور بينهما من حوار بسبب كلمات أسامة المختصرة، ولكنها لم تعلق ولم يخطر ببالها ما اتفقا عليه.

تظاهر أسامة بالبحث عن مفتاحه:

- منى افتحي، شكلي نسيت المفتاح.

- نسيته ازاي مش كان مع مفتاح العربية.

- ما انا من كام يوم حطيته ف ميدالية لوحده.

أخرجت منى مفتاحها من حقيبتها.. وفتحت الباب وأسامة يقف خلفها.

بمجرد فتحها للباب وجدت الضوء ساطعًا.. فتحت الباب على مصراعيهن فوجدت الحائط بمدخل الشقة ملصق عليه كلمة مبروك. مدَّت بصرها للداخل فوجدت نادين وليس وأماني وحماتها جالسات في الصالون، التفتت لأسامة وسعادتها على ملامحها:

- ايه ده؟

- طيب ادخلي رحَّبي بضيوفك الأول.

دخلت منى ترحب بالموجودين.. والكل يهنئها بفرحة. لفت نظرها السفرة التي تتوسطها تورتة بصورتها،سألتهم:

- مين اللي عمل كل ده؟

ردَّ أسامة:

- ماما وأماني.

اقتربت منى من حماتها وقبَّلتها وهي تشكرها، ثم شكرت أماني وهي تحتضنها:

- أنا مش عارفة اقولكم ايه.. فرحتوني أوي.

ردَّت أماني:

- أسامة هو اللي حضَّر كل حاجة، أنا عملت العشا بس واتفاجئت انه باعت تورتة كمان.

اقترب أسامة من منى وحاوطها بذراعه:

- من زمان محتفلناش بمناسبة حلوة فما صدقت.

قالت نادين:

- مبروك يامنى.

وبدون أن تشعر أكملت:

- ولو ان المنصب الجديد هيزيد مسئولياتك ويشغلك أكتر.

رد أسامة:

- منى عمرها ما قصَّرت في مسئولياتها.. وحتى لو قصرت شوية فمعلش ربنا يعينها هي كمان بتتعب أوي.

صمتت نادين وهي تردد في داخلها:

- ياريت كل الرجالة كده.

سألت منى:

- حسن فين؟

جاوبتها نادين:

- في المركز وقال هيحاول ييجي.

- أنا هكلمه واشوف نستناه ع العشا ولا نتعشى احنا.

* * *

بعد انتهاء العشاء.. نزلت نادين وحسن ولميس من منزل منى.. نادين لم تستطع كتمان مايدور داخلها أكثر من ذلك.. فقد استطاعت أن تبدو هادئة طوال فترة تواجدها وسط الناس.. أما أثناء نزولها فقد حررت نفسها وأطلقت العنان

لمشاعرها وأفكارها التي أرهقتها فانعكس على ملامحها وعصبيتها في ردودها على لميس وحسن.

أما لميس فكانت سعيدة أنها ستلتقي بمصطفى أثناء عودتهم للمنزل.

وأمام سيارة كل من حسن ونادين.. وقفا.

قال حسن:

- تعالي يا نادين معايا ويبقى مصطفى الصبح يجيب العربية بعد ما يوديني المركز.

- لا أنا هركب عربيتي.

قالت لميس:

- أنا هركب مع بابي.

قال حسن:

- الوقت متأخر ومفيش داعي تركبي لوحدك.

- أنا هروح بعربيِّتي يا حسن.

تعجب حسن من أسلوب رفض نادين الغير معتاد، ولكنه احتوى الموقف ونادى مصطفى:

- مصطفى، خد العربية وروح بيها أنا هروَّح مع المدام.

اتجهت نادين لسيارتها معها لميس ثم تبعهما حسن. أثناء الطريق كانت نادين تقود السيارة بعصبية، فلاحظ حسن وسألها:

- مالك يانادين؟

- هيكون مالي يعني.

- متنرفزة من ساعة مانزلنا.. حد ضايقك؟

- أيوة.. انت.

سألها متعجبًا:

- أنا؟؟ ليه عملت ايه؟

- عمَّال تمدح في منى وجوزها يرد عليك وكأن اللي منى بتعمله محدش عمله.

- مش فاهم يعني.. ايه اللي يضايقك لما امدح منى؟

- منى.. منى.. منى.. كله طاير بمنى؟

- أه طبعًا.. احتفال معمول علشانها يبقى أكيد الكل مهتم بيها.. وبعدين من إمتى بتغِيري من منى.

- أغير من منى ليه؟

- معرفش.

- على فكرة انا كان زماني الدنيا كلها بتتكلم عنِّي في مصر وبره مصر لولا انك قتلت طموحي وقعَّدتني في البيت.

لم يرد عليها حسن.. بل صمت تمامًا وأدار وجهه لينظر من النافذة. صمتت هي الأخرى.. وقد أثار حديثهما قلق لميس.

فقد شعرت بشيء ما لم تألفه من قبل، ولكنها لم تستطع تحديد ماهو.

عند وصولهما المنزل.. دخلت لميس غرفتها فورًا لرغبتها الشديدة في النوم، دخل حسن يبدل ملابسه وخلفه نادين، وجدت نادين حسن يتجاهلها تمامًا.. فاستفزها صمته وتجاهله:

- انت سايبني أهاتي لوحدي كده ومش سائل فيا.

- مستغربك.. فسايبك لما اعصابك تهدى شوية وترجعي لطبيعتك.

- متستخفش بيا يا حسن.

- أنا مستخفتش بيكي.. أنا شايف أعصابك تعبانة.

- أعصابي تعبت منك.

جلس حسن بعد أن انتهى من تبديل ملابسه وشاور لها تجلس بجواره:

- تعالي بس اقعدي وفهميني مالك.

- اتخنقت من قعدتي بين اربع حيطان.. ومتقوليش اشغلي وقت فراغك بالنادي ولا بالنت والقراية.. الفراغ اللي انا حاسة بيه هوَّ إحساسي ان مليش لازمة في الدنيا.

- ملكيش لازمة ازاي بس.. أنا ولميس حياتنا متمشيش إلا بيكي.

- وانا؟؟ فين حياتي أنا فين نجاحي أنا؟

- حياتك هي حياتنا ونجاحك مستمد من نجاحنا.

- أنا عايزة احس بنجاحي.

- تحبي تفتحي أي مشروع صغير تشغلي نفسك بيه وتنجحي فيه؟

- مبحبش البزنس ولا الحسابات ولا الأرقام.

- تحبي ايه طيب؟

ترددت نادين قليلًا.. ثم استجمعت إرادتها:

- عايزة ارجع للحاجة اللي بحبها ونجحت فيها.

تجهم حسن وهو يسألها:

- تقصدي ايه؟

- التمثيل.. عايزة ارجع امثِّل تاني.

- فوقي يا نادين.. زمان غير دلوقتي.

- تقصد إيه؟

- انتى مبقتيش البنت الصغيرة بتاعة زمان.. انتي بقى عندك 40 سنة.. شعرك المصبوغ المفروض مينسكيش الشعر الابيض اللي بدأ يطلعلك.. يعني خلاص أدوار الحب والغرام مش هتليق عليكي.

شعرت نادين بإهانة.. ولكنها ردت:

- التمثيل مالوش سن محدد.. ومحدش قال اني دلوقتي هعمل بنت صغيرة.. الممثل ممكن يمثل حتى لو عنده 80 سنة والشعر الأبيض اللي بتعايرنى بيه ده ممثلين بره بيفخروا بيه.. ولما بصبغه فانا بصبغه عشان افضل حلوة ف عنيك مش عشان استخبى من سني.

- أنا مش بعايرك.. انا بفكرك.. وخايف عليكي.

- خايف عليا من ايه؟!

- من الصدمة لما تقولى عايزة ارجع والمنتجين يتهربوا منك.. ولا لو حد فيهم وافق وادالك دور الناس متتقبلش رجوعك ده لو كانوا لسه فاكرينك.

- يااااه للدرجة دي شايفني فاشلة.. حتى لو انا فاشلة أوي كده شجعني مش تحبطني.

- انا مش بحبطك أنا بقولك الحقيقة.

- لا معلش.. مش دي الحقيقة.. انت بتوهم نفسك انها الحقيقة عشان تبرر أنانيتك وسيطرتك.

- أنا؟؟ أنا أناني؟!

- أيوة.. خيرتني بينك وبين الفن في أول معرفتنا وحبك كان أقوى مني وخلَّاني وافقت.. بعدها بقيت بتفكر في نجاحك انت وبس وازاي تطور نفسك وانا مش مهم.. حتى وقتك بتديه لشغلك واحنا لا.. انت ازاي مش شايف أسامة وتشجيعه لمنى عمل فيها إيه.. خلاها ناجحة والكل بيشهد بنجاحها وانا أخدتني نجمة وبإحباطك ليا طفتني.

- متقارنيش نفسك بمنى.. انتي مش منى وانا مش أسامة.

- وليه مقارنش بيننا وبينهم.. هما طينة واحنا طينة تانية؟

- لا.. هما ليهم طبيعة حياة غيرنا.

- إيه الفرق؟

- اولا شغلك غير شغل منى.. منى دكتورة يعني شغلها بيفيد الناس أكتر ما بيفيدها.. انما شغلك كان ايه؟؟ بتفيدي مين ولا بتعملي ايه ده غير السمعة السيئة اللي على الوسط ده.

- المحترم محترم في أي مكان.

- السيئة بتعم.

- يعني ايه آخر كلامك؟

- صلي ع النبي كده واتوضي وصلي وربنا هيبعد عنك الشيطان.

- اني عايزة ارجع اشتغل ده شيطان؟

- اسمعى كلامي أنا خايف عليكي.. لما اقولك ان محدش هيقبلك دلوقتي أحسن ماتسمعيها من غيري.

شعرت بإهانة بالغة من كلماته.. ومن تقليله من شأنها.. أرادت أن ترد له الألم الذي وجهه لها.. فأخبرته:

- أنا معروض عليا بطولة مسلسل.. وهوافق.

آخر ما كان يتوقعه أن كلام نادين ليس زوبعة في فنجان وستذهب لحال سبيلها.. تأكد أن كل كلمة قالتها كان خلفها سبب ما.

- معروض عليكي مسلسل؟؟؟ امتى حصل وازاي؟

- هي المشكلة امتى وازاي؟

- أيوة طبعًا.. كده كده الموضوع ده مرفوض أنا بسأل على امتى وازاي من ورايا اتعرض عليكي مسلسل.

- مين قال انه مرفوض؟

- أنا قلت.

- وانا مش هسمع كلامك ياحسن.

- قصدك ايه؟

- قصدي اني هنجح بسنِّي ده وشعري الأبيض وبعد ما الناس نسيتني هنجح في شغلي وهرجع تاني أحسن من الأول.

- وإن قلتك لأ؟

- سيبني انجح ومتقفش في طريقي.

- طيب آخر كلام في الموضوع ده عشان هيتقفل نهائي.. مفيش تمثيل يا نادين.

- يعني ايه هيتقفل نهائي؟

- يعني هقولك زي ماقلتلك زمان.. أنا أو الفن.

توقعت نادين رفض حسن.. وتوقعت أيضًا أن كثيرًا من المناقشات قد تدور في نفس الموضوع حتى يقنع أحدهما الآخر. كانت على استعداد أن ترضخ لأوامره لو كان استخدم أسلوبًا آخر غير التقليل من شأنها والتحقير منها وبالنهاية يضعها في خانة "اليَّك" ويخيّرها بينه وبين الفن.. لهذه الدرجة لا يعبأ بها إطلاقًا ويهتم بنفسه فقط وبأوامره التي يجب أن تنفذ وسمعته التي يخشى أن تتأثر بدخول زوجته الفن.

أرادت أن يتراجع عن كلامه.. فسألته:

- وافرض صممت ارجع؟

- يبقى انتي اللي اختارتي؟

- يعني..؟

- يعني هطلقك لو صممتي ترجعي تمثِّلي تاني.. القرار في إيدك.. تصبحي على خير.

لم يعبأ حسن بأن يقنعها بدلًا أن يأمرها.. نظرت لحسن وهو ينام كمن تراه لأول مرة.. شعرت بالقهر والحزن كما لم تشعر من قبل.

ظلت دموعها تجري في صمت مع أنفاس حسن المتلاحقة وهو يغط في سبات عميق.

* * *

بعد انتهاء العشاء.. طلبت والدة أسامة منه أن يقوم بتوصيلهما لمنزلهما، فصممت منى أن يقضيا الليلة معهما لتأخر الوقت.. منى كانت تشعر بالامتنان لحماتها وأماني.. فبالرغم من معاملة حماتها القاسية كثيرًا إلا أنها أحيانًا تجد معاملة حانية تسعدها.. رددت كلمات شكر كثيرة لأماني شعرت أنها غير كافية للتعبير عن حقيقة مشاعرها. فما فعلته أماني من أجل إسعادها وهي التي تنتظر طلاقها بعد ساعات كان محل تقدير من منى.

لذلك قررت منى أن تظل مع أماني لتشد من أزرها في الأيام التالية.. فهي كامرأة تعلم تمامًا ما يمثِّله الطلاق من ألم نفسي.. تعلم تمامًا معنى أن حياة زوجية تنتهي بكلمة فينتهي السكن والسكينة وتحل البغضاء في معظم الأحيان محل المودة والرحمة.. ويصبح أقرب اثنين لبعضهما غرباء.

اتصلت بحسن صباح اليوم التالي واستأذنته في مد إجازتها يومين آخرين فوافق.. وفي المساء.. ذهبوا جميعًا لاستقبال سيد في المطار.

جلست أماني مع والدتها ومنى في السيارة في حين نزل أسامة ليستقبل سيد من داخل المطار.. لم يكن نزوله لاستقباله شوقًا أو اهتمامًا وإنما خشية ألا يتمكن من رؤيته وبالتالي يؤَجل الطلاق أكثر من ذلك.

ساعة الانتظار طويلة.. مرت بكل قسوة على السيدات القابعات في السيارة حتى ظهر أسامة وسيد يحمل شنطة صغيرة.

اختلست أماني نظرة لسيد وجدته يقبل عليهن مبتسمًا.. اشمئزت من بروده وابتسامته البلهاء التي لاتناسب ماهما مقبلان عليه فأشاحت بوجهها بعيدًا.

عندما اقتربوا.. صافحهم سيد جميعًا وكأنه لايزال أحد أفراد العائلة، طلب أسامة من والدته أن تركب في الخلف بجوار أماني ومنى ليركب سيد بجواره. أثناء الطريق لم يكف سيد عن الحديث.. أحاديث تافهة ليس لها داعٍ، جعلت وصول أسامة للمأذون خلاصًا له من الصداع الذي أصابه.

تمت إجراءات الطلاق بهدوء.. لم يحاول سيد التصالح كما لم تفقد أماني هدوءها وتماسكها رغم ألمها.

بعد الخروج من عند المأذون.. اتجه سيد معهم إلى السيارة، فسبق أسامة وفتح الباب الأمامي لوالدته:

- اتفضلي يا ماما.

وشاور لمنى وأماني للركوب في المقعد الخلفي، واتجه لشنطة السيارة وفتحها وأخرج منها حقيبة سيد:

- اتفضل.

وقف سيد ينظر لأسامة ولحقيبته.. ثم قال:

- مش هتوصلني؟

ردَّ أسامة:

- لا معلش ورانا مشوار ومستعجلين.. مع السلامة.

تركه في الشارع عمدًا.. واتجه لمقعده وقاد السيارة ليبتعد سريعًا عن سيد قاطعًا أي صلة به للأبد.

بعد أن ابتعد.. قال:

- افففف.. أخيرًا خلصنا منه يخربيته.

ردَّت الأم ودموعها تنساب:

- ياميلة بختك يا بنتي.

ردَّت أماني:

- ميلة البخت بصحيح لما كنت عايشة معاه.. أنا كده اقدر اتنفس بعد ماكان كاتم نفسي.

قالت منى:

- معلش ربنا يعوضك خير إن شاءالله.

ردَّت أماني عليها قائلة:

- أنا كرهت الجواز واللي عايزين يتجوزوا.. ياشيخة بلا قرف دي الحرية لاتقدر بتمن.

تتكلم أماني عن قناعة تامة، ولكن صوتها يخفي غصة ما، أدركتها منى على الفور.. رقَّت لحالها فأرادت أن تسعدها ولو بالقليل.. فسألت أسامة:

- انت رايح على فين كده؟

- هوصل ماما وأماني.

- لأ طبعًا يروحوا ايه دلوقتي.. بقولك ايه يا أسامة روح على أقرب سينما خلينا ندخل فيلم حلو كده نغير جو.

ردَّت الأم:

- سيمة ايه دلوقتي.. ده وقته والنبي.

قالت منى:

- ده أنسب وقت.. ياسلام بقى لو فيلم كوميدي.. وبعد الفيلم نروح نتعشى ف أي حتة.

ردَّت الأم قائلة:

- ارحمي جوزك مصاريف يامنى.

نظر أسامة لمنى عبر المرآة ليعتذر لها بنظراته التي ستفهمها منى جيدًا.. ولكن منى كانت أسرع في ردها:

- العزومة دي عندي ياماما.. كفاية تعبكم كلكم معايا إمبارح عشان تحتفلوا بيا وتفرحوني.

أماني كانت صامتة، ولكنها أحست بمدى اهتمام منى للتخفيف عنها دون أن تتكلم.. فقالت:

- خليها مرة تانية يامنى.. إحنا نروَّح دلوقتي ونبقى نتفق على يوم تاني.

خشيت منى أن تترك أماني وحدها فتكون فريسة للتفكير والحزن، فقالت:

- لو مش عايزين سينما بلاش.. هنروح نتعشى وبعدين هنروح كلنا عندنا في البيت.. أنا أخدة اجازة يومين نقعد فيهم مع بعض.. وكمان محتاجة اشتري حاجات وعايزة أماني معايا.. ما تتكلم يا أسامة.

قال أسامة:

- عايزين تروحوا فين قبل ما نروح؟

ردَّت منى:

- شوف ماما حابة تروح فين وودينا.

* * *

على مدار اليومين التاليين، خاصم حسن نادين، ولأول مرة في حياتهما يتخاصما تمامًا.. فمع أي خلاف سابق كان الكلام بينهما يقل لبضعة ساعات دون أن ينقطع حتى تبادر نادين بحل الخلاف ولكنها هذه المرة لم تفعل.

لم تلحظ لميس خصامهما لانشغالها.. وكانت نادين مازالت تفكر ولم تعطي مجدي ردًّا نهائيًا رغم اتصاله بها أكثر من مرة.. شعورها بالقهر والتحقير كان يدفعها للتحدي.. ولكنها كانت خائفة من التحدي.. خائفة أن تخسر حياتها مع حسن، لكن تهديد حسن لها بالطلاق كان يدفعها للتصميم على رأيها.. اكتشافهاأان حياتها مع حسن عرضة للتهديد كان يدفعها للدفاع عن كرامتها وعدم قبول تهديده لها.. حائرة بين رفض القهر أو قبوله حبًا.. خائفة من التشبث برأيها ثم الندم.

خطر ببالها أن تستمد قرارها من رأي لميس.. فدخلت تجاذبت معها أطراف الحديث وسألتها عن الدراسة ثم سألتها:

- لولو كنت عايزة آخد رأيك في حاجة..

- اتفضلي يا مامي.

- أنا اتعرض عليا بطولة مسلسل.

صرخت لميس وقفزت تعانق نادين:

- واااااااااااو.. مبروك.. أيه الخبر الحلو ده؟!

- انتي فرحانة؟

- أه طبعًا.. احكيلي التفاصيل.. هتعملي دور ايه؟

- أرملة وعندها أولاد من سن 30 ل60 والسيناريو بالتفصيل لسه مقريتوش.

- الله.. الدور اللي كان نفسك فيه.

- أيوة.

- طيب مالك مش فرحانة ليه؟

- خايفة.

- خايفة من ايه يا مامي..ليه هي أول مرة ؟

كادت نادين أن تخبرها بتهديد حسن، ولكنها تراجعت وحاولت أن تتأكد من صحة أراء حسن.

- خايفة يالميس الناس تكون نسيتني.. أو اتعودت تشوفني صغيرة فمتتقبلنيش وانا كبيرة.

- معقول يامامى.. أولًا الناس منستكيش بدليل ان كتير نكون ماشيين الناس توقفك وتسلم عليكي.. اما حكاية كبيرة فأمينة رزق مثلًا كانت بتمثل من وهي صغيرة أوي ف أفلام الابيض واسود وفضلت تمثل لحد ما ماتت.. ومش هي بس.. سناء جميل وزوزو نبيل وناس كتير أوي وكانوا بيمثلوا وهما أكبر منك بكتير يعني سنك مش مقياس للرفض أبدًا، كل مرحلة وليها أدوارها اللي تناسبها.

كانت نادين تنظر للميس بإعجاب وفرحة.. فسألتها لميس:

- مالك يامامي.. كلامي مش مقنع؟

- بالعكس.. أنا فرحانة أوي بعقلك ربنا يحميكي.

- المهم فرحيني هتبدأي تصوير إمتى؟

- لسه مخدتش القرار أصلًا يا لميس ولا شفت السيناريو.

- لاااااا.. ابعتي جيبي السيناريو ونقرأه سوا وإن شاءالله هيعجبك.

شعرت نادين بتشجيع لميس.. كانت بحاجة للثقة.. الثقة التي منحها إياها زملاء مهنتها وسلبها منها حسن.

* * *

- 13 -

أرسلت نادين في طلب السيناريو لقراءته كما أشارت عليها لميس، واعتبر مجدي طلب نادين للسيناريو موافقة مبدئية لرجوعها للفن.

قضت نادين ثلاثة أيام متصلة تقرأ السيناريو في عدم وجود حسن.. أما لميس فكانت تقرأ قليلًا لضيق الوقت، ولكنهما كانتا تتناقشان فيما قرأته نادين وكانت لميس تبدي إعجابها بكل ما قرأته.

لميس تشجع نادين على اتخاذ قرار الرجوع.. ولكنها لم تكن تدرك أن القرار ليس بتلك السهولة فلم تخبرها نادين بما جرى بينها وبين حسن ورفضه القاطع لعودتها للفن.

عاد حسن من يوم عمل متصل من الصباح حتى التاسعة مساءً وهو موعد قلما عاد فيه.. كانت وقتها نادين في غرفتها تمسك السيناريو الذي انتهت من قراءته مترددة في قرارها النهائي.. توقعت نادين أن من يفتح باب غرفتها.. لميس

ولكنها وجدت حسن أمامها.. ارتبكت قليلًا ولكنها تماسكت وأزاحت السيناريو تحت الغطاء بخفة قبل أن يراه حسن.

"مساء الخير".

قالها حسن بفتور وكأنه مجبر على إلقاء التحية.. لم يلتفت لنادين واتجه لدولاب ملابسه.

- مساء النور.. اقوم اعملك حاجة تاكلها.. حميدة روَّحت.

أجابها دون أن يلتفت وهو يكمل تغيير ملابسه:

- لأ.. هنام.

- دلوقتي؟

- أه.. تعبان من الصبح بشتغل.. فيه حاجة؟

صمتت نادين، وظلت مكانها.. انتهى حسن من تبديل ملابسه وجلس على السرير.. أزاح الغطاء استعدادًا للنوم.

تجمدت نظراته على السيناريو الذي ظهر فجأة، سأل نادين:

- إيه ده؟

حاولت أن تبدو هادئة فأجابته بثبات:

- سيناريو.

- بيعمل ايه هنا؟

- بقراه.

- ليه؟

- ما انا قلتلك.

- وده اسميه ايه؟؟ عِند؟؟

- أنا مبعاندش يا حسن.

- أومال تسمي عدم سمعانك لكلامي ده ايه؟

استفزتها كلماته ومعاملته لها كطفلة لا تستطيع اتخاذ قرار من حقها.

- بقالى 16 سنة بسمع كلامك.. حبي ليك كان عاميني عن حقيقتك اللي اكتشفتها اليومين دول بس.

ردد باستخفاف:

- وايه اللي اكتشفتيه فجأة كده.

- انك أناني.. متسلط.. حبك ليا مش أكتر من حب تملك وفرض شخصية عايز تحبني على طريقة سي السيد وأمينة اللي معدتش موجودة.. على فكرة الغلطة غلطتي أنا كمان.. اني سكتت عن حقي لحد مابقى حق مكتسب ليك..

قاطعها حسن :

- انتى مش لاقية حاجة تبررى بيها غيرتك فبتجيبيها فيا.

- غيرتي؟؟

- أيوة.. انتي من يوم ما كنا عند منى وانتي حالك اتقلب 180 درجة.. مش هعيد اللي قلته قبل كده يا نادين.. رجوعك تمثِّلي مستحيل.

- وانا مستحيل افوِّت الفرصة دي مهما حصل.. مش هقبل اقضي حياتي مرمية في البيت زي أي كرسي وانت مش حاسس بيا ولا بتديني من وقتك.. أنا كنت بموت من الفراغ ودي الحاجة الوحيدة اللي ادتنى أمل اني أحس ان حياتي فيها حاجة مفيدة.

- ومفيش في الدنيا حاجة مفيدة غير انك تمثلي؟

- الحاجة اللي بحبها وبفهم فيها واقدر انجح فيها.

- وانا مش موافق.. ولازم تختاري.

صمتت نادين.. فأردف حسن وهو يلقي السيناريو على الأرض ويناولها هاتفها:

- خدي اعتذري نهائي وهحاول انسى كل اللي قلتيه النهاردة.

نهضت نادين وهي تتجاهل مد يده.. تناولت السيناريو من الأرض وأجابته وهي تغادر غرفتها:

- مش هعتذر ومش هكرر نفس اختيار زمان.

سألها حسن مستجديًا عدولها عن قرارها:

- هتختارى الشغل؟؟ انتي عارفة انك بكده بتقولي نتطلق؟؟

ردت بعد أن فتحت الباب ودون أن تلتفت:

- مش هفضل انا طول عمري اضحي وانت لا.

خرجت وأغلقت الباب خلفها.. جلس حسن يفكر.. كان يتوقع أنها زوبعة ستمر مرور الكرام.. لم يتوقع أنها عاصفة ستقتلع كل ما في طريقها.. تردد قليلًا.. هل سينفذ تهديده حقًا ويطلِّق نادين؟؟

لم تكن الفكرة هينة أبدًا.. فهو يحب نادين حقًا.. ولكن هل سيرضخ لقرارها وعودتها للأضواء مرة أخرى؟ هل سيتحمل تبعات عملها.. مواعيد عمل في أوقات مختلفة قد تصل لأوقات متأخرة.. إشاعات في الصحف والمجلات.. حفلات.. مهرجانات.. صحفيين يتبعونهم أينما ذهبوا.

مجرد التفكير لم يتقبله، وبالتالي أيقن أنه لن يتحمل عودتها للعمل.

أنهى تفكيره.. بعد أن حسم اختياره:

- مش هقدر يانادين.. بحبك منكرش وحبي ليكي هو سبب غيرتي عليكي.. سميها تملُّك سميها سيطرة.. النتيجة واحدة.. مش هستحمل مراتي تكون مِلك للناس كلها.. انتي اللي اخترتي.

* * *

دخلت نادين غرفة لميس مُخفية الألم الذي يسكنها.

- بابي نام؟

سألتها لميس فتفاجأت نادين:

- انتي عرفتي منين انه جه؟

- جه واتكلم معايا شوية.

- محسيتش خالص ولا سمعته.

- مالك يامامي؟

- مفيش ياحبيبتي.

- شكلك زعلانة؟

- لا أبدًا.. بس كنت بفكر وقررت اني هوافق على المسلسل.

- مبروك يامامي ألف مبروك.. وأكيد المسلسل هيكسر الدنيا.

- بس ده هيخليني انشغل عنك شوية يا لولو.. هتزعلي؟

- لأ خالص.. ما انا طول الدراسة ببقى مشغولة وبابي على طول مشغول وانتي قاعدة لوحدك.. حقك انتي كمان تنشغلي عننا شوية.

اقتربت نادين من لميس وعانقتها.. وقتها فرت من عينيها الدموع رغمًا عنها.. رأتها لميس، فسألتها:

- مالك يامامي.. بتعيِّطي ليه؟

مسحت نادين دموعها:

- أبدًا يا حبيبتي.. أنا مبسوطة بيكي أوي.. بجد يا لميس انتي حاسة بيا وكل كلامك بيقول انك حاسة بكل اللي جوايا من غير ما أقوله.

ابتسمت لميس ولم ترد.. فلم تعرف بم تعلق على كلمات نادين.. سألتها نادين:

- هتنامي إمتى؟

- قربت اخلص وهقوم انام اهو.

- لما تتعشي الأول.

- طيب اعمليلى ساندوتش أكله وانا بكمِّل الهوم وورك قبل ما انام.

- حاضر.

خرجت نادين من غرفة لميس.. بعد أن استمدت من كلمات لميس تشجيعًا للدفاع عن حقها في اتخاذ القرار الذي أرادته.

*** * ***

في صباح اليوم التالي.. بعد أن غادرت لميس للمدرسة.. استيقظ حسن وتناول إفطاره الذي أعدته حميدة.. ودخل المكتب وعندما جاءته بالقهوة سألها:

- هيَّ المدام فين؟

- في أوضة لميس.

- نايمة؟

- لأ، كانت صاحية ساعة لميس مانزلت.

- طيب ناديهالي لو سمحتي.

بعد قليل.. جاءت نادين ، أقبلت مبتسمة على أمل أن يصالحها حسن ويعتذر لها عمَّا بدر منه أمس:

- صباح الخير يا حسن.

- صباح النور.. قبل ماتقفلي الباب ابعتي حميدة تجيب أي حاجة من تحت.

تعجبت نادين فسألته:

- ليه؟؟

- عايزك في كلام مهم ومش عايز حد يسمعنا.

- حاضر.

ذهبت نادين وأرسلت حميدة لشراء بعض الخضروات كي تأخذ وقتًا أطول في الشراء.

نبرة حسن أقلقتها.. شيء ما يحدثها أن الكلام الذي سيقال بعد قليل.. هو قرار طلاقها بالفعل. عادت نادين مرة أخرى لحسن بعد نزول حميدة:

- نعم يا حسن عايزني ف ايه؟

- لآخر مرة بسألك يا نادين.. مصممة ترجعي تمثِّلي تاني؟

- عايزة أرجع امثل واشتغل وانجح ومش عايزة اخسرك يا حسن.. أنا بحبك ومش عدل ابدًا انك تحطني في الاختيار ده.

- انتي بتشترى المجهول بحياتنا يانادين.

- ليه مجهول.. هو انا أول مرة اخوض تجربة زي دي.

- الوقت غير الوقت.. مش معقول اللي هقوله هعيده.

- سني؟؟ والناس اللي نسيتني؟؟ والفشل اللي مستنيني؟

- كويس أنك عارفة.

- طيب سيبنى أجرب ولو فشلت مش هجرب تاني.

- أنا رافض الفكرة من أساسها.

- حرام عليك.

- حرام عليكي انتي تهدِّى بيتنا عشان حاجة هايفة.

- واضح اني مهما قلت انت مش عايز تفهمني ولا تحس بيا.

- أنا مش فاضي يا نادين للكلام الكتير.. هما كلمتين ورد غطاهم.. يا انا يا الشغل.

ردت بتحدى وبتماسك:

- مش هتنازل عن طموحي تاني.

- خلاص يا نادين.. كام يوم اظبط أموري وامشي.

حاولت نادين أن تتكلم.. تثنيه عن قراره ولكن كرامتها أبت أن تلح عليه التفكير مرة أخرى.. فصمتت.. أكمل حسن:

- خلال الكام يوم دول لازم نمهد للميس اننا هنتطلق.. عشان نشوف هي هتعيش مع مين؟

- هتعيش مع مين يعني ايه؟؟ هي دي حاجة عايزة كلام؟

- وانتي هتكوني فاضية تربِّي وتراعي؟

- يعني انت اللي فاضي؟

- والحل؟

- بنتى هتبقى معايا انا.. فاضية مشغولة هتبقى معايا.

- ماشي يانادين.. أكيد علاقتنا هتفضل كلها ود واحترام عشان خاطر لميس.. حقوقك كلها هتاخديها.. مصاريف لميس طبعًا مش هقصر فيها واللي تطلبيه انتي وهيَّ أنا تحت امركم.

ياللقسوة.. كل شيء منظم ومحدد.. تنظر نادينْ لحسن وهو يتحدث غير مصدقة كلماته والثبات الذي يبدو في صوته وعلى وجهه.. يبدو أنه فكر جيدًا.. يبدو أنها تتألم وحدها.. لذلك يجب أن تكون على نفس قوته وثباته حتى وإن كانت عكس الحقيقة، فلتعتبر رد فعلها وردودها في هذا الموقف تدريبًا لها كممثلة، ولابد أن تنجح في إخفاء حزنها والألم الذي يجتاحها.

* * *

مضت الأيام السابقة على أماني عكس ما كانت تتوقع، فقد كانت مهيأة أنها ستقضي وقتًا طويلًا حتى تفيق من ألم طلاقها.. ليس حزنًا على سيد وإنما على حظها العاثر وتجربتها التي لم تتوقعها.

ولكن على العكس.. مرت الأيام بسلاسة بل إن اليوم كان يمر سريعًا دون أن تشعر.. لن تنسى طيلة حياتها، تواجُد منى معها.. أو بمعنى أدق تصميم منى على وجود أماني ووالدتها معها في منزلها.

ففي إجازتها كانت بمجرد أن تستيقظ تختلق الأعذار لتأخذ أماني وتذهب لشراء بعض الحاجيات. قضت أماني مع منى يومين أغلبهما خارج المنزل.. أغدقت منى على أماني الهدايا بدون سبب. حققت منى مأربها بأن استطاعت أن تُلهي أماني عن التفكير في حالها بانشغال وقتهما معًا.

حتى انتهت إجازة منى وعادت لعملها.. وعادت أماني ووالدتها إلى منزلهما.

عادت منى إلى منزلها في المساء.. كانت تحمل همَا عظيما يجثو على صدرها.. حتى أن صوتها كان يبدو حزينًا.. وجدت أسامة جالسًا يشاهد التليفزيون:

- مساء الخير يا أسامة.

جلست على الأريكة المقابلة له.

- مساء النور.

ساد الصمت بينهما.. تعجب أسامة من نظراتها فأراد أن يخفف عنها:

- ماما وأماني بيشكروكي أوي يا منى.

- على ايه؟

- على اللي عملتيه مع أماني.

- انت عارف يا أسامة أنا بحب أماني قد ايه.. وكنت قلقانة عليها تزعل بعد الطلاق بس هي ماشاءالله تجاوزت المشكلة بسرعة.

- والله يامنى طلاق أماني ده نعمة مش حاجة تزعَّل.

- معلش بس أي ست بتكون أمل حياتها انها تكوِّن حياة وأسرة سعيدة وبيت مستقر فلما كل ده يروح أكيد هتزعل.

- بس الحمدلله هيَّ مش زعلانة.

- اللي مكنتش فاهماه بقى ان الراجل كمان بيتوجع من الطلاق زي الست بالظبط.

قال أسامة مازحًا:

- صعبان عليكي سيد.. ده كان بارد وكأنه رايح يتفسح.

ردَّت منى بجدية:

- مش بتكلم على سيد.

- أومال مين؟

- حسن.

ردد أسامة بعدم فهم كلمة منى مرة أخرى:

- حسن!! مش فاهم.

- حسن هيطلق نادين.

ضحك أسامة:

- بتهزري طبعًا.

- ودي حاجة فيها هزار؟

- مش مصدق يا منى.. حسن ونادين يتطلقوا ازاي؟؟وليه؟؟

- نفس سؤالك ده أنا سألته لحسن ومكنتش مصدقة.

- أصلها حاجة متتصدقش.. طيب ايه السبب.

- نادين عايزة ترجع تمثِّل وحسن رافض.

- يقوموا يتطلقوا.. ما ممكن يوصلوا لحل وسط.

- تخيل كل واحد فيهم بيعند ومصمم على رأيه والحل الوحيد اللي توصلوا له الطلاق.

- واحنا هنسكت؟

- اتكلمت مع حسن وحاولت اتدخل واكلم نادين رفض تمامًا أي تدخُّل.

- هو ده اللي مزعلك؟

- أه طبعًا.

- متخافيش ان شاءالله هيتصالحوا.. محدش فيهم يقدر يستغنى عن التاني، أنا متأكد.

- حسن كلم سمسار يشوف له شقة قريبة من المركز.

- هو الموضوع جد للدرجة دي.

- للأسف أيوه.

صمت أسامة وبدا على قسمات وجهه الوجوم.. نهضت منى:

- أنا قايمة أغير هدومي.

أمسك أسامة بيدها وهي عابرة بجواره.. فالتفتت له:

- تفتكرى يامنى اللي بيحصل حوالينا ده إشارة؟

- إشارة لإيه؟

- اللي حوالينا اتطلقوا.. تفتكري علينا الدور؟

فاجأها سؤاله.. خافت.. خوفها ألجم لسانها.. أكمل بمرارة:

- بتفكري في كلامي صح؟

- لأ يا أسامة.. كلامك خوفني عشان مش متوقعاه.. واحنا مش هنقارن نفسنا بحد.. أنا فيا اللي مكفيني ومش ناقصة وجع قلب.

ترك يدها، ودخلت غرفتها، جلست على طرف سريرها وهى تتساءل: هل حقًا من الممكن أن تنتهي حياتها مع أسامة لأي سبب من الأسباب.. هل مايحدث حولها نذير شؤم على بيتها؟

رددت بهدوء:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

خرجت مرة أخرى لأسامة.. وقالت له بحسم:

- لأ مش لازم اللي حصل حوالينا يحصل لنا.. هو مش فيرس واحنا خايفين نتعدى منه.. احنا لينا عقل بنفكر بيه وحب جوه قلوبنا يخلينا نواجه أي حاجة ممكن تقابلنا.

* * *

لاحظت لميس أن نادين تبيت معها في غرفتها لليوم التالي على التوالي.. فسألتها:

- انتي هتنامي هنا يامامي؟

- أيوة؟

- انتي متخانقة مع بابي؟

صمتت نادين.. فطوال اليوم تفكر في المدخل الذي ستدخل منه للميس لتخبرها بما آلت إليه الأمور.. وجدت أن الوقت مناسب جدًا بسؤال لميس.. فأجابتها:

- لولو.. أنا فكرت كتير هقولك ازاي وانتي قصَّرتي عليا الطريق.

لاحظت لميس صوت نادين المتردد المرتعش فسألتها بقلق:

- خير يا مامي؟

- أنا وباباكي اتفقنا على الطلاق.

قالتها نادين واغرورقت عيناها بالدموع رغمًا عنها.. لحظات حاولت لميس استيعاب كلمات نادين.. ثم ابتسمت:

- مامي بلاش هزار.. خضيتيني.

ردت نادين بحسم:

- بس انا مبهزرش يا لميس.

- مش معقول تكوني بتتكلمي جد.

- لأ بتكلم جد.. هنتطلق ده قرار وصلنا له.

- يعني ايه تطلقوا.. أنا عمري ما شفتكم بتتخانقوا عشان تيجي فجأة تقوليلي هتطلقوا.. يعني ايه تطلقوا وابقى بعيدة عن حد فيكم.. يعني إيه تطلقوا من غير ما تعملوا لوجودي اعتبار.

- ده الحل الوحيد.

- الحل لإيه؟؟ فين المشكلة.

- مش عايزني أرجع أمثِّل تاني.

- مش مهم.

- دلوقتي مش مهم بعد ما شجعتيني.

- شجعتك عشان انا عارفة انتي قد ايه بتحبي التمثيل.. بس معقول تكوني بتحبيه أكتر منى ومن بابي؟

- باباكي هو اللي قارن وهو اللي خيرني.

- يبقى تختارينا احنا.

- وانا؟؟

- انتي ايه؟

- أنا فين من حياتكم يا لميس.. باباكي طول الوقت ف شغله ومش مهتم بيا خالص.. وانتي حتى ف اجازتك بتكوني قاعدة ع النت ف أوضتك وفين وفين لما بنقعد مع بعض.. بروح النادي اشوف صاحباتي وكل واحدة ناجحة ف شغلها وانا الوحيدة اللي عايشة على رصيد سابق من نجاح وقف وهيتنسى.. انتوا ليه مستكترين عليا اني ادوَّر على حقي في الحياة.. ليه كل واحد فيكم بيفكر في نفسه وبس.. هو جزائي اني ضحيت في الأول يبقى لازم افضل طول عمري اضحي.

كانت لميس تبكي ولا تجد ردًّا.. كل ما قيل لا يبرر أبدًا الطلاق بين والديها وتخلى كل منهما عن الآخر.. وعنها أيضًا.

سألتها نادين بعد أن تماسكت وتحجرت دموعها التي استطاعت أن تتحكم بعدم نزولها:

- انتي بتعيطي ليه دلوقتي؟؟

- مش عايزاكم تطلقوا.

- أنا خلاص اتصلت بمجدي ووافقت على المسلسل وهنمضي العقد ف أقرب وقت.

- كان يوم أسود يوم ما كلمك مجدي الزفت ده.

- عيب كده يا لميس.

- ما احنا كنا عايشين كويسين.. لولا العرض اللي جالك ده مكنتيش فكرتي ترجعي تاني.

- الحمدلله انه جالي.. أنا كنت على وشك الاكتئاب وكنت بفكر اروح لدكتور واتعالج.

- يعني مفيش فايدة؟

اقتربت نادين منها وحضنتها بكل ما لديها من حنان:

- متخافيش يا لميس.. أنا وباباكي عمرنا ما هنكره بعض.. هيفضل طول عمره باباكي وأي وقت تحبي تقضيه معاه مش همنعك.. وانا مهما انشغلت عمري ما هنشغل عنك.. متخافيش طلاقنا مش هيأثر عليكي ف حاجة.

* * *

كان الحزن يسكن أعماق حسن رغم محاولته عدم إظهار ذلك، كان يقضي أغلب وقته منهمكا في العمل حتى لا يضطر أن يتواجد مع نادين.. فمازال يحبها ويخشى من زيادة عذابه في القرب، وكأنما قرر البعد والإسراع في إجراءات الطلاق حتى يستطيع أن ينتزع حبها من قلبه.

فوافق على أول شقة إيجار رشحها له السمسار.. وطلب من حميدة أن تحزم حقائبه وتتركها في غرفته قبل موعد انصرافها.. أما نادين فقد حاولت هي الأخرى التركيز في دراسة دورها الجديد.. كانت تلغي أي تفكير يطرأ على عقلها يذكِّرها بحب حسن وحياتها التي تنهدم أمام عينيها وابنتها التي كسا الحزن ملامحها.

تعمدت أن تغض الطرف عن كل ذلك حتى تنجح في عودتها.. فعودتها لابد أن يحالفها النجاح.. والنجاح فقط هو الخيار الوحيد لما لمسته من حسن وتأكيده لها بأنها ستفشل.. عودتها للفن بجانب حبها وحنينها.. كان تحدي والتحدي هو سيد الموقف.. فلابد أن تثبت لحسن أنها تستطيع أن تنجح كأم وكفنانة.. كما نجحت منى كزوجة وطبيبة.. وكما تنجح الكثيرات.

ظلت تتلافى مقابلته كما كان يتلافاها.. عرفت من لميس أنها حاولت أن تثنيه عن قراره كما حاولت معها.. ولكن النتيجة واحدة.. فكان رده أن هذا ما تم الاتفاق عليه بينهما.

مرَّ اليومان ثقيلين.. وكعادتها في وجود حسن تدخل غرفة لميس حتى يخرج مرة أخرى..في بداية المساء..

وجدت باب الغرفة يفتح.. فتوقعت أن لميس عادت من الدرس مبكرًا، لكنها وجدت حسن أمامها. أشاحت بوجهها عنه ولم تتحرك من مكانها على مكتب لميس، جاء صامتًا وجلس قبالتها:

- انتي مخاصماني؟

شعرت أن حسن تراجع عن قراره.. وسيطلب منها أن تنسى ما حدث.. فردت بحب:

- أنا مقدرش اخاصمك.. انت اللي مخاصمني.

ردَّ حاسمًا بنبرةٍ جدية:

- احنا لازم علاقتنا تكون كويسة عشان لميس.. أنا حاسس قد ايه هي اتأثرت بقرارنا ده وزعلانة بس ما باليد حيلة .. خلاص.

صمتت نادين.. كلمات حسن تصيبها في قلبها بطعنات قاتلة، حاولت أن تتظاهر باللامبالاة ولكن اختنق صوتها ولم يخرجِ من حلقها.. فآثرت الصمت.. أكمل حسن:

- أنا ماشي النهارده يا نادين.

تسارعت دقات قلبها حتى كادت تتوقف من سرعتها، شعرت وكأن قلبها يُنتزَع.. فالقرار والاتفاق وتوقعه شيء.. ولحظة تنفيذه شيئًا مختلفًا تمامًا، لم تتوقع أنها ستتألم لهذه الدرجة.

حسن كلماته بطيئة وكأنه يريد أن يتوقف بهما الزمن ويظلا معًا للأبد.. ولأن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.. فلم يتوقف الزمن وكان لابد أن يتم حسن كلماته:

- أنا أجّرت شقة قريبة من المركز لحد ما اشتري شقة اعيش فيها.. لما استقر هعمل أوضة للميس معايا في البيت.

ردَّت نادين بتوسَّل:

- هتاخدها منِّي؟

- لأ طبعا يا نادين.. بس لازم يكون ليها مكان في بيتي وتيجي تقعد معايا.. مش عايزها تتعود على بُعدها عني.. انتى عارفة اني مقدرش على كده.

هزت نادين رأسها إيجابًا.. فلم يكن لديها ولو قدر قليل من القدرة على الكلام

- وانتي يا نادين؟

- أنا إيه؟

- مش معنى اننا هنتطلق هنبقى بعيد عن بعض.. صدقيني انا عايزك تكوني مرتاحة ومبسوطة وبدل ده اختيارك يبقى ربنا يوفقك.

كادت أن تصرخ.. كادت أن تستبقيه وتخبره أن حبها له يفوق الحدود ويفوق حبها لنفسها ولرغبتها في النجاح.. حركة حسن ونهوضه واقفًا سبقتها

نظر لساعته:

- أنا هتأخر على الشغل.. يدوب أرجع المركز.

علقت نادين في سرها:

- مفيش فايدة.. شغله وبس.. حتى واحنا هنفترق بيفكر في شغله بدل ما يفكر يقعد معايا وانا بس اللي بسيب الدنيا علشانه.. أنا فعلًا كنت غلطانة.

ذكرته نادين:

- مش هتستنى لميس لما تيجي تسلِّم عليها.

- زمانها جاية.. هتصل بمصطفى اشوف وصلوا لفين واقابلهم تحت.. زمانها خلصت من شوية.

خرج من الغرفة وهو يتصل بمصطفى.

* * *

زاد التقارب بين لميس ومصطفى كأصدقاء في الفترة الماضية، ولكن اليومين الماضيين لم تجد لميس أمامها سوى مصطفى تبثه أحزانها وتحكي له مخاوفها

فنظرًا لانشغال وعد صديقتها بمرض والدتها المفاجئ وعدم انتظامها الأيام الماضية في المدرسة والدروس.

لجأت لميس مصطفى.. كان مصطفى مستمعًا جيدًا لها، ومطمئنًا لها على الدوام، كان يحثها على التحلي بالقوة وعدم الاستسلام لمشاعر الحزن.. كانت تشعر معه بالأمان الذي سُرق منها بغتة.

كانت تشعر به صديق مخلص.. ولكن تلك الأيام كانت تعتبره كل شيء في حياتها.. وكانت تشعر بأنه يبادلها مشاعرها.

كانا جالسين على سور كورنيش النيل كما طلبت منه لميس، تحدثا كثيرًا ثم غلب عليهما الصمت.. بعد لحظات، قطع مصطفى الصمت:

- على فكرة يا لميس اللي انتي فيه ده مش هينفع.

- انت مستكتر عليا ازعل وبيتنا بيتخرب.

- ازعلي.. بس متخلطيش كل الأوراق ببعضها.

- ازاي؟

- أنا وافقتك انك اني متروحيش الدرس ونيجي نقعد هنا بس كده غلط.. تهملي دراستك ليه.

- أنا بروح المدرسة بس عشان الوقت اللي بنقضيه مع بعض واحنا رايحين واحنا راجعين.. بنزل الدروس عشان اشوفك.. انما الحقيقة اني مليش أي نفس للمذاكرة ولا للدراسة.

- ليه يعني.. هو انتي أول واحدة مامتها وباباها يسيبوا بعض..

- أنا مهما احكيلك مش هتتخيل السعادة اللي كنا فيها والحب اللي كان بينهم.

- لأ متخيل.. أنا مريت بموقف شبه موقفك بس انا معملتش زيك كده وكنت أقوى.. مش عايزك تبقى ضعيفة وأي حاجة تهزك وتخليكي تنهاري.

- موقف مشابه ازاي؟

- وانا قدك كده بالظبط.. بابا الله يرحمه مات فجأة وكان كل حياتنا.. أه كنا على قدنا بس كنا سُعدا.. الحب اللي بتحكي عنه ده كان بين أمي وأبويا.. عمرى ما شفته غلط فيها ولا عمري شفتها ردت له طلب ولا مسمعتلوش كلمة.. أبويا فجأة مبقاش موجود وانا أكبر اخواتي والمشوار طويل وماما اللي عمرها ما اشتغلت ولا اتحطت في مواقف في الحياة بقت لوحدها وحست انها مش عارفة تتصرف.. مكنش قدامي غير اني اطمنها واخفف عنها.. عشان كده مدخلتش ثانوى عام .. مع ان مجموعي كان كبير بس مكنش ينفع ادخل ثانوي وكلية وانا عندى اخوات صغيرين محتاجين اللي يكون ليهم أب.. ومن يومها وانا بقيت اذاكر واشتغل واساعد امي باللي اقدر عليه جنب معاش ابويا قدرت امشِّي الدنيا ولسه قدَّامي كتير.

- انت حكيت لي قبل كده عن مامتك واخواتك بس محكتليش الموقف ده.

- يمكن مجتش مناسبة.. بس صدقيني يا ليس الدنيا محتاجة اللي يواجهها مش اللي ينكسر قُدَّام أي موقف.

- انت راجل.. تقدر تتحكم في مشاعرك وتصرفاتك.

- بقولك كنت قدك لسه.. وقبلها مكنتش حاسس بمشاكل الحياة ولا صعوبتها.. الحياة هي اللي بتعلم.. ويا ننكسر ونفضل على طول مع كل قلم تديهولنا الدنيا مستنيين اللي بعده يوجعنا أكتر.. يا نقاوم ونواجه ونخف من ألم القلم اللي أخدناه ويكون عندنا استعداد نصد اللي جاي أو على الأقل نواجهه بقوة مش انكسار.

صمتت لميس تفكر في كلام مصطفى.. رغم حزنها تسلل إليها بعض مشاعر السعادة بوجود مصطفى في حياتها، فما كان منها إلا أن سألته:

- إنت بتقولِّي كل ده ليه؟

- ما انا قلتلك.. مش عايز اشوفك حزينة ومكسورة.

- ليه؟

فكر مصطفى في الإجابة.. لم يتوقع السؤال المباغت والذي تصعب إجابته.. وضَّحت لميس سؤالها:

- لو مش فاهم سؤالي.. أنا بسألك ليه بتحاول تخفف عنِّي وتقف جنبي؟؟ من الآخر يا مصطفى أنا مهمة بالنسبة لك؟

ردَّ بدون تفكير:

- طبعًا.

- أيوة.. طبعا ليه بقى؟؟ يعني عشان مثلا أنا جزء من شغلك فانت مضطر تكون معايا ولا انت بتكون مبسوط واحنا مع بعض؟

- ما انتي عارفة.. أنا حافظ مواعيد دروسك أكتر من باباكي ومامتك ويمكن أكتر منك انتي كمان.

- أنا هفضل اشد منك الكلام كده؟

- عايزة توصلي لإيه يا لميس؟

- مبحبش اللف والدوران ومعنديش طولة بال أكتر من كده.. اهتمامك بيا ده عايزة افهمه وخايفة اكون عايشة ف وهم.

أشاح مصطفى بوجهه عنها.. نظر لمياه النيل التي تتلألأ أمامه دون أن ينظر لها.

آلمها عدم رده على سؤالها الواضح.. أكان ينقصها مزيد من الحزن والخيبة.. سقطت منها دموع صامتة.. نظر لها مصطفى فوجدها تبكي.

- بتعيَّطي ليه؟

- مفيش.. يالا نروح وانا هبقى أقول لبابي يشترك لي في باص المدرسة وخلاص والدروس هبقى اروح بتاكسي.

- في ايه؟؟ انتي زعلتي من ايه؟؟

- مزعلتش.

اتجهت ناحية السيارة وركبت في الخلف على غير عادتها في الفترة الماضية.. تبعها مصطفى واتخذ مكانه وبدأ قيادة السيارة.. كانت دموع لميس لا تتوقف.. فتوقف مصطفى فجأة والتفت لها:

- أنا عايز افهم انتي بتعيطي ليه.. وليه مش عايزاني اوصلك تاني وليه ركبتي ورا؟

تجاهلت لميس أسئلته وظلت تبكي وهي تنظر من نافذة السيارة:

- واضح انك مفهمتيش قصدي.

- لأ فهمت.. فهمت من سكوتك انك مش عايز تحرجني.

- يبقى مفهمتيش حاجة.

- فهمني.

- طيب تعالي اقعدي جنبي وانا افهمك.

تركت لميس مكانها وانتقلت للجلوس بجانبه.. بمجرد جلوسها بدأ يشرح لها:

- حاجات كتير تخليني افكر ألف مرة قبل ما اقولك اللي حاسس بيه.

- المهم تكون حاسس.

- حاسس والله.. وبدل ما اكون فرحان.. خايف.

- من إيه؟

- فرق السن وفرق التعليم وفرق المستوى الاجتماعي وفروق كتير يا لميس انتي أكيد عارفاها.

- فرق السن ايه؟؟ انت محسسني ان عندك 50 سنة.. كل اللي بيننا 7 سنين يا مصطفى.

- وباقي الفروق.

- حاسة انك بتتحجج.

- يعني كل ده مش حاسة اني خايف احبك واتعلق بيكي أكتر.

ابتسمت لميس بفرحة:

- يعني بتحبني؟

- بس عارف ان مستحيل أقدر اتقدملك في يوم من الأيام.. مش هجرؤ اكلم باباكي في حاجة زي دي من الأساس.

- لسه بدري لحد ما تقدر تكلمه.. انت تقدر تكون واحد تاني.

- واحد تاني ازاي.

- من هنا لحد ما ادخل الكلية تقدر تشوف شغل أحسن حتى لو بعيد عن بابي وتكون نفسك.

- وتفتكري هو هينسى اني السواق بتاعه.

- ينسى ولا مينساش.. أنا مش هخلي حد يتحكم في حياتي وانا حرة في اختياري.. مش هما كل واحد فيهم اختار حياته بنفسه.. يبقى حقي انا كمان اختار اللي بحبه.

- يعني اطمن يا لميس.. بتحبيني وهتستنيني؟

- اطمن طبعًا.. وزى ما وقفت جنبى وانا محتاجة لك.. عمري ما هخذلك أبدًا.. بس أهم حاجة انت تفضل جنبي ومتسبنيش انت كمان.

- متخافيش.. أنا مقدرش اسيبك أبدًا.

رنَّ هاتف مصطفى.. نظر للاسم وردد:

- باباكي.

ردَّ على الاتصال:

- ألو.. أيوة يادكتور خلصت الدرس وراجعين اهو.. 5 دقايق وهنبقى عند حضرتك.. مع السلامة.

التفت للميس:

- باباكي نازل هيستنانا تحت.

- طيب اقف لما ارجع اركب ورا.

توقف مصطفى بالسيارة.. ترجلت لميس وركبت في الخلف، ثم أكمل طريقه حتى البيت.. وجد حسن واقفًا في انتظارهما.

نزلت لميس واتجهت لحسن.. احتضنها وهو يقبلها، لاحظت الحقائب الموضوعة بجواره على الأرض:

- ايه ده؟

تجاهل سؤالها وتوجه لمصطفى بالحديث:

- حط الشنط في العربية يا مصطفى.

بينما كان مصطفى ينفذ الأمر.. كررت ميس سؤالها بصوت مختنق:

- انت ماشي؟؟

ربت على يدها التي أخذها بين يديه:

- حبيبتي ماما هتفهِّمك على كل اللي اتفقنا عليه.. أي حاجة تحتاجيها كلميني في التليفون وهتكون عندك.

- وهشوفك ازاي.. هتوحشني يا بابي أنا مش متعودة على غيابك عن البيت كتير.

- معلش يا ميس.. لازم تتعودي على الوضع الجديد.. واحنا مش هنبعد عن بعض ولا حاجة.. أنا هشوفك دايمًا.

قبلها من جبينها وهو ينهي لقاءهما:

- يالا اطلعي.. وخلِّي بالك من نفسك ومن مذاكرتك.

استسلمت ميس لما يحدث.. وهزت رأسها طاعة لكلام والدها.

* * *

- 14 -

مضى خمسة أشهر على طلاق نادين وحسن.. خلالهما.. انخرط كل منهما في عمله بكل ما أوتي من وقتٍ وجهدٍ.. والعلاقة بينهما لم تنقطع.. فالتواصل دائم بينهما من أجل لميس.. كانت اتصالاتهم حجة ليطمئن كل منهما على الآخر أكثر من الاهتمام بلميس.

أما لميس والتي فهمت أنها أصبحت مجرد حجة بين والديها.. لم تجد سوى قلب مصطفى يحنو عليها.. فأعطت له كل مشاعرها ووقتها وأسرارها كما أخذت منه سعة صدر واهتمام وحنان افتقدته من والديها، عوضت افتقادها لأسرتها بالتقارب المتزايد لمصطفى.. حتى شعرت أنه الوحيد الذي يحبها أكثر من والديها.. فكل منهما اهتم بنفسه وعمله واختياره دون الالتفات لما ستعانيه من بُعدِهما.

رغم الحب الذي تكنه نادين لحسن فقد استطاعت أن تتعامل معه بجفاء ظاهري لتشعر برد كرامتها، فكانت تنتظر أية مكالمة منه بمنتهى الشوق واللهفة وعندما يتصل بها ترد بكلمات قصيرة مقتضبة وتتظاهر بالانشغال.. وإذا تأخَّر في اتصاله لأيام متتالية.. تبحث عن أي سبب يخص لميس لتقوم بالاتصال به وأثناء المكالمة كانت تلقي بعض الكلمات التي يفهم منها أنها مضطرة للاتصال به من أجل لميس.. وعلى مستوى عملها.. فقد اقتربت من انتهاء تصوير المسلسل، وأصبحت نجمة مرة أخرى وصورها على أغلفة المجلات ولقاءاتها على شاشات الفضائيات للدعاية للمسلسل الجديد.. ولم يخلُ الوسط الفني من بعض

الهمسات عن وجود علاقة عاطفية بين نادين ومخرج المسلسل مجدي الهندي.. لم تكن تلك الأخبار شائعة بحتة بل كان لها أساس، ولكن تم تهويله بعدما تناقل من الألسنة لسطور المجلات.

عندما قرأت لميس في أحد الحوارات مع نادين سؤال عن علاقتها بمجدي.. شعرت بالضيق وانتظرت حتى جاءت نادين من الخارج وخرجت من غرفتها مندفعة:

- إيه المكتوب ده يامامي؟

تناولت نادين المجلة:

- هو الحوار نزل؟

- أيوة.. وايه علاقتك بمجدي ده؟

- ما انتي شفتيني رديت.. هو باباكي شاف الحوار؟

تذكرت نادين أنها عندما جاوبت على السؤال الذي يخص علاقتها بمجدي الهندى.. لم تنفِ الخبر ولم تؤكده.. كانت تتعمد إثارة غيرة حسن عندما يقرأ الحوار أو على الأقل ينقل له أي قارئ مضمون الحديث.. ردَّت لميس:

- بابي مقراش حاجة.. انا اللي عايزة افهم.

- عايزة تفهمي ايه؟

وقرأت لميس من المجلة: "الحب في حياة نادين؟"

"موجود"..

" يعني الأخبار اللي بتقول ان فيه ارتباط بينك وبين المخرج مجدي الهندى دي حقيقية؟؟"

" كل حاجة هتبان في وقتها".

توقفت لميس عن القراءة وهي تنظر لنادين منتظرة منها رد، دخلت نادين غرفتها وكأن ما قرأته لميس لايعنيها.. تبعتها لميس:

- مامي.. ممكن تفهميني ايه ده؟

- عايزة تفهمي ايه؟

- قصدهم ايه بارتباط؟

- معرفش.

- أكيد حب أو جواز.

- انتي بتحاسبيني يا لميس؟

- لا يا مامي.. عايزة افهم أرجوكي ريحيني؟؟ ردك بيقول ان فيه حاجة فعلًا.. المكالمات الكتير اللي بينكم اللي أنا ملاحظاها بتقول ان فيه حاجة فعلًا.

- طبيعي نتكلم ونتقابل مش بنصوَّر مسلسل.

- غير المسلسل.. انتي ممكن تتجوزي؟

شعرت نادين بحيرة لميس.. فأجلستها بجوارها.. وكلمتها بحنان:

- انتي ايه اللي مضايقك؟

- عايزة اعرف الحقيقة.

- مجدي فعلًا صارحني انه بيحبني وعايز يرتبط بيا.. وقالي انه كان هيصارحني بحبه قبل ما يعرف اني بحب حسن وبفكر ف الاعتزال.. وقتها هو متكلمش وسكت وبقت علاقتنا عادية لحد ما اتقطعت تمامًا.. أنا مكنتش اعرف انه

بيحبني زمان لأنه اتجوز خلال السنين اللي فاتت دي مرتين وطلَّق.. وانا لما رجعت اشتغل معاه مكنش على بالي حاجة زي دي خالص ومع الوقت حكالي على كل ده.

بدأت الدموع تتجمع في عيني لميس:

- وانتي يامامي؟؟ بتحبيه.

- بحبه كأخ وصديق وحد وقف جنبي في حاجات كتير.

- بس؟

- أيوة بس.

- يعني مش هتتجوزيه؟

- لا يا لميس.. لا هتجوزه ولا هتجوز غيره.

ابتسمت لميس فرحًا والدموع في عينيها.. فاحتضنتها نادين مطمئنة لها.

* * *

وجد حسن أخيرًا شقة تناسبه واشتراها وبدأ في الاستعداد لتأسيسها.. بدون استعجال فقد كان متبقي أربعة أشهر لانتهاء عقد الشقة الإيجار.. في الشهور الماضية، لم يكن لحسن سوى منى تهتم بشئونه، فكانت هي التي تعتني بمأكله ونظافة ملابسه والإشراف على تنظيف شقته قدر استطاعتها وبما يتناسب مع وقتها.

الاعتناء ببيت آخر بجانب بيتها بالإضافة لعملها أصابها بالمشقة، ولكنها حاولت إخفاء ذلك..

لاحظت في الشهر الأخير اهتمامًا واضحًا بها من حماتها، وتقدير لظروفها وتعبها دون أن تشتكي.. فكانت ترسل لها أصناف الطعام المطهوة بما يكفي بيتها وتؤكد عليها أن تدعو حسن.

كانت تأتي هي وأماني وتقومان بإتمام كل ما لم تتمكن منى من إتمامه من شئون المنزل.. وتذهب راضية.. كفت على افتعال المشكلات.. بل الأعجب من ذلك أن لسانها أصبح ينقط عسلًا مع منى.

فرحت منى كثيرًا بالتحول الذي انتظرته أعوامًا طويلة.. فكرت كثيرًا كيف تشكر حماتها على معاملتها الطيبة .. ومع اقتراب عيد الأم، وجدت أنها الفرصة المناسبة.

قبل عيد الأم بأيام ودون أن تخبر أسامة، ذهبت لأحد محلات الصاغة، وطلبت من الصائغ سلسلة تتدلى منها قلادة ذات وجهين وجه به صورة أسامة والوجه الآخر صورة أماني.

وفي يوم عيد الأم صباحًا.. كان البائع انتهى من إعداد السلسلة، فأخذتها وذهبت في الحال لمنزل حماتها. عندما وصلت منى لمنزل حماتها، استقبلتها بترحاب شديد وأصرت أن تقدم لها فطورًا، فاعتذرت منى.. ثم أخرجت السلسلة من حقيبتها:

- ماما.. كل سنة وانتي طيبة.

تناولت حماتها السلسة بفرحة:

- إيه ده يامنى؟

- دي حاجة بسيطة يارب تعجبك.

قرَّبت حماتها السلسلة من شفتيها.. وقبَّلت كل صورة من صور ابنائها.

- شكرًا يا منى.. دي أغلى هدية جت لي ف حياتي.

- العفو يا ماما.. دي أقل حاجة اقدر اقدمهالك.. أومال أماني فين؟

- راحت السوق.. عايزة حاجة للبيت اكلمها تجيبهالك وهي جاية.

- لا شكرا.. انا معلش مستعجلة ولازم اقوم اروح الشغل.

- طيب هترجعي إمتى.

- مش عارفة والله ياماما.

- لو خلصتي بدري تعالي اتغدي معانا.. ولو مخلصتيش هبقى ابعتلك غداكي انتي والدكتور مع أسامة.

- متتعبيش نفسك احنا بنتصرف.

- لا يا حبيبتي.. تعبك راحة.

منى كانت سعيدة بالمعاملة الجديدة سعادة تفوق الوصف، ولكنها لاحظت أن حماتها مترددة بعض الشيء. خشيت منى أن تكون حماتها ستفتح معها سيرة الحمل.. فنهضت:

- هستأذن انا يا ماما.

- إستني يا منى.. عايزاكي.

جلست منى مرة أخرى.. وشعرت أن العلاقة بينها وبين حماتها في الفترة الماضية هدوء يسبق العاصفة.

- بقى صلى ع النبي.

- عليه الصلاة والسلام.

- أماني تبقى اختِك ولا لأ؟

- طبعا ربنا اللي عالم بمكانة أماني عندي.

- طيب لو ف ايدك تساعديها.. هتتأخري؟

- أبدًا.

- طيب انتي مش توفقي راسين في الحلال.. واهو الاتنين مش أغراب عنك.

صمتت منى برهة تجمع خيوط الحديث وتحل الكلمات التي ينقصها الأسماء.. وسألت لتتأكد:

- قصدك مين؟

- أماني والدكتور حسن.

فوجئت منى فلم يخطر على بالها من قبل ماتقترحه عليها حماتها، أكملت حماتها:

- أماني زي ما انتي عارفة شاطرة وفُلة وكل أملها انها كانت تعيش كويس مع راجل يصونها.. إنما المخفي اللي اتجوزته ده كان ميتعاشرش أبدًا.. والدكتور اسم الله عليه بقى وحداني وعايز حد يشوف طلباته ويخلى باله منه ويريَّحه.. واللي مالقاهوش في مراته هيلاقيه في أماني.. أماني هيقولها يمين يمين شمال شمال.. لا ف يوم هتقوله اروح امثل ولا اروح أغني.. وع الأقل اطمن عليها قبل ما اموت هتبقى انتي مرات اخوها واخت جوزها وتبقوا كلكم عيلة واحدة.. ها قلتي ايه؟

ردت منى وهى تفكر:

- بس انا ف ايدى ايه؟

- اييييه.. ف ايدك انتي كل حاجة.

- إزاي؟

- يعني هو الدكتور ليه غيرك.. انتي لو قلتيله على أماني وان انتي متأكدة انها هتريَّحه مش معقول هيقولك لأ.. ومتأخذنيش يعني واحد في سنه أكيد مش هيدور على بنت بنوت.

- مش دي الفكرة.. أماني متتعيبش أبدًا.. بس انا معرفش هو بيفكر يتجوز ولا لأ؟

- ماهو أكيد مش هيفضل طول عمره وحداني.. وبعدين لو مكنش ناوي يتجوز كان بيشتري شقة ليه؟

- عشان يعيش فيها ويبقى مستقر.

- وهو فيه استقرار من غير ست.. إسمعي انتي بس كلامي وفاتحيه ف سيرة الجواز.. الراجل اللي ف سنه هيبقى عايز ست تخلي بالها منه.

- هشوف.

- وخلي الكلام ده بينى وبينك.. إوعي أسامة ولا أماني يعرفوا حاجة.

- حاضر متقلقيش.

- انتي عارفة يا منى.. جوازة زي دي هتثبتك أكتر واكتر في عيلتنا.. هو أينعم مفيش عيل بيربطك بأسامة بس الجوازة دي هتخلي أسامة ميستغناش عنك أبدًا ولا يزعلك عشان خاطر هناوة أخته.

استقبلت منى التهديد المُغلَّف بالنصيحة بهدوء وابتسامة خفيفة لتخفي توترها.

نهضت للمرة الأخيرة وصافحت حماتها:

- اللي فيه الخير يقدمه ربنا يا ماما.. مش عايزة حاجة؟

- شكرًا.. وشكرًا ع الهدية ولو اني الهدية اللي مستنياها هي فرحتي بأماني.

- إن شاءالله.. سلامو عليكو.

طوال الطريق وأثناء قيادة منى لسيارتها وهى تفكر فيما قالته حماتها.. الآن أدركت أن المعاملة التي تحولت للنقيض تمامًا لم تكن حبًا فيها ولا بنيَّة خالصة وإنما كانت تمهيدًا لهذا الطلب الغريب.

وما الغريب في ذلك.. أليس من حقها أن تبحث عن سعادة ابنتها؟

ظلت الأفكار والردود تتردد داخل عقلها.. هل تشتري معاملة حماتها الطيبة والكف عن إيذائها بكلماتها ولسانها السليط بإقناع حسن بالزواج من أماني؟

وما الضير في ذلك.. فأماني تستحق زوج كحسن وحسن أيضًا لن يقضي بقية عمره وحيدًا.

هل في ذلك خيانة لصداقتها وحبها لنادين؟.. ولكن نادين هي من اختارت وتخلت عن حسن.

وصلت منى للمركز.. مرَّت على مكتب حسن فلم تجده وعرفت أنه في العمليات.. ذهبت لمكتبها وباشرت عملها كالمعتاد، ولكن رأسها لم يكف عن التفكير في حديث الصباح الذي دار بينها وبين حماتها.

في الرابعة عصرًا.. وجدت منى أماني تتصل بها.. فردت:

- ألو.. ازيك يا أماني.. انتي هنا.. طيب استنيني هخلص الكشف اللي معايا واطلعلك.

تعجبت من زيارة أماني المفاجئة.. ولكنها انتظرت حتى تعرف سبب الزيارة

بعد الانتهاء من الكشف.. خرجت واستقبلت أماني:

- أهلًا يا أماني.. اتفضلي.

تبعتها أماني وهي تحمل شنطة بلاستيكية كبيرة.. وضعتها على الطاولة الصغيرة التي أمام المكتب وجلست على أحد الكرسيين:

- اتفضلي يا ستي.. ماما بعتالك الغدا انتي ودكتور حسن.

- متشكرة أوي.. بس هي قالتلي انها هتبعت مع أسامة.

- المفروض.. بس معرفش ايه اللي طلع في دماغها فجأة انها متستنناش أسامة وان الأكل هيبرد وفضلت تزن عليا اني اجيلك فقلت على ايه وجع الدماغ لو قلتلها لأ هتفضل يومين تلاتة ماسكاهالي.

- شكرًا يا أماني.

نهضت أماني قائلة:

- يالا مش هعطلك.. مش عايزة حاجة؟

- انتي لحقتي ترتاحي؟

- أروَّح ارتاح في البيت.. يابنتي انا من الصبح مشاوير لما اتهديت.. بقولك ايه ماما قعدت تقولى ابقى سلِّمي على دكتور حسن وانتي هناك عشان ميصحش.. بس انا محرجة ومش شايفة لها لزوم.. فابقي سلمى عليه انتي وخلاص.

ضحكت منى من المخططات الساذجة التي تخططها حماتها والتي رغم سذاجتها لم تنتبه منى لها من قبل ومن الواضح أن أماني أيضا لم تنتبه لها.

أثناء تناول منى وحسن الطعام سويًا، وجدت الفرصة سانحة لجس نبض حسن.. فسألته:

- هتنقل الشقة الجديدة إمتى؟

- لما تخلص.. لسه فيها حاجات كتير عايزة تتعمل.

- هتفضل عايش لوحدك كده لحد إمتى؟

- والله مش عارف.. صعب أوي ان الواحد يبقى لوحده بعد ماكان وسط اللي بيحبهم.

- مفكرتش تتجوز؟

سألته وتظاهرت بالامبالاة وهي تستكمل طعامها.

- فكرت فعلًا.

فوجئت منى برد حسن.. لم تتوقع أنه فكر في الزواج بالفعل.. فهى تعلم تمامًا مدى حبه لنادين.. وكانت تسأله وهي متوقعة رفض الفكرة تمامًا، فسألته مرة أخرى:

- انت نسيت نادين بالسرعة دي؟

- وده معقول يا منى.. هنسى الحب الوحيد في حياتي وام بنتى وعِشرة عمري أكتر من 15 سنة في الكام شهر دول.

- مش بتقول فكرت في الجواز.

- أيوة.. متنسيش اني راجل كبير بَحَكِّم عقلى محتاج ست في حياتي وبيت مستقر مش شاب صغير بيمشى بمشاعره وهيقول يا اللي بحبها يا خلاص.

- طيب ليه مفكرتش ترجع لنادين؟

سؤالها كان بمثابة راحة لضميرها ليس إلا.. سؤال أخير قبل أن تبدأ في ما طلبته منها حماتها.. أجابها حسن:

- مبقاش ينفع أنا ونادين نرجع لبعض.. هي اختارت وانا متأكد انها دلوقتى مش هتتنازل عن نجوميتها زي زمان.. أنا اديتها فرصتها في التفكير قبل الطلاق وهي صممت.

- وفكرت في عروسة مناسبة؟

- يعني بحاول ابص حواليا كده في زمايلنا اللي نعرفهم.. ملقيتش غير دكتورة مها عبد الموجود بس بصراحة مُحرج اتكلم معاها.

- اشمعنى دكتورة مها؟

- يعني ظروفها مناسبة.. مُطلقة وبدون أولاد وسنها مناسب.

- بس يا حسن دي شكلها أكبر منك.

- لا قدي.. أصلها كانت دفعتي.

- كبيرة برضه.. انت بتحبها؟

- لا.. انا زي ما قلتلك بدوَّر على حد مناسب وخلاص.. مش هتفرق هي أو غيرها.

- بس انت بنات كتير تتمنى واحد زيك.

- بنات.. إخص عليكى يا منى .. عايزة الناس يقولوا اتجنن على كَبَر.

- مش قصدى المعنى الحرفي يعني.

- طيب يا ستي إيدي على كتفك لو لقيتي حد قوليلي.

- العروسة موجودة وانت عارفها.

- مين دي؟

كانت منى تتحدث في نفسها وتتعجب من سير الحديث بهذه السرعة والسلاسة عكس ما كانت تتوقع تمامًا. توقعت أنها لن تجرؤ أن تتحدث في هذا الموضوع.. توقعت أن مجرد فتحها لسيرة زواج حسن سيقابلها بالرفض التام.. توقعت أنها ستستغرق وقتًا طويلًا حتى تصل لهذه الجملة الأخيرة، أجابته:

- أماني..

ردد متعجبًا:

- أماني!!

- ايه رأيك فيها.. أنا عارفة ان نادين أحلى و اشيك منها بس أماني مش وحشة.

- مش موضوع أحلى وأوحش وانا مش هقارن أي حد بنادين لأني لما حبيتها حبيتها على بعضها بشكلها بشخصيتها .. ومش بدوَّر على شكل ولا فارق معايا شكل أساسًا.. أنا فكرت اتجوز عشان لازم اتجوز مش عشان بحب.

- يعني مش معترض على أماني.

- هى اللي هتعترض مش أنا.. متنسيش اني اكبر منها بكتير.

- كتير ايه يا حسن.. هما حوالي 17 سنة مش كتير يعني.

صمت حسن مفكرًا.. وكانا قد انتهيا من تناول طعامهما، نهضت منى وهي تجمع الأطباق والعلب الفارغة:

- فكر وبراحتك يا حسن.. أنا قلت اللي نعرفه أحسن من اللي منعرفوش.. لو انت عايز تكلم دكتورة مها براحتك.

- اتكلمي مع أماني واسأليها من بعيد لبعيد وشوفي رأيها.. يعني من غير إحراج ليا كأن الكلام منك انتي وابقي قوليلي قالتلك ايه.

* * *

تبقى أيام قليلة وتنتهي نادين من تصوير المسلسل.. كانت تراجع المشاهد المتبقية لها في غرفة المعيشة وهي تحتسي قهوتها، حين جاءها اتصال من مكتب أحد المنتجين يحدد معها موعد للقاء في أقرب وقت، بمجرد أن انتهت من الاتصال، اتصلت بمجدي:

- ألو.. ازيك يا مجدي؟

- ازيك يا نادين.. هتقوليلي انك وافقتى على عزومة العشا صح؟

- لا انت عارف اني مش هنزل النهاردة.. سيبك بس وركز معايا.

- خير؟

- دلوقتي جالي اتصال من مكتب فايز الجيار وحددوا معايا معاد بكرة الضهر.

- طيب خير.. أكيد عايزينك في شغل.

- معقول؟

- وليه لأ.

- المسلسل لسه متعرضش يعني عشان يشوفوا هينجح ولا لا.

- ميمنعش يا نادين انتي مش لسه ممثلة جديدة.. عمومًا كل الكلام ده زي قلِّته، انتي روحي المعاد وشوفي العرض بتاعهم ايه وطبعًا مترديش أي رد من غير ما تاخدي وقتك في التفكير.

- أكيد يا مجدي.. ماتيجى معايا أنا متعاملتش معاه ولا اعرفه قبل كده.

- لأ.. روحي لوحدك عشان تستعيدى ثقتك بنفسك وتتعودي على عروض الشغل اللي هتجيلك كتير الفترة الجاية إن شاءالله.

- ماشي يا مجدي.. أشوفك بكرة.

- أوك.. إيه رأيك نتغدى مع بعض بعد معادك ونطلع على اللوكيشن؟

- تمام.. مع السلامة.

أنهت نادين مكالمتها مع مجدي، فوجدت لميس تقف على باب غرفة المعيشة.. نظرت لها:

- مالك واقفة كده ليه؟

- انتي بكرة مش موجودة في البيت؟

- مش انتي عارفة ان عندي شغل.

- عارفة ان شغلك بالليل.

- تعالي احكيلك عن الجديد.. أنا جالى تليفون.. .

قاطعتها لميس:

- سمعت اللي حكتيه لمجدي.

- وايه رأيك؟

ردت لميس بألم:

- مش خلاص أخدتي رأيه.. وهتتغدي معاه وهبقى انا لوحدي؟

- لوحدك ازاي يا لميس.. مش حميدة بتيجي كل يوم ومش بتمشي غير بالليل.

- أيوة.. بس هي متغنيش عن وجودك معايا.. أنا بقيت لوحدي.

- لوحدك؟؟ انتي الوقت اللي بتبقي موجودة فيه ف البيت صاحية وفاضية ميجيش ساعتين على بعض.. من المدرسة للدروس للمذاكرة للنت.. يبقى فين الوقت اللي حاسة فيه بالوحدة.. أنا قبل ما اشتغل كنت لوحدي بكل معنى الكلمة.. انتي وباباكي كنتوا مشغولين عنِّي تمامًا وانا كل وقتي كان فاضي.

- مامي.. أنا حفظت الكلام ده ومش معترضة على شغلك.. بس خليني في اهتماماتك شوية.

نهضت نادين من مكانها واقتربت من لميس التي ظلت واقفة مكانها.. احتضنتها بحنان:

- حبيبتى انتي أول اهتماماتي.

سعدت لميس بالحضن الذي افتقدته.. ولكنه لم يكتمل.. فقد قطعه رنة موبايل نادين.. وردت نادين على المتصل:

- ألو.. أيوة يامجدي.

وبمجرد أن سمعت لميس اسم مجدى، انسحبت إلى غرفتها، واتصلت بمصطفى:

- ألو.. مصطفى انت فين؟

- أنا لسه داخل البيت .. مالك يا لميس.

- زهقانة ومخنوقة.

- من إيه؟

- هقولك بس قولي الأول انت بكرة تعرف تفضِّي نفسك.. عايزة اقضي اليوم معاك.

- وهتقولي لمامتك ايه؟ مش انتي وهيَّ بكرة اجازة.

- أه.. بس هي هتنزل بدري وانا مش عايزة افضل طول اليوم لوحدي مع الشغَّالة.. ولا انت كمان مشغول.

- لأ عادي.. طول ما الدكتور في المركز مش بيكون محتاجلي وانا ممكن اروح أي مشوار عادي.

- خلاص.. يبقى هنقضِّي اليوم مع بعض.

- وهتقولي لمامتك رايحة فين؟ ولا هتقولي عندك درس؟

- لأ درس ايه، هقولها هخرج اتفسح مع صحابي.

- وافرضي رفضت؟

- لأ طبعًا مش هترفض لأنها مبقتش فاضيالي.

- خلاص اتفقنا.. بقولك ايه؟

- إيه.

- هقولك حاجة بس لو هتضايقك اعتبريني مقلتهاش.

- قول يا مصطفى.

- أنا من كتر ما كلمت ماما عنك نفسها تشوفك.. إيه رأيك تيجي عندنا بكرة.

- آآآه ماما نفسها تشوفك واجى اتفاجئ اننا لوحدنا.. الحاجات دي بقت مفقوسة أوي يا مصطفى.

- أنا؟؟ أنا اعمل كده يا لميس؟ انتي مش واثقة فيا.

- متزعلش بهزر معاك.

- لو عايزة تطمنى.. ممكن اخلي ماما تكلمك وعلى فكرة احنا بيتنا مبيفضاش من ماما واخواتي حتى لو ماما بره ف مشوار اخواتي ف البيت.

- خلاص يا مصطفى قلتلك بهزر.

- طيب إيه رأيك تيجي تتغدي معانا بكرة ف البيت وبعدين نخرج.

صمتت لميس لحظات مترددة.. ثم أجابت:

- أوك.. اتفقنا.

* * *

ظلت نادين متوترة وهي تستعد للذهاب لموعدها.. تحاول أن تتوقع ماذا سيدور في هذا اللقاء.. هل سيعرض عليها عمل جديد بالفعل أم أنه لقاء لأي سبب آخر.. ولكن لا يوجد أية أسباب أخرى تدعو منتج لأن يحدد معها موعد.

بعدما انتهت من ارتداء ملابسها.. قررت أن تترك التوقعات للوقت القليل التالي لتعرف تحديدًا سبب الموعد.

ذهبت للمطبخ وجدت حميدة جالسة تتحدث في التليفون.. وعندما رأت نادين أنهت مكالمتها سريعًا، وسألتها:

- حضرتك نازلة يا مدام؟

- أيوة.. خليكى مع لميس النهارده لحد ما اجى.

- لميس!! أنا دخلت اروق أوضتها لقيتها بتلبس وقالت معملش غدا.

فوجئت نادين.. تركت حميدة وذهبت لغرفة لميس، فتحت الباب دون أن تطرقه.. وجدت لميس مرتدية ملابس الخروج، فسألتها باستغراب:

- انتي نازلة؟

- أيوة.

- من غير ما تستأذنى؟

- كنت هقولك طبعًا يامامي.. بس أكيد مش هتقولي لأ.

- ليه أكيد؟

- هترفضي اروح لبابي؟

- لا مش هرفض بس المفروض اكون عارفة.

- أصل أنا هخرج مع اصحابي نتغدة وبعدين اعدي عليه.

- يعني مش رايحة من هنا على باباكي؟

- لأ.. هخرج مع اصحابى الأول.

- وعد؟

- لا مش وعد.. أصحاب تانيين.

- مين هما؟

- متعرفيهومش.

- ليه محكتيليش عليهم.

- لو تحبى اقعد احكي لك دلوقتي ماشي.

نظرت نادين في ساعتها:

- لا مش فاضية دلوقتي.. بعدين ابقي احكيلي.

- أوك يا مامي.. هترجعي إمتى بالليل؟

- مش عارفة احتمال اتأخر.. انتي لما ترجعي كلميني.

- أوك يامامي.

- باي.

خرجت نادين مسرعة.. ووقفت لميس سعيدة بأن توقعاتها كانت صحيحة.. فنادين لم ترفض أو تسألها عن تفاصيل من الممكن أن تفضح كذبتها، ورغم سعادتها بالحرية التي اكتسبتها في انشغال والديها، كان شعور الإهمال الذي يلازمها ينغص حياتها.

في الموعد المتفَّق عليه.. أتى مصطفى ووقف بالسيارة أمام المنزل، ركبت بجوراه.

- مقلتليش يعني انك جاي بالعربية.

- انا قلت للدكتور اني رايح مع والدتي مشوار هياخد اليوم كله فقالي خد العربية معاك وابقى تعالى لما تخلَّص.

- كويس.. عشان تبقى توديني اشوفه واقعد معاه شوية.

- ماشي.. ماما واخواتي مستنيينك وفرحانين أوي انك جاية.

ابتسمت لميس.. فلم تعرف بمَ تجيبه.. موافقتها على زيارة والدته ليست تلبية لرغبته أو رغبتها.. بل من باب استخدام الحرية المطلقة بأي شكل دون التفكير في عواقبه.. التلذذ بما قد يغضب والديها إذا عرفا به رغم خوفها من علمهما..

وأخيرًا التعرف على عائلة مصطفى الوحيد الذي تشعر معه بالراحة والأمان والحب.

دخل مصطفى في منطقة شعبية.. ومن شارع لشارع متفرع آخر.. وكلما توغل في المنطقة ازدادت مظاهر الفقر على البيوت والمحال حتى وجوه الناس التي تعبر بجوارها وتنظر للسيارة الفارهة بتعجب.

كانت لميس تراقب كل ما حولها بصمت.. حتى توقف مصطفى خارج أحد الحارات وهمس بإحراج يحاول إخفاءه:

- وصلنا.

ترجلت لميس من السيارة.. وسألته:

- فين البيت؟

أجابها مصطفى وهو يشاور لداخل الحارة:

- العربية مش هينفع تدخل جوَّه.. مش هتمشي كتير تالت بيت ع اليمين.

سارا معًا داخل الحارة.. كم رأت من مشاهد تعبر عن حال الفقراء في شاشات التليفزيون، ولكنها لم تتقابل معها وجهًا لوجه من قبل، البيوت المتصدعة التي لا تعرف كيف يعيش فيها أهلها رآتها عن قُرب.. الأطفال الذين يلهون في الحارة ورغم برودة الجو نسبيًا إلا أن منهم من يرتدي - نُص كم.

بِركة صغيرة من ماء يبدو أنها متبقية من آخر موجة ممطرة يلهو فيها الأطفال بعضهم حُفاة، شعرت بالاشمئزاز ورغمًا عنها علَّقت:

- دول يعيوا كده.. المياه دي أكيد مليانة جراثيم.

ضحك مصطفى:

- لا عادي.. متعودين على كده.

كلمته تكررت في أذنها: "هل كان هو أيضًا أحد هؤلاء الأطفال في فترة مضت".

- تعالي اتفضلي.

وقف مصطفى أمام المنزل وهو يفسح لها الطريق، نظرت للسلم المظلم رغم ضوء النهار.. خافت:

- اطلع انت قدامي.. السلم يخوف أوي.

- متخافيش.. تعالي.

تقدمها بخطوات ومدَّ يده يمسك يدها:

- خلي بالك عشان فيه سلالم مكسرة.. إوعي تقعي.

رددت في سرها: "يادي النيلة".

أمسكت به خوفًا أن تُزَّل قدمها.. صعدا للدور الثاني، ووقف مصطفى أمام واحدة من الشقتين المفتوحان بابهما، نادى للداخل:

- ماماا.. تعالي.

لم يكن الحال في الداخل أحسن من خارج البيت بكثير.. فالحائط الذي كان يواجه باب الشقة.. أي في مواجهة لميس يقسمه تشقق مائلًا جعل لميس تتخيل للحظة ماذا لو تهدَّم المنزل كله فوق رأسهم جميعًا.. وإذا عُثِر على جثتها بين الأنقاض كيف سيفسر والديها وجودها في هذا المكان.. كيف سيفسرأن وجود جثتها مع جثة مصطفى؟

لم يحن لها وقت للإجابة فقد أتت والدة مصطفى ترحب بها، احتضنتها بشدة تعبيرًا عن فرحتها بقدومها.. رائحة ممتزجة من العرق وروائح شُبِّهَت لها أنها ثوم أو بصل.. لم تستطع تمييزها بدقة.

كانت ما تزال واقفة على مدخل الشقة..

- اتفضلى يا حبيبتي.. يا ألف خطوة عزيزة.

قال مصطفى مرحِّبًا:

- اتفضلي يا لميس.

نظرت لميس.. أين ستتفضل بالجلوس، وجدت أن الصالة الضيقة التي لا تتجاوز مساحتها 9 متر مربع تحتوي على كنبة كبيرة وسرير وتتوسط الصالة طبلية مُعدّ عليها الطعام.. لم تنظر لميس بدقة.. فقد كان الجو العام يثير اشمئزازها، أما ما زاد الطين بلة.. حين سأل مصطفى والدته:

- أومال اخواتي فين؟

- نزلوا يملوا مياه من الجامع.

- أنا شايف البستلة مليانة الصبح قبل ما اروح الشغل.

- كلها خلصت وانا بطبخ.

علقت أم مصطفى موجهه حديثها للميس:

- أصل المياه مقطوعة على طول مبتجيش غير يدوب كام ساعة بالليل.. وعلى طول بنملا مياه من الجامع اللي ف الشارع الرئيسي لما متكفيناش المياه اللي مليناها بالليل.

ترددت الكلمات مرة أخرى في رأسها وهي تربطها بعضها ببعض: "بستلة.. بتطبخ.. مياه من الجامع اللي في الشارع الرئيسي.. يعني الأكل ده معمول بمياه في بستلة وأكيد مكشوفة ويمكن وقع فيها أي حشرة.. احتمال وارد".

وقتها تأكدت لميس انها أن نجت من تهدم البيت فوق رأسها لن تنجو من تسمم محقق.

* * *

عندما وجدت منى اليوم هادئًا في المركز بدون عمليات وانتهت من الكشوف الموجودة أمامها.. اتصلت بأسامة في عمله وأخبرته أنها ستنتظره على الغداء في البيت .

ولأن أسامة تعوَّد منذ فترة على الغداء يوميا عند والدته والذهاب لبيته ليلًا مع موعد رجوع منى.. فقد اتصل بوالدته يخبرها أنه لن يأتي اليوم.. لكنها صممت أن يأتي وأن تأتي منى أيضًا.

بعد قليل وقبل أن تغادر منى مكتبها.. تلقت اتصالا من حماتها تدعوها للحضور للغداء.. كانت دعوتها بأسلوب لطيف وبود شديد وكأنها لم تحتد عليها يومًا..

ابتسمت منى وهى تفكر في كيفية تحول معاملة حماتها لها وماذا ستفعل عندما تعلم أن حسن يفكر في الزواج بالفعل ولا مانع لديه أن تكون العروس أماني.

أثناء تحضير السفرة وقبل أن يصل أسامة.. انفردت منى بأماني قبل أن تعودا للمطبخ:

- أماني عايزة اخد رأيك في حاجة.

ردت أماني وهي تضع الأطباق على السفرة:

- خير؟

- فيه عريس عايز يعرف رأيك يتقدم ولا يصرف نظر.

ضحكت أماني معتقدة أن منى تمزح معها فهي تعلم تمامًا أنها ليست جميلة ولا جذابة ولا ذات منصب مرموق ولا تمتلك مالًا وفوق كل ذلك مطلقة.. سألت:

- عريس؟؟ وده جايلي ازاي.. سمع عنّي فين؟

- هو مسمعش عنك.. هو يعرفك كويس.

لحظات صمت أماني تفكر.. ثم ردت بخوف:

- إوعي يكون سيد كلم أسامة عشان ارجع له؟

- لالالا خالص.. سيد إيه بس.

- مين يا منى.. هو انا بشوف حد إلا بياعين الخضار في السوق.. مصيبة ليكون الواد إبراهيم القهوجي.. هو صح؟؟ كلم أسامة من ورايا.

لم تتمالك منى نفسها من الضحك على تخمينات أماني.. وتملكها الفضول فسألتها

- مين إبراهيم ده؟

- ده الواد القهوجى اللي تحت.. في الرايحة والجاية بيعاكسني حاجة زفت بعيد عنك.

- لا يا ستي مش سيد ولا القهوجي.. حسن ابن خالتي.

تجمدت أماني ووقفت ثابتة كالتمثال.. في نفس اللحظة التي أتت فيها والدتها:

- انتوا واقفين هنا وسايبينى في المطبخ لوحدي.

وعندما نظرت لأماني ووجدتها على حالتها تلك.. سألت:

- بت يا أماني.. مالك؟

التفت لها أماني:

- هه.. مفيش.

ثم نظرت لمنى كمن تريد تأكيدًا على ما سمعت:

- منى.. انتي قلتي إيه؟

- بقولك حسن عايز يتقدملك.. إيه رأيك.

صرخت حماتها وهي تحتضن منى وكأنها العروسة:

- ألف مبروك.. يا ألف نهار ابيض.

ردت منى:

- لسه أماني مردتش عليا.. إيه رأيك يا أماني؟

ردَّت الأم نيابة عن ابنتها:

- ودي محتاجة رأي.. موافقة طبعًا.

رفعت منى صوتها بمرح من جديد لتخرج أماني من دهشتها وسألتها:

- أمااااني.. ايه رأيك؟

سألتها أماني:

- منى.. انتي بتتكلمي بجد ولا بتقوليلي كده يعني عشان احس ان فرصتي في الجواز مضاعتش ولا حاجة.

- ده كلام يا أماني.. حسن فعلًا عايز يتجوز وبيدوَّر على عروسة ولما قلتله عليكي قالي اخد رأيك الأول عشان فرق السن.

أمانى بحزن:

- يعني انتي اللي قلتيله مش هو اللي قالك من نفسه.

تدخلت الأم قائلة:

- هو ايه اللي قلتيله وقالك وقلنا.. انتي بتتلككي يا بت انتي.. عريس زي ده ألف واحدة تتمناه هتتبطرى على إيه.. قوليله موافقة طبعًا يامنى.

منى. ثوانى بس يا ماما.. يمكن يكون ليها رأى تانى.

تركتهم أماني ودخلت غرفتها.. وقفت الأم تحدثها بعدما مشت:

- هو ايه أصله ده.. بتغضبي وتمشي ليه.. انتي كنتي تطولي عريس زيه.

ذهبت خلفها لتكمل.. استوقفتها منى:

- ماما معلش ممكن تستني ادخل اتكلم معاها افهم منها مالها.

ردت بعدم فهم:

- انا مش فاهمة مالها.. جت قالت عايزة اتطلق قلنا ماشي.. جاي لها جوازة متحلمش بيها تتبطر كده.

حاولت منى تهدئتها:

- هي مقالتش رأيها لسه.. أنا بس هروح افهم منها مالها.. معلش يا ماما خليني اتكلم معاها وهبقى أقولك كل حاجة.. ممكن تثقي فيا؟

- روحي.. ربنا يهديها.

دخلت منى لأماني غرفتها.. وجدتها جالسة صامتة.. جلست بجوارها وسألتها:

- ممكن تفهميني مالك وبعد ما كنتي بتهزري قلبتي كده.. لو مش عايزة حسن قولي ومتتكسفيش مش هزعل.

- على رأي ماما جوازة زي دي محلمش بيها.

- انتي بتزعلي من كلام مامتك.. هو انا اللي هعرَّفك طبعها.. ما انتي عارفة ان دي طريقتها وده كلامها.

- أنا مزعلتش منها.. أنا شايفاها معاها حق.

- فهميني التناقض ده معناه ايه؟

- معناه اني مستغربة حد زي دكتور حسن.. لأ حد زيه ايه ده هو شخصيًا يبقى عايز يتجوزني انا ليه؟

- وانتي فيكي غيه أقل من غيرك يا أماني.. بالعكس ده هو اللي قلقان ترفضي عشان فرق السن.

شعرت أماني ببارقة أمل في حديث منى.. سألتها مؤكدة:

- هو قالك كده؟

- أيوة.. وانا قلت اني هسألك وارد عليه.

- أنا عارفة اني مجيش جنب نادين حاجة.. مستغربة ازاي بعد نادين يفكر فيا.

- متقارنيش.. المقارنة مالهاش أي لازمة.. القبول مش بمين أحلى دي حاجة من عند ربنا مالهاش أي مقاييس.

- خايفة.

- من إيه؟

- خايفة افرح واتعشم واتعلق بيه.

- افرحي واتعشمي واتعلقي بيه براحتك.. حسن لما بيقول كلمة بيبقى عارف كويس أوي هو بيقول ايه.. هو مقرر الجواز ده شيء مفروغ منه وكل اللي كان بيدوَّر عليه زوجة مناسبة.. انتي مناسبة له في حاجات كتير والحاجة الوحيدة اللي هو قلقان منها فرق السن وواضح ان الحكاية دي مش فارقة معاكي.. واللي مخوِّفك هو مش بيفكر فيه.. يبقى ايه بقى نفرح ونقول مبروك ولا هتفضلي خايفة من وساوس مالهاش أي أساس.

ابتسمت أماني بعدما حاولت أن تقتنع بكلام منى.. وأجابتها بخجل:

- إن شاءالله نفرح.

نهضت منى بفرحة:

- هروح افرَّح ماما واتصل بحسن ولما أسامة ييجي نفرَّحه ونقوله.

* * *

قوبلت نادين بترحاب شديد في مكتب المنتج فايز الجيار، وعلى عكس ما توقعت أن اللقاء سيكون بحضور آخرين.. اقتصر اللقاء عليهما فقط.

بدأ الحديث وديًا.. لاحظت شخصيته البسيطة رغم كل مظاهر البذخ التي تحيط به.. سألها عن حالها وعن أسرتها وعن عملها.. أسئلة عامة دون تطفُّل،

ثم تحدث قليلًا عن عمله في الإنتاج السينمائي وأعماله الأخرى.. حديثه عن نفسه كان مختصرًا.. فلا تكلُّف ولا مفاخرة بأعماله ولا تقليل من شأن شركته الناجحة

ثم جاء وقت الكلام عن سبب المقابلة.. عرض عليها سيناريو لفيلم أعجبه لكاتب شاب في أولى تجاربه.

أبدى تحمسًا شديدا بالفكرة وبموهبة الكاتب.. وأخبرها أنها أول من خطرت على باله عندما قرأ حوارا لها في إحدى المجلات وبالصدفة كان اليوم الذي انتهى فيه من قراءة السيناريو.. فوجد الشخصية تناسبها تمامًا.

* * *

ظلَّ مجدي منصتًا لنادين وهي تقص عليه تفاصيل مقابلتها بفايز. كان يأكل ببطء ومنصت لها في حين أنها من فرط حماستها لم تأكل شيئًا.

- طيب كُلي وانتي بتحكي.. الأكل برد.

- آه .. طيب.. أصل انا متحمسة جدًا.

- لفايز ولا للفيلم؟

ألقى مجدي سؤاله وأكمل طعامه وكأن السؤال لايعني شيئًا.. ولكن نادين تفاجأت وتساءلت في سرها.. لماذا كل من تقابلهم من الرجال يحبطونها، ردت بثقة وضيق نجحت في إخفائه:

- وليه بتسأل؟

- عادي.. عايز اعرف بس.

- للفيلم طبعًا.

فرغ مجدي من طعامه وأمسك منديلًا يمسح فمه وأكمل:

- كل كلامك كان عن فايز نفسه وعن مقابلتك معاه وانتي لسه مقرتيش الفيلم.

وبمنتهى التحدي أجابت:

- ولنفرض ايه المشكلة؟

- غِرت.

- غيرة شغل؟

- لا غيرة حب.

لم تكن المرة الأولى التي يصرِّح فيها مجدى بحبه لنادين ومن الواضح أنها لن تكون الأخيرة.

ترددت نادين؛ هل تتغاضى عن كلامه وتحول دفة الحديث، أم ترد كالسابق وتؤكد أنها لن ترتبط بقيود مرة أخرى تعطلها عن نجاحها كالمرات السابقة دون أن تخبره بالسبب الحقيقي للرفض وهو حبها لحسن؟

وجدت أنه من الأفضل ان تحافظ على صداقتها بمجدي فحدثته بهدوء:

- مجدي.. انت عارف انت بالنسبة لي إيه.. أنا بحبك فعلًا بس كأخ وصديق وده عندي أحسن وبيدوم عن الحب اللي تقصده.. أنا مش عايزة اخسرك أبدًا.. خلي علاقتنا حلوة زي زمان.. وبعدين يا سيدي ما انا كنت بعيد وانت كنت عايش عادي.

نفث دخان سيجارته وهو ينظر بعيدًا.. كان يستجمع شجاعته ليخبرها بالحقيقة لأول مرة:

- مين قالك اني كنت عايش عادي؟

- أنا عمري ما حسيت منك غير الصداقة.. من ساعة ما انا اتجوزت وبعدها انت اتجوزت مرتين وعادي.

- بس من ساعة ماشفتك من سنة وانا مستني فرصة تجمعني بيكي.

- من سنة؟

- أيوة.. شفتك انتي وبنتك في عيد ميلاد كان في كافيه في المهندسين.. كنت ساعتها قاعد مع ناس وانتي مكنتيش شايفاني بس انا كنت شايفك كويس وطول ما كنت قاعد مكنتش مركّز مع حد من اللي حواليا ومركّز معاكي انتي وبس.. خطرت على بالي أفكار لو كنت صارحتك بحبي قبل جوزك مش كان زمان بنتك دي بنتي.. اكتشفت انا قد إيه ضيعت في حياتي لما مكنتش بستقر في علاقة عاطفية.. حتى الجوازتين اللي اتجوزتهم كنت حاسس اني مش هكمل فيهم عشان كده كنت بطلب من اللي بتجوزها نأجل الخلفة.. دلوقتي بدأت احس اني مفتقد كتير في حياتي.. انتي كنتي صح لما اخترتي الجواز والاستقرار.

سألته نادين بتعجب.. وتمنت أن تكون مخطئة:

- يعني انت قصدت ترجعني اشتغل عشان اتطلّق؟!

- أبدًا يا نادين.. ولا كنت اعرف ان شغلك ممكن يكون سبب للطلاق.. أنا كنت سلمت بالأمر الواقع وعارف كويس انك زوجة مخلصة بتحبي جوزك.. كنت هكتفي بقربك بس ومكنتش هصرحلك بحبي زي ما انا كتمت الحب السنين اللي فاتت دي كلها.

صمتت نادين.. تشككت في إجابة مجدي، تساءلت.. إذن تصميمه على رجوعها للفن مرة أخرى ليس إيمانًا منه بموهبتها، ولكن لأسباب شخصية أنانية.. القرب منها فقط.

- مش مصدقاني؟

سألها.. لم تجب.. فهي متشككة.. لا مُصدِّقة ولا مُكذِّبة.

*** * ***

في الطريق إلى حسن.. ظلت لميس ملتزمة الصمت، ساندة رأسها على مقعد السيارة، سألها مصطفى:

- بقيتي كويسة؟

ردَّت بصوتٍ ضعيف:

- أحسن الحمدلله.

آشاحت بوجهها عنه.. حمدت الله أنه أوحى لها بتلك الفكرة لتتخلص من المأزق الذي وقعت به في بيت أهل مصطفى، فقد أمسكت بطنها فجأة.. وتباطأت في أخذ نفسها حتى شحب لونها وتأوهت بألم، فتملك الذعر من مصطفى ووالدته وسألاها عم بها؟

فأجابت أنها تعرضت من قبل لتلك الحالة ويبدو أنها مغص كلوي ولابد من أخذ العلاج الموصوف لها.. وألا تأكل أي شيء حتى يزول الألم.. ولضعف معلومات مصطفى الطبية وانعدامها لدى والدته صدقا حجتها ولمزيد من الحبكة أخبرتهما أنها لابد أن تتناول كوب مياه بسكر بشرط أن تكون مياه معدنية حتى لا تتأثر كليتها ويزيد المغص.

صدقها مصطفى رغم أن كل ما قالته اخترعته للتو.. نزل مسرعًا واشترى لها زجاجة مياه معدنية.. أسرعت والدته بتحضير كوب مياه بسكر وناولتها إياه.. تجرعتها لميس ثم تظاهرت بالتحسن التدريجي.. وطلبت من مصطفى أن يوصلها لوالدها لتأخذ علاجها وتستريح.

- مش هتقولي لباباكي انك رايحة له؟

- لا هروح له واقوله اني كنت مع اصحابي وعديت عليه.. انت نزّلِني قبل المركز بشوية وروح ف أي حتة وابقى تعالى كمان شوية.

- ماشي.. لاحسن ياخد باله.

- هوَّ مش فاضي ياخد باله.. بس اهو احتياطي..

وصلت لميس لمكتب حسن.. كانت الساعة تجاوزت الرابعة عصرًا.. استقبلها حسن باشتياق وسعادة.. جلسا معًا وتبادلا حديثًا عاديًا افتقدته لميس.. رغم ندرة الوقت الذي كانا يقضيانه معًا.. إلا أنها أحست بالبعد حقًا بعدما غادر المنزل.

- مقلتليش ليه يا لميس انك جاية كنت اتفقت مع مصطفى يجيبك؟

- أنا كنت نازلة مع اصحابي نتغدا وقلت اعدي اقعد معاك لو فاضي ولو مكنتش فاضي كنت اشوفك وامشي.. أصل بقيت بتوحشني أوي.

- يا حبيبتي انتي جيتى ف الوقت المناسب جدا.. انا فاضى والنهاردة معنديش عمليات.. تشربي إيه؟

- أنا متغديتش.. أنا نزلت مع اصحابي بس حصلت مشكلة وكل واحد رجع بيته وانا جيت لك.

- كويس.. ننزل نتغدى مع بعض ايه رأيك؟

- ياريت.

- وبالمرة نتكلم مع بعض شوية.. كأصحاب.

ياله من شعور.. خفقة قلبها الآن لم تشعر بها من قبل.. كم تحبه وتحب وجودها بقربه.. منذ فترة طويلة لم تشعر بوجوده لانشغاله.. أما الآن فمجرد دعوتها على الغداء ومعاملتها كصديقة على حد قوله غفرت له ما تقدم من ذنبه في حقها. كثيرًا ما سمعت أن البنت حبيبة أبيها.. الآن تيقنت جدًا من صِدق هذه المقولة.

وجدته يجري اتصالا هاتفيًا.. وقبل أن تسأله سمعته يتحدث:

- انت فين يا مصطفى.. لو لسه كتير على مشوارك خليك انا نازل اتغدى مع بنتي في مطعم هنا قريِّب ومش محتاج العربية.. تقدر تروح وتبقى تجيلي بالليل.. مع السلامة.

* * *

- 15 -

كانت عينا لميس تشعان بالسعادة.. مما أسعد حسن كثيرًا.

- ها احكيلي يا لميس عاملة إيه في المدرسة؟

- الحمدلله.

- ومامتك عاملة ايه.

- الحمدلله كويسة.

- خلَّصِت المسلسل؟

- لا لسه.. بس مافضلش كتير.

- كويس عشان تتفرغ لك قبل الامتحانات.

- معتقدش انها هتتفرغ لي.

- ليه؟

- متهيألي كده هتدخل في شغل جديد.. راحت تقابل منتج النهارده وأكيد عشان شغل.

- ربنا يوفقها.

صمتت لميس.. فكلما أتى ذِكر عمل نادين انتابتها حالة من التشتت.. سعيدة بالشهرة والأضواء التي تحيط بوالدتها وفخورة بنجاحها المتوقع وفي نفس

الوقت مستاءة من تشتيت شمل الأسرة وبُعدها عن والدها.. وتفرقتهم بهذا الشكل.

فكَّر حسن كيف سيبدأ حديثه معها.. ولكنه كالعادة اختار أقصر الطرق:

- تعرفي ان الحياة صعبة أوي من غير استقرار.

أشفقت لميس على والدها.. حاولت لَمّ شمل الأسرة مجددًا:

- طيب ما ترجع لنا يا بابي.

- مينفعش يا لميس خلاص.. وف نفس الوقت صعب اعيش لوحدي كده مفيش حد يشوف طلباتي وانتي عارفة شغلي محتاج تركيز وراحة أعصاب.

لم ترد لميس.. تركت الأكل من يدها.. بدأت الشكوك تساورها فيما سيأتي بعد تلك المقدمة، أكمل حسن ما بدأه:

- أنا فكرت وقررت اتجوز.

فجأة.. شعرت لميس بزلزال يهز كيانها.. رغم ثبات واعتيادية كل ما حولها.. رؤيتها أصبحت ضبابية بسبب الدموع التي تجمَّعت في عينيها.. كل السعادة التي كانت تشعر بها منذ قليل تبدلت لحزن.. لاحظ حسن دموعها.. فسألها بتعجب:

- انتي بتعيَّطي؟

مسحت لميس الدموع من عينيها وحاولت التماسك:

- مش متخيلة انك نسيتنا بسرعة كده وهتتجوز.

- لميس، انتي بنتي حبيبتي وهتفضلي كده طول عمرك، جوازى مش هيأثر عليكي ف حاجة.

- ومامي؟

- هي اختارت حياتها وانا موقفتش قصادها وانا من حقي اختار شريكة لحياتي.

- وحياتي انا؟

- حياتك انتي عايشاها في أحسن حال.. كل اللي بتطلبيه بيجيلك.

- بس من غيركم.

- احنا معاكي.. كل اللي اتغير ان أنا وهيَّ مبقيناش مع بعض.

- لا أنا لوحدى.. ببقى مع مامي من غيرك وببقى معاك من غيرها.. وحشتني لمتنا حتى مع انشغالك بس كنا بنتجمع كلنا في البيت مرة على الأقل في اليوم.

- لميس انتي كبرتي ولازم تفهمي ان الحياة فيها مشاكل ومع ذلك بتستمر.. أنا ومامتك خلاص كل واحد بقى له حياته وانتي لازم تقتنعي بكده.. لو عندك أسباب تخليكي زعلانة من جوازي قوليهالي.

صمتت لميس.. ما تشعر به صعب ترجمته في كلمات.. مشاعر لن يشعر بها سواها.. سُلبت منها حياتها واستقرارها وارتضت الآن وبكل بساطة يخبرها أنه سيتزوج دون أي شعور بالذنب.. أي أسباب التي يسأل عنها.. هل سيقتنع عندما تخبره أنها لن تطيق أن ترى امرأة أخرى مكان والدتها.

كيف سيكون الحال إن تزوج وأنجب وانشغل بأسرته الجديدة ونساها تمامًا.. من سيعوضها عنه؟

من السهل أن يجد زوجة وينجب أبناء لكن هي هل ستجد أبًا آخر.. وما الذي يدفعها للبحث عن أب آخر وأبوها على قيد الحياة.. هل من الممكن أن تعوِّضها والدتها غياب والدها.. أصدقائها.. دراستها.. هواياتها.. أي شيء يملأ الفراغ الذي تركه.

لم يأتِ مصطفى على تفكيرها ولو لحظة واحدة.. كل ما استطاعت فعله هو أنها تبكي.. بكاء شديدًا لم تنجح في كتمانه، أما حسن فكأنه قرأ افكارها.. أراد أن يطمئنها.

- لميس حبيبتي، اوعي تفتكري اني ممكن اتغيَّر من ناحيتك.. انتي بنتي الوحيدة عارفة يعني ايه بنتي.. ومكانتك عندي محدش يقدر يمسها.. ومكانك معايا انا بس مش عايز اخدك من مامتك زي ما اتفقنا.. بيتى هيكون بيتك وأوضتك هتعمليها انتي وأي اجازة هاخدك معايا نتفسح زي ما كنا بنعمل.. مفيش حاجة هتتغير.

- واللي هتتجوزها هترضى بكل ده.. هترضى بوجودي اصلًا.

- طبعًا.. وهيَّ مش غريبة عنك انتي تعرفيها وهي عارفاكي فانا متأكد ان مش هيكون فيه مشاكل من أي نوع.

وتملك الفضول من لميس فكفت عن البكاء لتسأله بصوت مختنق:

- أعرفها!! مين دي؟

وأجابها حسن بكل بساطة:

- أماني.

- أماني اخت انكل أسامة؟

- أيوة.

أكملت لميس بكاءها.. فأماني أو غيرها لن يغير من إحساسها شيء، تمنَّت أن تجد كل ما سبق مزحة أو كابوس أو أي شيء آخر إلا الحقيقة.. سألته لتتأكد:

- وحددتوا معاد الفرح ولا لسه؟

- حبيبتي انا لسه عارف ردها قبل ما تجيلي بشوية.. المفروض نقعد مع بعض ونتكلم ونتفق.. كل ده لسه انا قلتلك عشان تبقي عارفة كل حاجة من الأول.

حاولت أن تسلم بالأمر الواقع.. أن تتكيف مع الوضع الجديد.. أن تقبل.. أن تكف عن البكاء ولكنها لم تستطع.

* * *

تلك الليلة عادت نادين قبل أذان الفجر بقليل.. دخلت على غرفتها مباشرة.. أخذت حمامًا وارتدت ملابس النوم وهي تنظر للسرير باشتياق بعد تعب وعناء يوم طويل، قبل ان تنام ورغم علمها التام أن لميس نائمة.. ذهبت لتتفقدها، دخلت على أطراف أصابعها كي لا توقظها، ولكنها ما إن فتحت الباب حتى فزعت لميس:

- متخافيش، أنا بطمِّن عليكي.. كمِّلي نومك فاضل كام ساعة وتقومي للمدرسة.

اعتدلت لميس جالسة وهي تضيء الأباجورة التي جوارها:

- مامي مش عارفة انام.. تعالى نامي جنبي.

اقتربت منها نادين بضيق:

- حبيبتى انا تعبانة ومش قادرة، عايزة انام.. اقري قرآن وهتلاقي نفسك نمتي

ردت لميس بنفاذ صبر ودموع :

- حاولت مش عارفة انام.

قلقت نادين فسألتها وهي تجلس بجوارها تحتضنها:

- انتي خايفة ولا ايه؟

- عايزة انام في حضنك.

تمددت نادين بجوارها وأطفأت الأباجورة وأحاطتها بذراعها:

- نامي يا حبيبتين أنا جنبك اهو.

كانت لميس تبكي بصمت، ولكن بعد قليل سمعت نادين صوت بكائها المكتوم.. فسألتها وهي تجلس وتضيء الأباجورة مرة أخرى:

- مالك يا لميس؟؟ في ايه؟

بكت لميس أكثر.. وهي تجيبها:

- بابي..

سألتها نادين بقلق بالغ:

- ماله حسن؟

- هيتجوز..

جحظت عينا نادين وكاد قلبها أن يتوقف.. وكأن لميس اقتلعت قلبها من صدرها عندما أخبرتها بزواج حسن من أخرى.. هل سيتزوج حقًا؟.. هل ستحل امرأة أخرى محلها في قلبه؟ ستكون امرأة أخرى بجواره.. تستيقظ على صوته عندما تأتيه مكالمة عمل مفاجئة.. وتنام بجواره كل ليلة في أمان.. وتأكل معه ما تطهوه بيديها.. وتنتقي ملابسه التي سيخرج بها.. وتعدّ له قهوته التي كانت تجد سعادتها في إعدادها له قبل أن يطلبها.

تفاصيل صغيرة كانت تشعرها بالسعادة افتقدتها بالطلاق.. كانت تظن أن ما مرت به من ألم بعد الطلاق هو أقسى شعور، ولكنها الآن تعرف حقًا معنى العذاب.. كم مؤلم أن يتوقف القلب عن الخفقان وهو مازال ينبض.. موت

بطيء أم قتل مفاجئ ما تشعر به الآن.. اختلطت المفاهيم وأغتيل حبها وما من سبيل للعودة للحياة التي افتقدتها.

لم تذرف دمعة واحدة.. وأخذت لميس بين ذراعها تربت عليها وتضمها بحنان.. تصبِّرها وتتصبر بها.. لا تعلم من منهما جرحها أكبر ومن يتألم أكثر.. فقد اختلطت المفاهيم بالفعل.

* * *

بعد غفوات متقطعة، استيقظت نادين على صوت رنين هاتف لميس، سحبت ذراعها بهدوء من تحت رأس لميس ونظرت للشاشة فوجدت اسم مصطفى.. نظرت في الساعة كانت السابعة والربع.. ردت:

- صباح الخير يا مصطفى.

أدرك مصطفى صوتها فردَّ:

- صباح النور يا مدام.. أنا واقف تحت هي لميس اتأخرت ليه.

- معلش راحت علينا نومة.. ومش هتروح المدرسة النهاردة.

- والدروس؟

- هيَّ عندها دروس النهاردة؟

- أه عندها درس الساعة 6.

- طيب أكيد هتروح.. ابقى عدِّي عليها في معاد الدرس عادي.

- تحت أمر حضرتك.. أي أوامر؟

ترددت نادين وسألته:

- هو الدكتور فين.

- في البيت.

- راح الشقة الجديدة؟

- لأ لسه.

- وهينقل إمتى؟

- مش عارف لسه والله.

- هو بيروح فين غير المركز والبيت؟

- مفيش من البيت للمركز لمطعم مثلا للغداء أو العشاء لبيت دكتورة منى ساعات.

- مبيروحش حتة تانية؟

- لأ.

وأدركت أن الأسئلة التي تسألها لمصطفى من الممكن أن تسألها للميس أفضل.. فتوقفت عن إلقاء الأسئلة:

- ماشي يا مصطفى.. من فضلك متعرفوش اني سألت عليه.

- حاضر تحت أمرك.. أي أوامر حضرتك؟

- لأ شكرًا.. مع السلامة.

أغلقت نادين الهاتف وهي تعاتب نفسها وتلومها.. لماذا سألته كل هذه الأسئلة؟؟ تريد أن تتأكد أنه لا يواعد امرأة أخرى منذ فترة؟ قد يكون مصطفى

كاذبًا أو على الأقل خافيًا لجزء من الحقيقة كي لا يجرحها.. وقد يكون محقًا وشتان بين النتائج..

فإن كان يواعد امرأة أخرى فزواجه عن حب واقتناع وهو ما يقتلها حقًا.. وأما إن كان زواجه عن حاجة لهذا الزواج فقط فقد يعود لرشده في لحظة ما قبل إتمام الزواج.

حاولت العودة للنوم مجددًا، ولكن تفكيرها في حسن أبَى أن يستسلم للراحة ويدعها تنام.. نهضت بضيق وملل.. دخلت مكتب حسن.. شعرت بلسعة برد سرت في جسدها.. فالمكتب والمكتبة اللذان كانا يعجان بالكتب والأوراق والملفات أصبحا خاليين باردين كالصحراء.

بدا اليوم كئيبًا منذ لحظاته الأولى.. ولم تكن الساعات التالية أحسن حالًا فكل منهما فاقدة قدرتها على إخفاء حزنها رغم محاولتها،

فكانت كل منهما تتشبث بالأخرى ربما خفف تواجدهما معا من وطأة الحزن، ولكن لم يمهلهما الوقت متسعًا لقضائه معًا.. فبعد الجلوس على الغداء الذي لم تتناولاه.. نهضت كل منهما للاستعداد للنزول.

عندما دخلت لميس غرفتها.. نظرت في التليفون الذي تركته صامتًا عليها تجد اتصالًا من حسن يسألها عن حالها.. وجدت مكالمات عديدة لم ترد عليها من مصطفى، فاتصلت به:

- ألو.. أه نازلة ف معادي.. بعدين يا مصطفى.. لا هزعل منك ليه.. لما اشوفك مع السلامة.

انتهت من المكالمة وبدأت ترتدي ملابسها.. عندما انتهت دخلت لنادين غرفتها وجدتها جالسة حزينة.

- مامي انا نازلة.

- خدي فلوس قبل ماتنزلي.. كلمتي باباكي النهاردة؟

- لأ.. وهو متصلش.

صمتت نادين.. اتجهت لميس لدرج الكومودينو وأخذت نقود وسألت نادين قبل أن تغادر:

- عندك شغل النهاردة؟

- أه.. خلاص فاضل مشهدين ليا والمسلسل يخلص.

- وعملتي إيه ف الفيلم الجديد؟

- غالبًا هوافق.. أنا قرأت جزء من السيناريو وعجبني.

- مبروك.

قالتها لميس بمرارة وغادرت.. واستقبلتها نادين بعدم فرحة.. فالحزن الذي يخيم عليهما أكبر.

* * *

ركبت لميس بجوار مصطفى.. استقبلها بابتسامة:

- وحشتيني من امبارح.

حاولت أن تبادله الابتسامة ولكنها لم تستطع.. لاحظها مصطفى.. قاد السيارة وهو يفكر عن التغيير المفاجئ الذي طرأ على لميس.. من بعد زيارة منزله.. تردد هل يسألها أم يكتفي باستنتاجه.

ساد الصمت الثقيل على غير المعتاد.. اقترب مصطفى من وجهته.. فأراد أن يحسم ظنونه:

- لميس.. أنا عارف انك اتفاجئتي امبارح بس انا مضحكتش عليكي وحكيتلك كتير عن مستوانا الاجتماعي.. احنا فقرا أيوة بس بنحِس.

- ليه بتقول كده؟

- من امبارح وانتي مبترديش عليا ولا بتكلميني.. وشكلك النهارده كأنك مش عايزة تشوفيني ده انتي حتى مبصتيش في وشي.

- إيه الهبل اللي بتقوله ده.. أنا اللي فيا مكفيني ومالوش دعوة بيك خالص.

- مالك؟

- بابي هيتجوز.

فوجئ مصطفى.. وبعد اللحظات الأولى للمفاجئة، أردفذ:

- طيب انتي زعلانة كده ليه؟ انتي عايشة مع مامتك وهو لوحده.

- ما انت راجل زيه لازم تدافع عنه.

- مش بدافع لأنه مش غلطان.

- أنا مبتكلمش في غلط وصح.. إنما مش قادرة مزعلش.. كان عندي أمل يرجعوا لبعض ونرجع لحياتنا تاني زي الأول.. انت مش عارف أنا حاسة بالوحدة ازاي وكل واحد فيهم مشغول عني.. بابي مبشوفوش بالأيام ومامي اللي كانت على طول في البيت بقت يا في البلاتوه يا نايمة يا قاعدة تذاكر دورها.. أنا حاسة ان حياتي اتدمرت.

- وانا؟؟ أنا مليش دور في حياتك.

- انت.. انت المسكِّن اللي كنت بسكن بيه جرحي بس لقيت الجرحِ أكبر بكتير من إنه يبطل وجع.

- يعني حبي ليكي مخففش عنك؟

- خفف شوية.. بس معالجش.

- إيه الكلام الكبير ده.

- اللي انا فيه أكبر.

تساقطت دموعها.. مسحتها بسرعة عندما توقف مصطفى بالسيارة.

* * *

في نفس الوقت.. كانت أماني في المطبخ تعد صينية الشاي ومعها والدتها، سألتها والدتها:

- قوليلي يا أماني قالك ايه؟؟

- مفيش قعدنا نتكلم شوية كلام عام كده.

- وقعدتي مكسوفة ولا بتتكلمي؟

- لأ يا ماما كنت بتكلم عادى وسألته اهم سؤال هو لسه بيحب نادين ولا خلاص؟

الام بغيظ:

- بتلفتى نظره ليها ليه ما خلاص انتي مالك بنادين وطين.. مش خلاص اتطلقوا وجاي عايزك انتي.

- ياماما انا لازم اطمن.. افرضي جاي يغيظها بيا ولا لسه بيحبها وهيرجعلها بعد ما اتعلق بيه.. مش لازم اطمن.

- واتطمنتي؟

أمانى بابتسامة:

- أه اتطمنت.. هو قال انه استحالة يرجعلها وانه لو كان بيفكر يرجعوا لبعض مكنش فكر في الجواز.. وف نفس الوقت بيقولّي انه مينفعش يقطع علاقته بيها عشان لميس.

- معلش استحملي شوية لحد ما تخلفي.. ساعتها مش هيبقى قدامه إلا ابنك انتي اللي قصاد عينه واللي محتاج له اكتر.

- تفتكري؟

- أه.. لو على بنته يبقى يشوفها براحته.. بس هيبقى ابنك اللي ع الحجر.

- بس بيقولى انها هتبقى تقعد معانا في الاجازات.

- إوعي تكوني قولتيله لا.

- لا قلتله براحتها.

- جدعة.. لما تبقى تجيلك ابقي استحمليها شوية وخلاص.

- قلقانة أوي يا ماما وخايفة افرح.

- ياختى قلقانة من ايه انتي غاوية نكد.. الراجل مكدبش خبر ومفاتش يومين وجاي يقرا فاتحتك.

ابتسمت أماني بفرحة لا تخلو من قلق.. وتناولت الصينية للخروج مرة أخرى وتقديمها لحسن الجالس مع أسامة.

وضعت أماني الصينية على الطاولة الصغيرة، وقدمت لحسن ثم أسامة وجلست وتبعتها والدتها.

قال حسن موجهًا كلامه لأماني:

- متشكر يا أماني.. وانا اتفقت مع أسامة ان خلال اليومين الجايين هننزل نجيب الشبكة.

الام تزغرد.. يُحرَج حسن ويتابع حديثه:

- زي ما انتوا عارفين أنا وقتي مش ملكي وده اللي خلاني اجي اخطب في معاد غريب مش تقليدي زي باقي الناس بس عندي شغل كتير.

ردَّ أسامة:

- الله يكون في عونك.. احنا عارفين ومقدَّرين.

وقالت الأم:

- أه اتعودنا.. ما منى على طول مش موجودة بسبب شغلها.. يعني يوم زي ده بدل ما تقف مع اخت جوزها قاعدة في الشغل.

بدا التوتر على أماني وأسامة من كلمات والدتهما غير المناسبة، ولكن حسن بدا حاسما مدافعًا عن منى.. فلم ينسَ قط أنها بمثابة أخته الصغرى:

- دي طبيعة شغلنا.. مش جديدة عليكم ومن قبل ماتتجوز وهيَّ بتشتغل.

تنبهت الأم لما تفوهت به.. فصححت وهي ضاحكة:

- أه طبعًا.. دي حتى صعبانة عليا وهي هالكة روحها ف الشغل كده.. دي منى دي عندي زيها زي أماني بالظبط.

لم يعقب حسن على ما قالته وقال:

- عمومًا زي ما قلتلكم.. الشبكة اللي أماني هتختارها هتجيلها.. الشقة توضبها زي ما يعجبها بس ياريت في أسرع وقت عشان انا محتاج استقر بسرعة.. لو عندكم أي طلبات أنا تحت أمركم.

قالت الأم:

- إحنا هنكتب قايمة ومؤخر كبير.. معلش سامحني بس ده حقها ولازم نضمنه.

ردَّ حسن:

حقها طبعًا.. وانا تحت أمركم.

ردَّ عليه أسامة قائلًا:

يا دكتور احنا نوصلها لحد بيتك من غير أي حاجة.. ماما أكيد متقصدش.

- لا يا أسامة ده حقها والحق ميزعلش.

نظر حسن في ساعته.. ثم ترك كوب الشاي بعدما انتهى من احتسائه.

- أستأذن انا عشان عندى شغل.

نهض حسن.. وسلم على الموجودين قبل أن يغادر. كان مصطفى ينتظره في الأسفل.. ركب حسن السيارة، وسأله:

- وصَّلت لميس الدرس؟

- اه لسه موصلها حالًا.

- طيب هتودينى المركز وبعدين تروح لها عشان متتأخرش عليها.

- تحت أمرك يا دكتور.

تحركت السيارة.. رنَّ هاتف حسن.. نظر لاسم المتصل وتفاجأ.

* * *

أثناء ارتداء نادين لملابسها.. كان تفكيرها منحصر في حسن، خطرت على بالها فكرة مفاجئة.. فتناولت هاتفها واتصلت به:

- الو.. ازيك ياحسن.. نا الحمدلله كويسة أوي.. كنت عايزاك في موضوع يخص ميس.. موضوع مهم من الفضل ميبقاش في التليفون.. لو فاضي دلوقتي ممكن نتقابل قبل ما اروح البلاتوه.. انت مش في المركز؟ تحب نتقابل فين؟.. أوك مسافة السكة.. مع السلامة.

عندما أخبرها أنه غير موجود بالمكتب.. أثار غيرتها والظنون.. ترى أين كان؟؟ هل كان مع المرأة الأخرى؟

تسرب إليها شعور بالسعادة أن باتصالها به سيترك الأخرى ويذهب للقائها.. إذن مازال يحبها.

تلك النتيجة التي توصلت لها أراحتها كثيرًا. وقفت أمام دولاب ملابسها لتغيِّر ملابسها التي ارتدتها بالفعل.. وقع اختيارها على فستان ارتدته في آخر مناسبة جمعتهما معًا.. ولكن بما أن الوقت في أول المساء لم يكن الفستان مناسبًا إطلاقًا.

ظلت تبحث بعينيها إلى أن وقع اختيارها على طقم كان حسن قد اشتراه لها من فرنسا وهو عائد من أحد المؤتمرات.

كان له مكانة خاصة يعرفها تمامًا.. فلم تكن ترتديه إلا لو كانت في صحبته وكان ملائمًا للموعد والمكان.. ارتدته.. تزينت.. وضعت العطر الذي يحبه.. كم كانت سعيدة بلقائه وكأنها ذاهبة للقاء الأول بينهما.

وصلت نادين للمكان المحدد.. بحثت بعينيها عن حسن.. وجدته جالسًا في ركن هادئ أمامه فنجان قهوة.. ظهره لها.. اقتربت منه.. حاولت أن تتباطأ حتى لاتهرول شوقًا.. عندما وقفت خلفه تمامًا:

- ازيك يا حسن.؟

نهض من مكانه.. صافحها.. سحب لها المقعد لتجلس ثم جلس.

- الحمدلله.. ازيك يا نادين؟

- بخير الحمدلله.. معلش انا قلتلك نتقابل دلوقتي عشان مش فاضية ومش ضامنة هبقى فاضية امتى.

- تحت أمرك أي وقت.. خير؟

- لميس من ساعة ماكانت معاك وحالتها وحشة أوي.

- ليه؟

حاولت ان تنطق بهدوء.. واستطاعت بالفعل أن تنطقها بسلاسة.

- انت قلتلها انك هتتجوز.

كانت تتمنى أن يخبرها أن هناك سوء تفاهم ما.. أو تسرُّع .. ولكنه أكَّد:

- ده صحيح.

ازدردت لعابها بصعوبة.. ولكنها تماسكت.. ابتسمت:

- لميس تعبانة من ساعة ماعرفت يا حسن.. البنت مصدومة.

- وتتصدم ليه.. ده حقي.

- أيوة بس برضه لازم تعمل لمشاعرها اعتبار.

- ده دورك يا نادين.. لازم تفهميها ان مش من حقها تزعل.. وجوازي ميقللش من حبي ليها ف حاجة.

- وياترى مين اللي حبيتها أوي كده لدرجة ان مش مهم عندك مشاعر بنتك.

- هي لميس مقالتلكيش؟

- هي لميس تعرف مين؟

- أيوة.. أماني اخت أسامة.

ضحكت ساخرة:

- نعم.. أماني.. ازاي؟

- ازاى يعني ايه.. كده زي الناس.. واحدة ظروفها تناسب ظروفي وخلاص قرينا الفاتحة.

كادت الدموع أن تخونها ولكن نادين تماسكت.. نهضت على الفور.

- ايه رايحة فين انتي لسه مشربتيش حاجة؟

- معلش مش فاضية.. رايحة اشوف مصلحتي زي ما بتشوف مصلحتك.

- متنسيش يا نادين ان كل اللي احنا فيه ده بسبب اختيارك.

سألته بتحدٍ:

- وده العقاب؟

أجابها:

- لأ.. دي النتيجة.

غادرت نادين مسرعة.. قادت سيارتها وقد أطلقت لدموعها العنان تلطخ وجهها بكحل عينيها كما تلطخت كرامتها بشماتة مستترة شعرت بها بين كلمات حسن

كانت تريد أن تنتقم لكرامتها.. أن يشعر بأنه الخاسر وليست هي.. قطع تفكيرها رنة هاتفها.. نظرت للشاشة فوجدت اسم "مجدي".

* * *

توقفت نادين بسيارتها في شارع هادئ.. عدلت من ماكياجها، وأخفت أي أثر لبكائها.. ثم أكملت طريقها حتى توقفت أمام البناية التي يقع بها مكتب مجدي.

دخلت المكتب بعدما استقبلتها السكرتيرة بحفاوة:

- مساء الخير.

نهض مجدي لاستقبالها:

- أهلًا يانادين.. اتفضلي.

جلست وجلس أمامها.. سألته:

- انت ليه صممت اني اجي هنا.. ماكنا هنتقابل في البلاتوه؟

- عشان عندي ليكي خبر وعايز نتكلم سوا بهدوء بعيد عن دوشة الشغل.

ردَّت بضيق:

- خبر ايه؟

- مالك؟؟ شكلك مش طبيعي.

- لأ انا عادي مفيش حاجة.. خبر إيه؟

- فايز كلمني عشان الفيلم.. . وبعتلي السيناريو الصبح وقرات فيه شوية.. الفيلم حلو يانادين.

- هتوافق؟

- انتي ايه رأيك؟

- ياريت طبعًا.

- عارفة احلى ما في الفيلم ده ايه؟

- ايه؟

- انه هيخلينا مع بعض الفترة الجاية.

ابتسمت مجاملة.. ولمعت في رأسها فكرة.. لمجرد الانتقام:

- لسه عايز نفضل مع بعض على طول؟

- أتمنى طبعًا.

- خلاص.. نلبس الدبل في أسرع وقت.. وننزل الخبر في كل الجرايد والمجلات.

سألها متعجبًا:

- إيه اللي غيَّر رأيك بالسرعة دي؟

- لو رجعت في كلامك خلاص.

- أنا عايز افهم بس.

- أبدًا.. حسيت اننا مناسبين لبعض في حاجات كتير.. وعلى كلامك انك بتحبني.. يبقى ليه لأ.

نهض وهو يسحبها من يدها:

- طيب يالا نروح نجيب الدبل حالًا.

- لا استنى لما اقول للميس الأول.. مش عايزاها تتفاجئ.

* * *

تلك الليلة عندما عادت نادين للمنزل.. ووجدت لميس نائمة لم توقظها.. وعندما استيقظت ظهرًا كانت لميس لم تعد من المدرسة بعد.

جلست تنتظرها وتكمل قراءة سيناريو الفيلم كي تبعد حسن عن تفكيرها.

مرَّ الوقت سريعًا حتى سمعت حميدة تفتح الباب وسمعت صوت لميس.

نادت نادين:

- لميييييس.

جاءتها لميس وجلست جوارها:

- انتي هنا يا مامي؟

- اه.. اجازة النهاردة.

- كويس.. هقوم اغير وانام شوية.

- لأ استني عايزاكي في موضوع مهم.

سألتها لميس بقلق:

- خير؟

ترددت نادين.. ثم بدأت كلامها بسيرة حسن:

- أنا قابلت باباكى امبارح .

- وبعدين؟

- مفيش قال انه مصمم على الجواز ومش من حقك تزعلي.

- يعني مفيش جديد.. نفس اللي قالهولي.

- بس فيه جديد يخصني.

- ؟؟

- أنا هتجوز مجدي.

قالتها وأشاحت بوجهها بعيدًا عن ميس.. لكن ميس التي صُدِمت وقفت صارخة:

- انتوا بتعملوا فيا كده ليييييه؟!!

نهضت نادين محاولة تهدئتها، ولكن ميس تراجعت وابتعدت:

- حرام عليكم.. مفيش حد فيكم بيفكر فيا.

- ليه يا ميس.. أنا مش هسيبك.

- انتي اصلا سايباني.. على طول في شغلك وبشوفك بالصدفة.. كنتي بتلومي على بابي عشان سايبنا روحتي وعملتي زيه.. زعلتي لما عرفتي انه هيتجوز وبرضه روحتي وعملتي زيه.

- ده حقي زي ماهو حقه.

- وانا حقي فين؟

- حقك.. محدش جه على حقك.. اوعي تخافي اني هتجوز واسيبك انتي هتفضلي معايا.

- كل واحد فيكم عشان يرضي ضميره بيقولي هتبقي معايا.. هبقى معاكي وانتى مرات راجل غريب وهبقى معاه وهو متجوز واحدة غريبة.. انتوا ليه مش حاسين ولا فاهمين ان أنا بحبكم انتم الاتنين.. ومن ساعة طلاقكم وكل واحد فيكم بيعاند في التاني على حسابي أنا.

- اشمعنى أنا اللي بتقوليلي الكلام ده.. ليه مقولتيلوش هو.

لم تتمالك لميس نفسها أكثر من ذلك.. ولم تستطع كتمان دموعها أكثر.. فبكت:

- عشان انتي اقربلى.. بابي طول عمره مشغول وانا متعودة على غيابه انما انتي غيابك فرق معايا.. شغلك وقلت طبيعة شغلك وانا كبرت على اني افضل عايزاكى جنبي.. إنما جواز وراجل تاني ياخد اللي فاضل من وقتك.. مش هستحمل كده.. أبدااااا.

دمعت عيون نادين.. وحاولت أن تضمها، ولكن لميس ابتعدت مرة أخرى:

- حبيبتي أنا حاولت.. روحت قابلته وكنت مستنية بس يقولي نرجع تاني بس هو خلاص.. قفل الباب في وشي خالص وقال انه قرأ فاتحة أماني.

- انتوا بتعاقبوني مش بتعاقبوا بعض.. انتوا الاتنين ظلمتوني.

جرت لميس على غرفتها وأغلقتها عليها.. جلست نادين مكانها تبكي.

رق قلبها على ابنتها.. ولكن في نفس الوقت لن تتراجع عن خطوتها لمجدي.. يجب أن يشعر حسن أنها قادرة على العيش دونه وعلى استكمال حياتها مع آخر كما ارتبط بأخرى.. أما لميس فمن المؤكد أنها الصدمة الأولى.. ومع الوقت سترضى بالأمر الواقع.

* * *

جلست أماني على سريرها تتأمل دبلتها التي لبستها اليوم، تقارن بين فرحتها الأولى وفرحتها اليوم.. نعم فرحت في المرتين ولكن لكل فرحة منهما إحساس مختلف.

فرحتها الأولى ورغم أن الدبلة كانت سيئة الشكل لأن سيد اختار الأخف وزنًا الأقل سعرًا، ولكنها كانت سعيدة بأنها أخيرًا ارتدت ما حلمت به كثيرًا.. فالدبلة لها سحر خاص تتوق له البنت منذ طفولتها.. أما الآن وبعد أن أصبحت امراة ناضجة وعرفت أن سحر الدبلة أحيانًا يكون مجرد سراب تراه البنت فلا ترى عيناها عيوب الشخص الذي قررت الارتباط به.. أبعدت يديها عن مرمى بصرها فلن تخطئ هذه المرة وتفكر في الزواج لمجرد الزواج ولكنها ستفكر في الشخص الذي سترتبط به.

حسن.. منذ أن عرفته عندما خطب أسامة منى وهي تكن له كل التقدير والاحترام.. فتراه رجلًا به كل معاني الرجولة .

ورغم ذلك لم تتمنَه يومًا ولم يخطر ببالها قط أنها ستكون زوجته في أحد الأيام.. كم احترمت صراحته في المرات القليلة التي تكلما فيها في الأيام السابقة.. فقد احترم عقلها وخاطبُه ولم يتطرق للغة المشاعر.

من المؤكد انها كأمرأة تتمنى سماع الكلمات الرومانسية، ولكنها تصبو لإلى أن تكون كلمات حقيقية نابعة منه.. فلو كان أخبرها انه أحبها لتأكدت أنه كاذب وفقدت احترامها له.

لن تتعجل.. وستترك بذرة الحب تنمو في قلبيهما مع الوقت وبحسن العِشرة والتفاهم وتوافق الطباع.. تشعر بالراحة والتفاؤل.. رفعت يديها وناجت ربها:

- أحمدك يارب.

* * *

في الأيام التالية لم تتواجه نادين ولميس مرة أخرى، فلميس تغلق على نفسها غرفتها طوال فترة تواجد نادين في المنزل.. حاولت نادين أكثر من مرة أن تتحدث إليها، ولكن كل مرة كانت النتيجة الفشل، وعندما سألت نادين حميدة عن لميس وأحوالها.. أجابت:

- والله يا مدام ما عارفة مالها.. مبقتش تخرج من أوضتها إلا ع الحمَّام.. والأكل بتحايل عليها وفين وفين لما تاكل لقمة متكفيش عيل صغير.. ومبقتش تروح مدرستها كل يوم والدروس كمان يوم آه ويوم لا.

- ومبتتكلمش معاكي خالص؟

- من ورا الباب.. أنادي عليها ساعات ترد بعد مدة ويكون صوتها نايم وساعات ترد على طول.. أقولها افتحي اطمن عليكي تقولّي انا كويسة وعايزة اقعد لوحدي.

- أعمل فيها ايه بس يا ربي.. كل ماجى اكلمها متفتحليش الباب واتصل بيها على الموبايل تقفل.. البنت دي اتجننت ولا ايه.

- أه كنت عايزة اقولك حاجة كمان يامدام.

- قولي.

- امبارح دخلت انضف أوضتها.. بالعافية لما رضيت تفتح لي.. لقيت ورق مجلة متقطع لما دخلت المطبخ لقيت حتة منها فيها صورة حضرتك.

ردت نادين بحزن:

- يبقى قرأت خبر الخطوبة.. وانا اقول المجلة راحت فين.

- متآخذنيش يعني يامدام.. لميس مقهورة من ساعة حكاية خطوبتك دي.

- هو انا أول ولا آخر واحدة هتتجوز بعد طلاقها.

- لأ طبعًا.. بس الحكاية جت بسرعة وانتي مش مهتمة برأيها وهتلاقيها غيرانة عليكي.

- ومش غيرانة على باباها ليه؟

- ما انتوا الاتنين فجأة بعدتوا عنها.. شيلي بنتك ف عنيكي بلا رجالة بلا جواز بلا هم.

وانتبهت نادين أن التي تتحدث إليها خادمتها.. والتي تحملها مسئولية ما آلت إليه حالة لميس.. فصرخت بها:

- انتي بتقولي إيه.. أنا مطلبتش رأيك أصلًا.. ومش هتخافي على بنتي أكتر مِّني.. روحي شوفي وراكي ايه؟

ذهبت حميدة للمطبخ وهي تعتذر بصوت مسموع لنادين وتعلق في سرها: "ماهي كلمة الحق بتقف في الزور".

ظلت نادين جالسة تفكر.. ثم ذهبت لغرفة لميس، فتحت الباب فلم يفتح معها.. طرقته:

- لميس.. افتحي.

انتظرت قليلا ولم تجد جوابًا.. كررت النداء وهي تطرق طرقًا عنيفًا:

- افتحي يالميس.. مش هنفضل متخاصمين واحنا ف بيت واحد.

لم تجد ردًا.. ساورها القلق:

- افتحي.. والله لو مافتحتي لابعت اجيب حد ييجي يكسر الباب.

سمعت صوت لميس:

- نعم.

- افتحي.

- ليه؟

- عايزة اطمن عليكي.

- اطمنى أنا عايشة ومموتش.

- بعد الشر.. إيه الكلام الوحش ده.. لميس عيب كده افتحي.

رن هاتف نادين فأخرجته من جيبها ونظرت لاسم المتصل، وابتعدت قليلًا ثم ردت بصوت هادئ" ألو.. أيوة يا مجدي.. في البيت.. لا مش هتأخر.. مع السلامة".

اقتربت من غرفة لميس مرة أخرى.. وجدت الباب مفتوحًا ولميس جالسة على السرير وظهرها لها، دخلت وجلست قبالتها:

- ايه اللي انتي فيه ده يا لميس؟

- أنا كويسة.

- لأ مش كويسة.. انتي مش على طبيعتك خالص حتى المدرسة اللي كنتي مبتفوتيش يوم غياب بقيتى مبتروحيهاش ودروسك مش بتنزلي كل يوم.. وأكيد مستواكي اتأثر.

- مليش نفس.

- ملكيش نفس لإيه بالظبط؟

- لكل حاجة.. مش طايقة الدنيا بحالها.

- ليه يا حبيبتي.. إيه اللي حصل؟

سألتها لميس بسخرية

- لا أبدًا.. مفيش حاجة حصلت.. حياتي اتقلبت 180 درجة ومفيش أي حاجة حصلت.

- اااه انتي هتعيدي نفس الكلام تاني وانا مش فاضية للكلام الفارغ ده.. عيب بقى انتي مبقتيش صغيرة على كده.

- أولًا أنا مطلبتش اني اتكلم ولا عايزة اتكلم أصلًا انتي اللي صممتي اني افتح الباب ونتكلم.. ثانيًا اتفضلي أنا مش هعطلك.

لم ترق تلك اللهجة لنادين فصرخت فيها وهي مغادرة:

- انتي بقيتي مستفزة وقليلة الأدب.. وانا غلطانة اني اتعاملت معاكي على انك كبيرة.. انتي لسه عيلة صغيرة ولا فاهمة ولا حاسة بأي حاجة في الدنيا.

خرجت نادين من الغرفة وسمعت صوت إغلاق الباب من الداخل مما زاد توترها وارتباكها.. أخذت حقيبتها ونزلت.

جلست في سيارتها تبكي بشدة.. تبكي من عدم قدرتها على التعامل مع لميس.. لم تعد تعرف هل تتجاهلها حتى تعود لطبيعتها.. أم تتقرب إليها وتنفذ لها رغبتها في عدم الزواج.

الزواج ليس هو غايتها، ولكنها تريد أن تنتقم من حسن الذي ذهب لأخرى ورفض العودة إليها.. تفتقد صداقتها لمنى.. فقد كانت الصديقة المقربة لها، ولكن بعد أن عرفت أنها خانت صداقتها ولم تقف في وجه حسن حينما قرر الزواج لأنها تعرف تمامًا مدى حبها لحسن ومع ذلك لم تتدخل للصلح.. منذ

ذلك الحين وانقطعت نادين تمامًا عن الاتصال بمنى ووجدت أن منى أيضًا لم تعد تتصل بها

ظلت جالسة تفكر كيف ستتصرف وهي تبكي.. ولكن حتى البكاء لم يكن لديها الوقت والحرية له.

فرأت جارة لها تقترب لتأخذ سيارتها من الجراج.. فتحركت بسيارتها مسرعة قبل أن تلمحها جارتها وهي تبكي.

* * *

- 16 -

بعد عشرة أيام.. دخل حسن مكتبه.. خلع البالطو الأبيض وعلَّقه على ظهر الكرسي.. فتح درج مكتبه.. أخرج هاتفه وفتحه.

بمجرد فتحه انهالت عليه الرسائل التي تنبئه بالأرقام التي اتصلت به أثناء إغلاقه الهاتف، بدأ يتفقد الأرقام.. قاطعه رنين الهاتف.. ردَّ:

- ألو.

جاءه من الطرف الآخر صوت أماني معاتبة:

- كده يا حسن كل ده قافل التليفون.. أنا مستنياك ع الغدا.

رد معتذرًا:

- معلش انا اتأخرت في العملية ومكنتش فاكر هتأخر كده.

- طيب جاي إمتى؟

- أنا خلصت خلاص.. ساعة وانزل واجي لك على طول.

- هترجع الشغل تاني؟

- أكيد.

- يعني مش هتيجي معايا لمهندس الديكور؟

- معلش.. خدي مامتك واختارى اللي يعجبك.

- افرض ذوقي معجبكش.

قبل أن يرد.. انفتح باب المكتب فجأة، ودخلت نادين مندفعة باكية:

- تليفونك مقفول ليه كل ده يا حسن؟

فوجئ حسن بدخول نادين وبكائها، ارتبك وتوجس خيفة من سبب مجيئها بهذا الشكل.. وفي نفس الوقت لم يدرِ مع أيهما يتحدث أولًا، سأل نادين بقلق:

- مالك يا نادين؟؟

كانت نادين تبكي وهي تنظر له وهو ممسك بهاتفه منتظرة منه أن ينهي مكالمته، وبمجرد أن سمعت أماني اسم نادين: "نادين؟؟؟!!! ايه اللي جابها عندك؟"..

فما كان منه سوى أن رد عليها باقتضاب: "نتكلم بعدين.. سلام".

أغلق الهاتف قبل أن ينتظر ردًّا، سأل نادين مكررًا

- مالك يا نادين؟؟؟انتى كويسة؟

- لميس يا حسن؟

سألها بلهفة

- لميس.. مالها؟؟

ردَّت باكية:

- مرجعتش من المدرسة.. وتليفونها مقفول.. أنا مش مطمنة.

نظر في ساعته بقلق:

- ايه اللي خلاكى تستنى كل ده الساعة دلوقتى 6 وكان المفروض ترجع 3.. البنت فين كل ده؟

ظلت تبكي بحرقة:

- معرفش.. أنا جيت لك عشان تتصرف وتشوف بنتنا فين؟

اتصل بلميس وجد هاتفها مغلق.. فأخذ مفاتيحه وهاتفه بتوتر وهو يسألها:

- تليفونها مقفول برضه.. روحتى المدرسة؟

- روحت ولقيت الباب مقفول.

- متصلتيش بحد من أصحابها؟

ردت وهي تبكي:

- معرفتش اتصرف يا حسن.. أنا هموت م الرعب وتفكيري مشلول.. معملتش حاجة خالص غير إني لما لقيت المدرسة مقفولة جيت لك.

أكملا كلامهما وهما خارجان من مكتبه:

- انتي ملاحظتيش انها اتأخرت غير دلوقتي يا نادين.. 3 ساعات ليه؟

- أنا كنت بره وحميدة اتصلت بيا وقالتلي ان لميس اتأخرت الكلام ده كان الساعة 4 ونص.. اتصلت بيها وروحت المدرسة وجيت لك وكل ده وانا بتصل بيك وتليفونك مقفول.

وصلا الشارع، وجد حسن سيارة نادين، وقف أمامها، ناولته المفاتيح:

- سوق انت.. انا جيت لك بالعافية.. اعصابى بايظة.

وقف مترددًا قليلًا.. ثم أخذ المفاتيح وفتح لها الباب ثم ركب.. رنَّ هاتفه وجد أنها أماني.. رد متعجلًا

- ايوه يا أماني.. لميس مرجعتش من المدرسة وتليفونها مقفول.. أيوة أنا مع نادين.. مش عارف لسه هندور عليها.. طيب هبقى اطمنك مع السلامة.

نظرات نادين أثناء استقبال حسن لمكالمته كانت تملؤها الغيرة رغم قلقها وبكائها المستمر، ولكن الغيرة لم تكبح لسانها عن التعليق:

- هيَّ قلقانة على لميس ولا عليك؟

نظر لها حسن نظرة حادة ولم يعلق على كلماتها.. سألته لتغيير الموضوع:

- هنروح فين دلوقتى؟

- مين أقرب صاحبة ليها؟

- وعد.

- كلميها.

اتصلت نادين بوعد.. وأجابت على حسن:

- تليفونها مقفول.

- يمكن يكونوا مع بعض.

- مش عارفة.

- طيب كلميها على تليفون البيت.

- مش معايا.

- تعرفي عنوانها؟

- أيوة.

أعطته نادين العنوان.. كانت تبحث بعينيها طوال الطريق وتتلفت مع كل فتاة تراها.. رنَّ هاتف نادين.. فقالت لحسن:

- ده مجدي خطيبي.. أصلي كنت معاه ساعة ما حميدة اتصلت بيا وروحت.

لم يرد حسن أو يلتفت إليها.. ردت:

- آلو.. لأ يامجدي ملقتهاش.. أنا مع باباها وهنروح لصاحبتها دلوقتي.. مش عارفة ثواني أقوله.

وجهت كلامها لحسن:

- مجدي بيقول ممكن يساعدنا.

نظر لها محاولًا كظم غيظه.. وكأنه حاول اختيار كلماته بعناية:

- قوليله شكرا.. أنا هدوَّر على بنتي بطريقتي.

لم يعجبها رده.. فردت على مجدي سريعًا:

- معلش يا مجدى.. احنا متوترين جدًا.. أكيد هبقى اطمنك.. مع السلامة.

بعد أن أنهت مكالمتها.. عاتبته بشدة:

- متهيألي مش من الذوق ابدا انك تسمَّعه كلمتين بايخين وهو عايز يساعدنا.

رد عليها بعصبية:

- ناديين.. أنا فيه 100 فكرة في دماغي وكلها أفكار ترعب.. مش وقت تنظير من حد.. أنا هدوَّر على بنتي وهرجَّعها إن شاءالله.. عايزة تفضلي معايا من غير ماتضايقيني خليكي.. لو هتضايقيني ممكن تستني في البيت وانا هبقى اطمنك.

- يا سلام.. يعني انت قلقان لوحدك.. أنا هموت وانا مش عارفة هي فين.

- خلاص.. مش ناقص توتر.

صمتت تمامًا.. لم تتغير شخصيته القوية وكلماته الحاسمة.. كما لم تتغير هي أمامه.. دائمًا تتوارى شخصيتها أمامه.. رضخت لأمره.. لم تناقشه واكتفت بأن أشاحت بوجهها وأكملت البحث بعينيها التي تمتلئ بالدموع.

رنَّ هاتفه مرة أخرى.. تصنعت اللامبالاة فلم تلتفت.. وعندما سمعته يرد على منى.. شعرت براحة أنها ليست أماني.

"أه نزلت يامنى مع نادين.. مش جاي دلوقتى.. مش عارف مرجعتش ليه اتصرفي انتي.. أكيد هبقى اطمنك بس يارب نطمن.. مع السلامة".

بعد أن أنهى مكالمته.. بدا مترددًا قليلًا ثم سأل نادين:

- حصل حاجة بينك وبينها قبل ما تنزل أو امبارح؟

- محصلش جديد.

- مش فاهم!

- يعني لميس بقالها فترة متغيرة معايا.

- انتي كمان؟

- أيوة.. وكنت ملاحظة انها قللت مقابلاتها معاك.

- أنا كنت فاكر انتي اللي بتبعديها عنِّي ومكنتش عايز اتكلم عشان معملش مشاكل.

- لأ طبعًا أنا مقدرش ابعدها عنك.. انا قلتلك آخر مرة اتقابلنا فيها انها زعلانة.

- وانا يومها قلتلك ان المفروض تفهميها ان حقي اتجوز.

- فهمتها.. بس النتيجة كانت انها ادتلك الحق ده وشافت اني مليش حق اتجوز.

ردَّ بمرارة:

- إحنا فعلا فكرنا في نفسنا ومفكرناش فيها.

- جيتلك لحد عندك وقلتلك.

- نلاقيها بس وإن شاءالله كل حاجة تتحل.

ردت نادين من أعماق قلبها:

- ياااااارب.

للحظة.. تخيلت لو أن كل شيء يُحل وتعود المياه لمجاريها.. دعت الله بصدق ومن قلبها أن تعود لميس ويطمئنا عليها ويعود حسن لبيته وتُحلّ جميع مشاكلها حتى وإن عادت لبيتها فقط مرة أخرى.

توقف حسن بالسيارة أمام منزل وعد، سألته نادين:

- هتستناني هنا؟

- لأ طبعًا هطلع معاكي.

صعدا معًا.. كل منهما يدعو في سره أن يجد لميس مع وعد.

طرقت نادين الباب.. كل لحظة تمر يشوبها القلق والترقب والأمل.

انفتح الباب بعد برهة.. تعجبت وسام عندما رأت نادين وحسن.

سالتها نادين في سرعة:

- ازيك يا وسام.. لميس عندكم؟

وسام متفاجئة وقبل أن تنتبه للسؤال عن لميس:

- أهلًا يا طنط.. ازيك يا انكل.. اتفضلوا.

حسن متلهفًا:

- لميس عندكم؟

رددت وسام السؤال بدهشة:

- لميس!! لأ مش هنا.

سألت نادين:

- طيب وعد موجودة؟

- لأ.. وعد مع ماما في المستشفى.. هو فيه ايه؟

- لميس مرجعتش لحد دلوقتي من المدرسة.

- يا خبر!! هتكون فين يعنى؟

- مش عارفة يا وسام.. إحنا هنتجنن والله.

سأل حسن:

- طيب احنا ممكن نكلم وعد؟

- أنا رايحة لها المستشفى دلوقتي.. تحبوا تيجوا معايا؟

ردَّ حسن ونادين بلهفة:

- طبعًا.

* * *

جلس حسن ونادين مع وعد والتي كانت طوق النجاة بالنسبة لهما.. ولكن بعد أن أخبرتهما أنها لم تذهب للمدرسة منذ ثلاثة أيام بسبب دخول والدتها المستشفى وتناوبها هي وشقيقتها لمرافقة والدتهما مما أدى لانشغالها تمامًا وآخر مكالمة بينها وبين لميس كانت أمس.

قالت لميس لوعد:

- وعد، أنا عارفة ان من ساعة مامتك ما تعبت وانتي بعدتي شوية عن لميس.. بس أكيد عرفتي اصحابها الجداد.

- لميس مكنش لها اصحاب قريبين غيري.. يعني اصحابنا في الكلاس بس مش أكتر من كده.

نادين بتعجب:

- لأ.. كانت بتخرج مع اصحابها كتير.

حسن متسائلًا لنادين:

- وانتى مكنتيش عارفة مين هما؟

- لأ.. كانت بتقولّي اصحابي وبس.

حسن محبطاً:

- وبعدين.. أنا كان عندي أمل نلاقيها هنا.

نهض حسن، وتبعته نادين.. ترددت وعد قليلًا.. وعند اقترابهما من الباب، سألت وعد حسن:

- وعد، انكل.. سألت مصطفى؟

أجابها حسن دون أن ينتبه لقصدها:

- مصطفى ساب الشغل من أسبوع ومبقاش بيوصلها زي الأول.

- هو ساب الشغل؟

- أيوة.. لو ميس كلمتك أي وقت ابقى كلمينا طمنينا.. معاكي رقمي؟

- برضه اسأل مصطفى على ميس.

سألت نادين متعجبة:

- مصطفى هيعرف ايه بعد ما ساب الشغل؟!

تلعثمت وعد.. تبادل حسن ونادين نظرات قلقة.. حثها حسن على الحديث مطمئنًا لها:

- وعد لو تعرفي حاجة احنا مش عارفينها قوليلنا عليها.

وعد بعد أن حسمت ترددها:

- ميس على علاقة بمصطفى.

نادين غير مصدقة:

- مصطفى السواق!!

حسن والظنون تلعب برأسه:

- علاقة ازاي يعني؟؟ وصلت لحد فين.

وعد مدافعة:

- لا يا انكل متخافش.. كل اللي اعرفه انه بيحبوا بعض بس.. معرفش أكتر من كده والله.

نادين باستنكار:

- حب ايه.. ومع مين السواق!! ومن إمتى؟

ردَّت وعد:

- يعني بعد الدراسة ما بدأت بحاجة بسيطة كده.

- كل ده واحنا مش حاسين؟!

قال حسن:

- شكرًا يا وعد وألف سلامة على مامتك، إن شاءالله تقوم بالسلامة.

- ميرسي يا انكل.

حسن لنادين التي كانت مصدومة:

- يالا يا نادين.

في السيارة كانت نادين تبكي وحسن متماسك بعد الصدمة التي تلقاها بعد معرفته الحقيقة.

- هوَّ اللي ساب الشغل ولا انت اللي طردته؟

- هوَّ اللي ساب الشغل.

- تفتكر يكون عمل حاجة للميس عشان كده الفترة اللي فاتت كانت قافلة على نفسها.

- مش عارف.

ردَّ عليها وهو ممسك بهاتفه وأجرى اتصالًا ومنتظر الرد، رددت نادين:

- إزاي قِدِر يخدعك كل ده ومحستش انه بيرسم عليها؟!

حسن بعصبية:

- زي ما انتي كمان اتخدعتي ومحستيش ببنتك ان في حياتها حاجة مش طبيعية.

فُتحت المكالمة التي أجراها حسن.. ورَّد:

- ألو.. منى سيبي اللي ف إيدك وروحي هاتيلي عنوان مصطفى السواق حالًا.. انتي بنفسك من غير ماتقولي حاجة لحد ولا تسألي.. بعدين هحكيلك.. يالا بسرعة وكلميني.. سلام.

لحظات الانتظار طويلة لا يقطعها سوى بكاء نادين والذي يزيد توتر حسن وخوفه وقلقه على ابنته.

* * *

توقف حسن بالسيارة في أقرب مكان للعنوان الذي أملته عليه منى.. نظر حوله كانت المنطقة شعبية فقيرة للغاية.. نظر لنادين:

- أنا هنزل ادور على البيت.. استنينى هنا واقفلي عليكي العربية.

- أنا مش هستنى.. أنا عايزة اطمن على بنتي.

- بلاش يانادين.

لم تمهله نادين مزيدًا من الوقت لشرح مبررات.. فقد ترجلت من السيارة:

- انا جاية معاك.

وما إن وطأت قدماها الأرض.. حتى صرخ أحد الأطفال المنتشرين في الشارع: "الممثلة اللي بتيجى في التليفزيون أهي".

تجمع الأطفال حولها بشكل أثار خوفها فتراجعت خطوات للخلف ونظرت لحسن وكأنها تستنجد به، تصنع الابتسامة وأشار للأطفال:

- هيَّ شبهها أوي بس مش هيَّ.

سمعا بعض تعليقات ساخرة من الأطفال وهم يبتعدوا.

همس حسن لنادين بحسم وهو يسحبها من يدها في اتجاه السيارة وتحديدًا في كرسي القيادة:

- خدي العربية واستنيني في شارع تاني يكون أهدا من هنا.

- أنا جاية معاك ومش هستنى.

- مش هينفع.. انتي مشفتيش العيال اتلموا عليكي ازاي.. سيبيني اروح اشوف الزفت ده بيته فين.

ركبت كما أمرها.. شاور لها بالتحرك قبل أن يتركها:

- اركني في حتة هادية وانا لما اخلص هكلمك اشوف انتي فين.

قادت السيارة.. ودخل حسن يبحث عن الحارة ورقم البيت الذي سجله في ذاكرته بعد مكالمة منى.

توقف حسن أمام منزل مصطفى.. رأى أحد الأولاد خارجًا يجري من البوابة المتهالكة فاستوقفه بلهجة ودية بسيطة:

- لو سمحت يا شاطر.. مصطفى ساكن هنا.

- اه.. مصطفى اخويا بس هو مش موجود.

- هوَّ فين؟

- في الشغل.

- تعرف بيشتغل فين؟

- هوَّ مسافر بس مش عارف فين.. أمي عارفة.

كاد يجرى.. ولكن حسن استوقفه مرة أخرى

- حبيبي استنى اما اقولك.

رجع الولد مرة أخرى بضيق:

- نعم.

- لميس فوق؟

- لميس بنت الممثلة؟

تفاجأ حسن ولكنها كانت مفاجئة شِبه متوقعة.. اطمأن جزئيًا أنه وجد لميس ويبقى أن يطمئن على مدى العلاقة بينها وبين مصطفى، سأله مطمئنًا

- هيَّ فوق مش كده؟؟

ردَّ الولد ببلاهة وتعجل:

- فوق فين يا عم.. هيَّ جت مرة واحدة قبل كده ومجتش تاني.. عايز تسألني على حاجة تاني؟

- شقتكم في الدور الكام.

- التاني.

قالها وركض بعيدًا دون أن ينظر خلفه.

صعد حسن.. وتوقف أمام باب الشقة المفتوح.. شاهد سيدة تجلس في منتصف الصالة على الأرض تشاهد التليفزيون.. طرق طرقات خفيفة.. فنهضت أم مصطفى:

- نعم؟

- لو سمحتي مصطفى موجود؟

- لا يا بيه مش هنا.. مين حضرتك؟

كانت عيناه تتجول في الشقة الضيقة والتي كانت مكشوفة للباب ورأى شقيقات مصطفى في الغرفة المفتوحة.. لم يفصح عن شخصيته.

- أنا كنت جاي لمصطفى في مصلحة وعايزُه ضروري.

- هوَّ مسافر.. لو عايزُه ضروري اجيبلك رقمه تكلمه.

- طيب هكلمه.. ممكن الرقم؟

نادت أم مصطفى على ابنتها لتكتب الرقم لحسن الذي سألها عن الرقم وهو لا يحتاجه.. ثم تصنَّع عدم الاهتمام وهو يسألها:

- هو اشتغل فين؟

ردَّت الأخت:

- تبع شركة سياحة في الغردقة.

- تعرفي اسم الشركة؟

- نايل تورز.

شكرها حسن وتناول الورقة التي كتبت فيها الرقم.. ألقاها بمجرد وصوله للشارع.. اتصل بنادين وذهب إليها.

*** * ***

بعد أن حكى حسن تفاصيل زيارته القصيرة لأهل مصطفى، اقترحت نادين:

- كلمه واسأله.. يمكن لميس تكون معاه.

- وافرضي كلمته وأنكر انها معاه وأخدوا حذرهم وخبَّاها.. يبقى الحل ايه ساعتها؟

- عندك حل تاني؟

- اه.. هسافر اطب عليه فجأة.

- أنا جاية معاك.

- خليكي يا نادين وانا هتصل بيكي أول ما اعرف حاجة.

- متقوليش تاني خليكي.. انت مش عارف أنا هموت م القلق ازاي.. أنا حاسَّة ان روحي متاخدة مني.

- مش عارف!! ليه مش بنتى وقلقان عليها يمكن أكتر منك.. يارب بس ميكونش ضحك عليها ونرجعها سليمة.

كان صوته ملئ بالحزن ولاحظت نادين دموع ترقرقت في عينيه.. كانت تتمنى أن تبكي بين ذراعيه.. تمنَّت أن يضمها إليه ويبثان بعضهما البعض القوة والطمأنينة حتى تعود روحهما التي غابت بغياب لميس:

- أنا هتصل بالمطار واشوف لو فيه طيارة الليلة دي هحجز فيها ولو مفيش هنروح بالعربية.

تأملته.. كم تعشق قوة شخصيته وقدرته على التغلب على المشاكل ومواجهتها مهما كانت صعبة.

* * *

منذ أن أنهى حسن مكالمته مع أماني بعد أن سمعت صوت نادين وهي تفكر فيما يحدث الآن على الطرف الآخر.. هاهي جالسة في غرفتها وحدها تعتصرها الهواجس.. تغار.. تحاول أن تهدئ نفسها، ولكن لا يوجد أي مبرر يساعدها على أن تهدأ.

شعرت أن احلامها وبيتها الجديد الذي بدأت في تأسيسه بالفعل انهار لحظة قدوم نادين لحسن.

تعلم تمامًا أنها لم تمتلك قلب حسن حتى الآن.. لذا تخاف.. تخاف كثيرًا من قربه من نادين.. تدعو الله بصدق ومن قلبها أن يجدا لميس في أسرع وقت حتى تعود نادين لحياتها ويعود حسن إليها.

تسمع هاتف في أذنها يسأله.. ماذا لو عاد حسن لنادين.. تجد نفسها تهب واقفة فجأة.. تدور في غرفتها بلا هدف وكأنها تبحث عن شيء يشغلها حتى تبتعد الهواجس عن رأسها.. لا تجد ما يشغلها ويبعد عنها هواجسها.. تنظر للهاتف برجاء وتوسُّل.. تتمنى لو أن حسن يتذكرها ولو باتصال لثوان معدودة.. تحتاج فقط أن تشعر أنها في حياته.. تمر الساعات والأفكار لا تهدأ ولا يأتيها الاتصال المنتظَر.

يُطرق باب غرفتها.. يأتيها صوت أسامة يناديها:

- أماني.

- ادخل.

يدخل أسامة مكفهر الوجه.. ويخبرها:

- كلِّمتي حسن وعرفتي اللي حصل؟

ظنت ان هناك جديدا فسألته بلهفة:

- إيه اللي حصل؟

- مش لاقيين لميس.. مرجعتش من المدرسة.

- أه.. ما أنا عارفة.

قالتها بألم بدا في صوتها.. فسألها أسامة:

- انتي عارفة من إمتى؟

- كنت بكلمه ونادين راحت له.. ومن ساعتها وهما بيدوروا على لميس ومكلمنيش.

اختنق صوتها، ولكنها استطاعت أن تكبح دموعها.. فأردف أسامة:

- متزعليش يا أماني.. سفَرُه مع نادين أكيد عشان بيدورَّا على بنتهم.. محدش يقدر يلومه في انه بيدور عليها بنفسه.

سألته متعجبة:

- سفر!! سفر ايه؟

- مش انتي عارفة انه مع نادين؟

- أيوة.. اعرف انهم بيدوروا عليها بس معرفش فين.. هو فيه جديد؟

- أه.. منى كلمتني وقالت لي انهم عرفوا انها في الغردقة ورايحين يجيبوها.

- الغردقة !! بتعمل ايه هناك لوحدها.

- معرفش تفاصيل ده كل اللي عرفته.

هزت أماني رأسها.. فلم يعد لديها ماتقوله.. يكفيها خوفها من الأيام القادمة.. وبما أنه ليس في مقدورها أي شيء فقد فوضت أمرها لله صاحب القضاء والأمر.

* * *

بعد وصول حسن ونادين لمطار الغردقة.. ركبا تاكسي وطلب منه حسن أن يوصلهما إلى "نايل تورز".

السائق: والله يا باشا شركات السياحة هنا كتير وأساميهم تلخبط.. لو تعرف العنوان قولي واوديك على طول.

حسن: لأ.. معرفش العنوان.

- طيب أكيد الفنادق اللي هنا هتعرف عشان بيتعاملوا معاهم على طول.. أوصَّلك فين سعادتك؟

- الماريوت.

دخلا الفندق.. طلب حسن من موظف الاستقبال حجز غرفتين.. وبعد إجراءات الحجز سأله حسن:

- لو سمحت متعرفش عنوان شركة نايل تورز؟

الموظف. ايوه يا افندم اعرف.. حضرتك ممكن تقولى محتاج ايه بالظبط وانا تحت أمرك.

- أنا بسأل عن موظف عندهم.. عايزه شخصيًا.

- بكرة الصبح ممكن حضرتك تتصل بيهم وتسأل عليه.

- وليه مش دلوقتي؟

- الأمن بس اللي موجود إنما الموظفين لأ.

- طيب اديني العنوان وانا هسألهم.

بعد أن أخذ حسن العنوان من موظف الاستقبال لم ينتظرا حتى الصباح واستقلا تاكسي وذهبا للعنوان المقصود.

توقف التاكسي أمام عمارة تتكون من أربع طوابق تتصدر الدور الأول يافطة كبيرة تحمل اسم الشركة. علقت نادين. واضح ان الشركة قافلة والبوابة مفيش حد عليها خالص ولا موظفين أمن ولا بواب.

ردَّ حسن وهو يتقدمها داخل العمارة:

- نطلع ونشوف.

صعدا السلم.. ومن خلال باب الشركة لمحا ضوء وسمعا صوت لم يتأكدا إن كان راديو أو تليفزيون، رنَّ حسن جرس الباب بعد أن تأكد من وجود أحد بالداخل

فتح أحد موظفى الأمن الباب:

- أفندم؟

ردَّ حسن:

- لو سمحت أنا بسأل عن واحد بيشتغل هنا اسمه مصطفى عبدالعزيز.

- مصطفى السواق؟

- أيوة هوَّ.. لو تعرف ساكن فين ياريت تفيدني لأني عايزُه ضروري.

- ثواني اتأكد إذا كان في شغل بره ولا لأ.

دخل الموظف لحظات.. ثم عاد مرة أخرى قائلًا:

- مصطفى موجود فوق.

- موجود فين؟

- في السَّكَن.

حسن محاولًا أن يطمئن:

- لوحده؟

- لأ طبعًا.

كاد قلب حسن أن يتوقف بعد أن خطر بباله أن لميس تقضي ليلتها مع مصطفى.. نظر لنادين التي امتقع وجهها ونظرت له بفزع، ولكن الموظف أكمل كلماته:

- الموظفين كلهم ساكنين فوق.

تنفس حسن الصعداء وسأله متأكدًا:

- أه.. يعني موظفين الشركة مع بعض مش معاهم حد من بره.

- أيوة طبعًا.

- طيب احنا هنطلع له.

همَّ حسن ونادين أن يصعدا.

استوقفهما الموظف:

- ممنوع يافندم.. ممكن انا اتصل بيه ينزل لحضرتك.

- ياريت.

- نقوله مين؟

- متقولوش.. قوله بس ينزل لأمر ضروري.

- حاضر.. اتفضلوا.

دخل الموظف وخلفه حسن ونادين.. أشار لهم بالجلوس في الاستقبال.. واتجه صوب زميليه الجالسين أمام التليفزيون واتصل من التليفون الأرضي.. مكالمة قصيرة أنهاها وانضم لزميليه مرة أخرى.

بعد أقل من عشر دقائق وجدا مصطفى يدخل ويبدو أنه كان نائمًا وارتدى ملابسه على عجل.. تفاجأ مصطفى بحسن ونادين:

- دكتور حسن!!.. أهلًا وسهلًا.. أهلا يا مدام.

اقترب منهما يصافحهما.. مدَّ حسن أطراف أصابعه وصافحه ببرود وسأله بحدة:

- فين لميس يا مصطفى؟

تفاجأ.. تلعثم وهو يردد:

- لميس!!.. معرفش.

تحكم حسن في صوته حتى لا يسمعه موظفو الأمن القريبين منهم:

- متستعبطش.. أنا عرفت اللي بينك وبينها.. أحسن لك قول هي فين يا مصطفى وإلا قسمًا بالله...

قاطعه مصطفى وهو ينظر بحيرة لحسن ونادين:

- معرفش.. ومش بستعبط يا دكتور.. أقسم لك بالله ما اعرف لميس فين ولا اتكلمنا بقالنا فترة.

نادين باكية:

- مصطفى.. قول الحقيقة.. أرجوك طمني بنتي فين؟

مصطفى. والله يامدام نادين ما اعرف عنها حاجة من ساعة ما مشيت من الشغل.

قال حسن:

- احكي لي بالتفصيل كل اللي تعرفه وانا معرفوش.

مصطفى فكر قليلًا.. ثم أردف:

- أنا آسف يا دكتور لو اعتبرتني خنت ثقتك فيا.. بس والله ما عملت أي حاجة فيها خيانة للثقة دي.. بالعكس أنا كنت بخاف عليها جدًا وخصوصا لما حصل انفصال كانت لميس حاسة بالإهمال وانا كنت بخفف عنها.. بس انا كنت متأكد ان حبى ليها استحالة يكمل بسبب ظروفي وده اللي خلاني اعرفها على أهلي وتشوف بيتنا.

نادين:

- حب ايه يا مصطفى اللي بتتكلم عنه.. دي عيِّلة صغيرة وانت استغليت عدم خبرتها.

- لا يا مدام نادين.. أنا مستغليتهاش.. مشاعري ناحيتها كانت غصب عني.

كان شديد الإحراج وهو يتحدث عن مشاعره تجاه لميس مع والديها.. كان ينظر للأرض وصوته منخفض.

أما حسن وبعد أن اطمأن أن العلاقة لم تتجاوز حد المشاعر فظل مستمعًا لمصطفى لعله يصل لخيط جديد يساعده في البحث عن لميس.. وعندما توقف مصطفى عن الحديث.. سأله حسن:

- والفترة الأخيرة دي.. متعرفش كان مالها.

- كانت متغيرة أوي معايا.. أكيد لما شافت مستوانا بس هيَّ كانت بتقول انه بسببكم.

نادين بعصبية:

- بسببنا!!؟؟

- أيوة.. حست ان محدش فيكم مهتم بيها وان كل واحد راح يدوَّر على حياته من غير ما يهتم بيها وده اللي كان مأثر عليها نفسيا.. أنا آسف اني بقول كده بس انا بقول اللي اعرفه.

سأله حسن:

- وبعدين ؟

- مفيش.. هي لما اتغيرت كده وبقت تعاملني وحش جدًا ومتردش عليا ولا منتظمة في المدرسة والدروس فهمت انها عايزة تبعد فمحبتش اكون تقيل ومتطفل وقررت اني ابعد وجت لي فرصة الشغل دي كأنها هدية من السما في الوقت المناسب وبعدت فعلًا.

- يعني مشفتهاش فعلًا ولا تعرف عنها حاجة.. لو اكتشفت انك بتكذب عليا أنا هدمرك يا مصطفى.

- مش بكذب يا دكتور صدقني.

بكت نادين بشدة:

- يعني بنتى راحت فين؟.. هندور عليها فين وازاي؟

لم يستطع حسن الإجابة عليها.. لأنه بعد أن شعر أنه اقترب من الوصول للميس.. تبخَّر الأمل في العثور عليها وحل محله خوف وقلق ومحاولة للتفكير كيف سيجد لميس ومتى؟.. بل هل سيجدها أم أنها اختفت للأبد.

* * *

طوال طريق العودة للفندق لم ينبسا بكلمة.. القلق والتوتر هو المسيطر على كل منهما.. أوصل حسن نادين لغرفتها.. توقف أمام الباب:

- نادين .. انا هشوف عربية ترجعنا الصبح.. مش هنستنى لحد معاد أول طيارة.

- طبعًا.. بس هنعمل ايه وهندور فين؟

أجابها بحزن وقلة حيلة:

- مش عارف.. لو افترضنا صِدق مصطفى يبقى الموضوع أكبر من اني ادور عليها لوحدي.

- قصدك ايه؟

- لازم ابلغ بغيابها.. كلها ساعات والبنت تبقى بقالها 24 ساعة.. يعني يوم كامل منعرفش عنها حاجة.

رددت نادين باستنكار:

- نبلغ بغيابها؟!

- عندك حل تاني؟

صمتت لحظات تفكر:

- مش عارفة يا حسن.. بس لو بلغنا هتبقى فضايح.. وكمان هنبلغ نقول ايه؟

- مش مهم الفضايح واوعي تقولى انك خايفة على نفسك أكتر ما انتي خايفة على بنتك.

- لأ طبعا.. أهم حاجة عندي انها ترجع بالسلامة.. أنا بس قلقانة انها بنت ولما يتنشر خبر زي ده عنها هيبقى مش كويس على سمعتها بعدين.

- ميهمنيش غير بنتي واني اطمن عليها.

- معاك حق.. أنا مشوشة لدرجة اني مش عارفة افكر خالص.

فتح لها الباب وظلَّ واقفًا:

- ادخلى ارتاحى شوية .. إحنا تعبنا ومحدش عارف ايه اللي مستنينا الأيام الجاية.. ربنا يستر.

رددت خلفه وهي تدخل غرفتها:

- ربنا يستر.. تصبح على خير.

ابتسم لها مودعًا.. وأغلق الباب واتجه لغرفته.

* * *

- 17 -

بدت منى منهكة بعد قضائها الليلة والبارحة في المركز.. فبعد أن انتهت من إجراء الكشف على الحالات التي تتابعها والحالات التي تتبع حسن في وقت متأخر من الليل.. جاءت حالة ولادة تبعتها حالة أخرى مما جعلها طوال الليل تتابع الحالتين وإجراء العمليات تباعًا.

في الثامنة صباحًا.. قررت أن تعود إلى بيتها لتنال قسطًا من الراحة ثم تعود في الظهيرة لاستكمال عملها.

دخلت منزلها بهدوء.. اتجهت إلى غرفتها.. نظرت للسرير فلم تجد أسامة.

بدأت تغيير ملابسها عندما فُتح الباب فجأة.. فصرخت فزعًا.. فقال أسامة مفزوعًا هو الآخر:

- ايه يا منى.. خضتيني.

- انت رعبتني.. هوَّ انت هنا؟

- أيوة.. كنت في الحمام.. مسمعتش صوتك وانتي داخلة.

- دخلت بشويش عشان كنت فاكراك نايم.

- لا أنا صحيت بدرى عشان رايح مشوار قبل الشغل.

- مشوار ايه؟

تلعثم أسامة.. لم يرد اخبارها بالحقيقة وهو أنه على موعد لإجراء تحاليل جديدة طلبها منه طبيبه.. فأجابها وهو يبدِّل ملابسه:

- تبع الشغل.. انتي طمنيني مفيش جديد بخصوص لميس.؟

- لأ يا أسامة.. آخر مرة كلمت حسن كنا بالليل متأخر وقالِّي انهم ملقوهاش وهيرجعوا النهاردة.

- هتكون راحت فين.. بنت صغيرة زي دي ومامتها مالهاش قرايب وانتي كل قرايب باباها.. هتكون فين.

- مش عارفة.. يارب يلاقوها وتكون بخير.

- أنا حاسس انها عاملة القصة دي عشان تخليهم يهتموا بيها بعد ما حست ان كل واحد فيهم بقى له حياة جديدة.

- معقول!!

- ومش بعيد تكون عاملة كده للضغط عليهم عشان يرجعوا لبعض.

- معقول طفلة زي دي تفكيرها هيوصل لكده.

- طفلة ايه يا منى.. هما اطفال اليومين دول زينا زمان.

- والله ما عارفة اقولك ايه.. يمكن.

- هيَّ ترجع بعد ما تضغط عليهم.. وهما يرجعوا لبعض عشان بنتهم ويبقى اللي اتظلم في الليلة دي كلها.. أختي.

حاولت منى أن تبحث عن كلمات ترد بها على أسامة.. ولكنها لم تجد فقد وجدت تفسيره منطقيًا للغاية.

* * *

في الصباح.. بمجرد أن استيقظ حسن اتصل بنادين وأخبرها أن تستعد للمغادرة.. بعد أن أنهى مكالمته مع نادين اتصل بأماني.. أماني التي لم تنم ليلتها جيدًا من التفكير.. استيقظت على صوت رنين هاتفها.. وعندما وجدته حسن ردت بلهفة:

- حسن.

- صباح الخير يا أماني.

- صباح النور.. يااااه أنا مستنية مكالمتك دي من امبارح.. انت حتى مقلتليش انك مسافر.

- معلش يا أماني متزعليش.. أنا بمر بظرف صعب جدًا عمري ما تخيلت اني اكون في موقف زي ده.

- طمّني لقيتوها.

- لأ للأسف.

- هو مين قالك انها في الغردقة؟

- شكيت انها جت لحد معرفة كده بس ملقيناهاش.

- ونادين فين؟

- في أوضتها.. إحنا هنيجي القاهرة على طول.

- اطمن يا حسن ان شاءالله خير وهتلاقوها.

- يارب يا أماني.. ادعى لنا.

- ربنا يطمنك عليها.. أنا عايزة اطلب منك طلب.. ممكن؟

- اتفضلي.

- ممكن متنسانيش.

- ليه بتقولي كده.. أنا لو كنت نسيتك مكنتش كلمتك دلوقتي.. أنا كنت هكلمك لما رجعت بالليل بس كنا متأخر أوي فقلت أكيد نايمة ومحبتش اصحيكى.

- انا حاسة انك بمجرد ما بقيت مع نادين نستني.

- أنا مع نادين عشان بندوَّر على ليس مش أكتر من كده.

- بجد يا حسن.. عشان ليس بس؟

- أيوة.

- يعني مش عشان انت لسه بتحبها؟

- أماني.. احنا اتكلمنا في الموضوع ده قبل كده ومش وقته نعيده تاني.. سبق وقلت لك انا مش صغير ولما باخد قرار في حياتي بكون متأكد منه وقده.

- خلاص يا حسن أنا أسفة.

- متتأسفيش.. انا بس عايزك تستحمليني الفترة دي وتدعي لي من قلبك وتطمني.

- حاضر يا حسن.. ربنا يطمن قلبك.

- أنا هنزل دلوقتي.. مش عايزة حاجة؟

- عايزة سلامتك.. تيجي بالسلامة يارب.

- الله يسلمك.. مع السلامة.

أنهى حسن مكالمته مع أماني.. وغادر متجها لنادين ليصطحبها للعودة للقاهرة.

على الجانب الآخر.. بعد أن انهت أماني مكالمتها مع حسن شعرت بالسعادة من اهتمامه ومحاولته طمأنتها.

* * *

قبل وصول حسن ونادين للقاهرة بنصف ساعة.. رنَّ هاتف حسن

نظر في الشاشة فوجد رقم غير مسجل، سألته نادين:

- مين؟

- رقم غريب.. أكيد واحدة من اللي بيتابعوا عندي عايزة تسأل على حاجة.. مش فايق ارد دلوقتي.

ترك حسن الهاتف يدق حتى انتهى الاتصال

بعدها بثوانٍ معدودة.. رنَّ الهاتف مرة أخرى ولكن تلك المرة رسالة نصية

فتحها حسن.. ظل نظره مثبتا عليها لحظات.

لاحظت نادين نظرته المتجمدة من مرآة السيارة .. فسألته:

- مين؟

التفت لها بكامل جسده من المقعد الأمامي وناولها الهاتف.

قرأت نادين الرسالة.. كتمت فمها بيدها حتى لا تصرخ.. وانحدرت الدموع من عينيها وهي تنظر لحسن، فقد كانت الرسالة تحتوى على كلمات قليلة:

"بنتك بخير لحد دلوقتي.. المرة الجاية ابقى رد على أي رقم عشان هنتصل تاني.. لو بلَّغت اعتبرها ماتت.

مدَّ حسن يديه ليأخذ الهاتف منها مرة أخرى.. فسألته:

- هتعمل ايه؟

ردَّ وهو يتصل:

- بتصل بيهم.

كانت نظرات نادين مثبتة على حسن من خلال المرآة.. بينما كانت كل حواس حسن مثبتة في حاسة السمع منتظرًا سماع الاتصال

نظر لها محبطًا:

- غير متاح.

- وبعدين؟

- نوصل بس وربنا يحلها.. على الأقل اكون فكرت.

بعد وصولهما القاهرة.. سأله السائق:

- على فين؟

تردد حسن لحظات ثم أجاب:

- مديرية الأمن.

صرخت نادين وهي تبكي:

- لأ يا حسن.

نظر لهما السائق بفضول.. فعدل حسن وجهته لمنزل نادين.

توقفت السيارة أمام العمارة التي تسكن بها نادين.. ترجلا من السيارة وكانت نادين مازالت تبكي.

- نادين.. لو عايزة تطلعي تستنيني في البيت خليكي.. إنما لازم ابلغ.. البنت مبقتش مجرد غايبة عن البيت ممكن نقول انها سايبة البيت بإرادتها.. الأمور بقت واضحة.. لميس مخطوفة.

بكت نادين بشدة وحاولت أن تثنيه عن قراره:

- والتهديد واضح.. أنا خايفة.. خايفة يعملوا فيها حاجة لو عرفوا اننا بلَّغنا.

بدأ المارة في الالتفات؛ فضولًا.. فبادر حسن:

- مش هينفع نقف كده في الشارع يا نادين.. الناس بتبص علينا.

تقدمها بخطوات وتبعته ليكملا حديثهما في بوابة العمارة.. هرول إليهما البواب .. وكان آخر ما ينقصهما مقاطعة الحديث الدائر بينهما.

البواب: أهلًا أهلًا.. ازيك يا دكتور.

ردَّ حسن التحية وهو يرسم ابتسامة ودودة لتخفي حزنه.. تقدمهم البواب نحو الأسانسير وفتح الباب

- اتفضلوا.

تقدمت نادين ودخلت الأسانسير.

- تعالى يا حسن نكمل كلامنا فوق.

لحظة دخول حسن المنزل.. وقف مترددًا قليلًا، فقد اجتاحه الحنين وتذكر سنوات السعادة والاستقرار.

لاحظت نادين تردده.. استنتجت أنه لا يود البقاء معها بمفردهما مسحت دموعها وسألته:

- إيه يا حسن.. هتفضل واقف على الباب كتير؟

ونادت بصوت مرتفع نسبيًا:

- حمييدة.

جاءتها حميدة مهرولة.. وهي تنظر لهما:

- ازيك يا دكتور.. لميس فين؟

دخل حسن وأغلق الباب خلفه.. بينما ردت نادين ببكائها فلم تستطع الرد على حميدة.. فردَّ حسن:

- ادعى لها ترجع بالسلامة.

- يعني لسه ملقيتوهاش؟

جاوبتها نادين وهي مازالت تبكي:

- لميس اتخطفت.

دبت حميدة في صدرها:

- ياالاهوي.. اتخطفت.. ومين اللي خطفها؟

نادين. منعرفش.

قاطعهما حسن:

- حميدة، لو سمحتي ممكن تعمليلي قهوة مظبوطة.

- حاضر.

عادت حميدة للمطبخ مرة أخرى.. بينما همس حسن:

- إهدي كده يا نادين وتماسكي شوية عشان نعرف نتصرف صح.. أولًا بلاش نقول لكل اللي نعرفهم ان لميس اتخطفت.. لما نبلغ ونشوف المباحث هتقولنا ايه.

- انت مصمم تبلَّغ.. انت مش خايف عليها.

- خايف.. وعلشان خايف مينفعش اسيبها كده.

- طيب نستنى ونشوف عايزين ايه؟

- أستنى!! وانا مش عارف بنتي فين وبين إيدين مين وممكن يعمل فيها ايه.

- ما احنا لو بلغنا هنضمن منين انهم ميعملوش حاجة.. وهنضمن منين ان المباحث ترجعهالنا سليمة.. أنا خايفة يا حسن.. دلوقتي مبقاش فيه أي رادع للإجرام.. يعني المفروض نسكت عشان خاطرها.

- مش مقتنع يا نادين.. ومش هفضل ساكت وقاعد متستني لما مجرمين زي دول يحنوا عليا ويكلموني يقولولي عايزين ايه؟

- هيكون عايزين ايه يعني.. أكيد زي كل جرايم الخطف المنتشرة دلوقتي.. سمعت عن حد فيهم اتمسك؟

- يعني اساعدهم.. أدفعلهم واسكت عشان يروحوا يخطفوا تاني وتالت ورابع.

- لأ.. نبلَّغ ونضحى ببنتنا عشان نبقى أبطال وننقذ ناس تانية منعرفهاش.. أنا ميهمنيش حد إلا بنتي.

دخلت حميدة بالقهوة.. قدمتها لحسن:

تناولها وهو يشكرها.. بعد أن عادت للمطبخ، قال حسن حاسمًا:

- أنا هروح ابلغ يا نادين.. وان شاءالله يقدروا يرجعوها.. وبعدين احتمال الخاطفين ميعرفوش اننا بلَّغنا.. بصي انا هكلم طارق متولي وهروح ابلَّغ واللي ربنا رايدُه يكون.

نهض واقفًا دون أن يحتسي قهوته.. هبت نادين خلفه:

- طيب استنى.. أنا جاية معاك.. ربنا يستر.

* * *

بعد اتصال حسن بمحاميه - الذي طلب أن يحضر حسن ونادين إليه أولًا في المحكمة - ذهب ثلاثتهم لمديرية الأمن للإبلاغ عن اختفاء ليس.. في البداية طلب المحامي مقابلة اللواء أشرف صالح قريب زوجته حتى يتم الاهتمام بالبلاغ في وقت انتشرت فيه قضايا الخطف دون أن تصل المباحث للخاطفين .

استدعى العميد أشرف، الرائد تامر ضابط مباحث مدينة نصر والمعروف بكفاءته في عمله وكان يعمل تحت رئاسة اللواء أشرف في فترة سابقة وتربطهما معرفة شخصية قوية.. طلب منه الاهتمام بتلك القضية ومحاولة حلها في أقصى سرعة.

طلب تامر من حسن ونادين قص ما حدث بالتفصيل، فحكيا تفاصيل الأمس لحظة بلحظة حتى وصلوا لمديرية الأمن.

تامر مفكرًا:

- ومحدش اتصل تاني؟

جاوبه حسن:

- لا.

- عموما احنا هندور ورا الرقم اللي بعت الرسالة ولو اني متأكد انه غير مسجل وهنحط تليفون حضرتك والمدام تحت المراقبة يمكن نقدر نوصل لمكان الخاطف لو اتصل تاني.

- مفيش مشكلة.. المهم نوصل.

- ممكن اشوف الرسالة تاني؟

تناول الهاتف من حسن وظل ينظر للرسالة لفترة ثم أعطاه لحسن مرة أخرى.

- أكيد هيتصل تاني عشان يطلبوا الفدية ياريت أي تليفون ييجي ترد وتجاريهم في الكلام وتطوِل في المكالمة على قد ما تقدر.. وطبعًا تطلب انك تكلم بنتك وتتأكد انها عايشة.

- تفتكر حضرتك تهديدهم صريح وممكن يعملوا حاجة في البنت لاننا بلغنا.

- احتياطى حضراتكم متجوش المديرية تاني.. ممكن نتقابل بره أو اجي لحضراتكم لأن فيه احتمال يكونوا مراقبينكم.. ومتقولوش لحد انكم بلغتم.

- وهنعمل ايه دلوقتي؟

- حضراتكم هتتفضَّلوا ترجعوا بيتكم ونستنى الخطوة الجاية من الخاطفين لأننا لحد دلوقتى مفيش أي خيط نمشي وراه.

قالت نادين باستنكار:

- هو ده اللي هتعملوه!!

- يا مدام احنا هنعمل تحرياتنا وهنستجوب مصطفى.. وأكيد مش هتكونوا معانا في شغلنا.. فلو سمحتوا ترجعوا لحياتكم عادي وأي جديد أو اتصال ييجي لكم تتصلوا بيا على طول.

أعطى تامر لكل من حسن ونادين وطارق كارت يحتوي على أرقام هواتف المحمول والمكتب والمنزل.

تركهما طارق بعد أن أكد عليهما أن يخبراه بكل جديد.. قلقه الحقيقي ليس نابعًا من كونه محاميًا حسن بل كونه صديقه لسنوات تمتد لأكثر من عشرة.

بعد مغادرة طارق.. وقف حسن أمام سيارة نادين:

- نادين.. روَّحي انتي وانا هاخد تاكسى واروح المركز.

- المركز!! يعني خلاص كل حاجة هترجع لطبيعتها ولا كأن فيه حاجة حصلت.

- عايزاني اعمل ايه؟

- أبدًا.. خلاص روح اشتغل زي ما انت بتعمل طول عمرك.. شغلك أهم من أي حاجة في الدنيا حتى بنتك.

- المفروض اقعد على باب مكتب الظابط.. أو امسك في ديله وأقوله خدنى معاك وانت بتعمل تحرياتك.

- انت بتتريق يا حسن.

- انتي شايفة ايه؟؟.. ولو على حكاية اني بحب شغلي أكتر منها.. أنا لما عرفت انها مرجعتش سبت شغلي وكل اللي ورايا عشان ادوَّر عليها.. دلوقتي في إيدي إيه اعمله؟

ردَّت نادين وهي تركب سيارتها:

- لا ولا حاجة.. أصلا كل اللي احنا فيه ده بسببك.

صفعته بكلمتها التي لم يفهم مغزاها.. فركب بجوارها:

- بتقولي ايه.. أنا السبب في ايه؟

بكت نادين ولم تجب.. فكرر سؤاله مرة أخرى:

أجابته وهي تبكي:

- كل المصايب دي حصلت من بعد ما سبنا بعض.. لميس اتغيرت مبقتش هي.. رمت نفسها في أول شِباك اتنسجت حواليها.. شِباك مصطفى اللي الله أعلم استغلها ازاي.. اكتئبت واتغيرت ومستواها اتبدل بعد ما كانت من المتفوقين مبقتش حتى تروح المدرسة.. اتخطفت مننا عشان بقت لوحدها مفيش حد يحميها.

ابتسم حسن ساخرًا:

- انا اللي عملت كل ده!! انتي مصدقة نفسك.. شكلك نسيتي يا نادين ان انتي اللي فجأة طلعت في دماغك ترجعي تمثّلي.. انتي اللي هدِّيتى البيت عشان نفسك.. انتي اللي أهملتي بنتك ومكنتيش دريانة بيها وهيَّ معاكي.

- أنا مغلطتش لما طلبت ارجع اشتغل تاني واحس بوجودى اللي محدش كان حاسس بيه.. ولو نفرض اني غلطت.. فين احتوائك ليا.. انت بكل بساطة هددتني بالطلاق.

- أنا مهددتكيش.. أنا خيرتك.

- خيرتنى ظاهريًا وانت تقصد تهددنى عشان اتراجع.

ردَّ حسن بضيق:

- انتي شايفة ان ده وقت الكلام ده؟؟ خلاص اللي حصل حصل ومفيش مجال للعتاب ولا اللوم.. لو حصل جديد هبقى اكلمك ولو حد اتصل بيكى ابقى كلميني.. .سلام.

ترجل من السيارة وتركها.. . أوقف سيارة تاكسي وركب واختفى من أمام ناظريها.. أرادت أن تصرخ.. ولكنها كظمت غيظها وقادت سيارتها بسرعة كبيرة عائدة إلى بيتها.

* * *

استيقظت نادين على رنين هاتفها الذي سمعته وهي تحلم.. مدت يديها وتناولته وأجابت دون أن تنظر في اسم المتصل:

- آلو.

أتاها صوت مجدي:

- انتي نايمة؟!

اعتدلت وهي تجلس وتنظر في الساعة لتجدها التاسعة مساءً:

- احنا بقينا بالليل!! أنا محسيتش نمت قد ايه؟

- هيَّ لميس رجعت؟

- لأ.. من امبارح منمتش إلا كام ساعة في الفندق وطول اليوم بره.

- فندق ايه؟

- اه صحيح أنا محكيتلكش.. احنا روحنا الغردقة امبارح ندور على لميس وملقيناهاش ورجعنا...

قاطعها مجدي:

- سافرتي الغردقة امبارح!!

- اه.

- وانا معرفش؟

ردَّت بضيق:

- أنا ف ايه ولا ف ايه يا مجدي.

- يعني ايه؟

- يعني من ساعة ما بنتي اتخطفت وانا حاسة اني فاقدة الوعي والتركيز.

- عرفتى منين انها اتخطفت.. يمكن متضايقة من حاجة وسابت البيت؟

- جت رسالة لحسن من ناس بيهددونا.. يعني مخطوفة.

- بصي يا نادين.. واضح ان فيه حاجات كتير بعرفها بالصدفة.. أنا من امبارح وانا بقول هي هتكلمني ومتصلتش عشان عارف ان ابو بنتك معاكي وكنت مقدر التوتر اللي انتوا فيه ومحبتش اني ازوده.. انما الواضح ان انا لوحدي اللي براعي شعور غيري ومحدش بيراعي الأصول ولا مشاعري.

- قصدك ايه.. انا مش ناقصة.

- قصدي ان أنا مش هزود همك دلوقتي خالص وهسيبك براحتك لحد ما الغُمة دي تنزاح وبعدها هيكون لينا كلام مع بعض.

- كلام ايه؟

- بعدين.. بعدين هنتكلم ونحط النقط على الحروف.

ردت بضيق من لهجته وضيق من وجوده في حياتها كخطيب وزوج المستقبل القريب.

- طيب يا مجدي.. اللي تشوفه.. مع السلامة.

أغلقت هاتفها وألقته بجوارها.. نظرت لدبلتها وخلعتها وهي تردد: يارب يكون قصده اللي فهمته.

تناولت هاتفها مرة أخرى واتصلت بحسن.

* * *

لم يستطع حسن التركيز في عمله فقد كانت عيناه طوال الوقت معلَّقة بالهاتف

عندما رأت منى حالته تلك أخبرته انها باستطاعتها حل محله اليوم وعليه أن يذهب لبيته ويرتاح .

بالفعل ذهب لبيته.. أخذ حمامًا ساخنًا وتمدد على فراشه محاولًا الخلود للنوم، ولكن أقضّ الهم مضجعه .

جلس في الشرفة يحتسي كوبًا من القهوة محاوِلًا أن يقرأ.. ولكن في كل صفحة كانت تظهر له لميس تُضرَب تارة أو عطشى تارة أخرى.. أو وهي تقاوم شخصًا ما يحاول الاعتداء عليها.. أغلق الكتاب الذي بيده وذهب فتوضأ ووقف يصلي واختلطت دموعه بدعواته وهو ساجد يدعو أن تعود لميس سالمة.

بمجرد أن انتهى من صلاته.. رنَّ هاتفه، فأسرع متلهفًا وردَّ:

- نادين.. خير فيه جديد؟

- أنا اللي بتصل بيك اسألك فيه جديد.

- للآسف مفيش.

- وبعدين هنفضل كده؟

- ربنا يستر.

- والظابط مكلمكش؟

- لا.

- طيب مش هتكلمه؟

- احنا سايبينه العصر ملحقش يعرف حاجة في الكام ساعة دول.

- انت بتقفل معايا في الكلام كده ليه؟ أنا هتجنن وانا قاعدة في البيت ولميس مش فيه.

- مش بقفل معاكي ولا حاجة.. انا بجد مش لاقى كلام اقوله.. التفكير هيموّتِني وانا متكتف ومش في ايدى حاجة اعملها.

- انت فين؟ في المركز.

- لأ.. معرفتش اشتغل سبت المركز وجيت البيت.

ردَّت نادين بضيق:

- طيب يا حسن.. لو حصل أي جديد ابقى كلمني.

- نادين.. انتي عايزة تقولى حاجة؟

تعجبت نادين من فهمه لها بهذه الصورة رغم البعد.. كانت تود أن تخبره انها تريد أن يمضيا الوقت الثقيل في انتظار ما يطمأنهما على لميس معًا.. ليخففا عن بعضهما البعض وليهونا مصيبتهما، لكنها خجلت وتراجعت وأجابته:

- لأ مفيش حاجة.. مع السلامة.

تردد قليلًا.. فقد كان في أمسّ الحاجة لأن يبقيا معًا.. فلن يشعر به غيرها ولن يشعر بها غيره.. كاد أن يطلب لقاءها حالًا.. ولكنه رد قبل أن يغلق الخط:

- مع السلامة.

جلس يفكر في حنينه وحبه لنادين الذي استطاع خلال الشهور الماضية أن يطويه في جانب بعيد من قلبه وانخرط متعمدًا في الانشغال بعمله ووجود أماني في حياته.

تعوَّد بالفعل على حياته الجديدة.. إذن ماهذا الشعور الذي يشعر به الآن.. لم ينطوِ حب نادين كما اعتقد.. بل مازال يحبها.. يسأل نفسه هل كان مخطئًا حين وضعها أمام الاختيار الصعب.. هو أو عملها.. هل هو المسئول الحقيقي عم آلت إليه الأمور؟ هل كان من المفترض أن يحتويها ويتقبل عملها كما تتقبل انشغاله عنها وكما تقبلت أن تضحي من قبل.. رده على نفسه كان حاسمًا.. لا أتقبَّل.. لا أستطيع.

* * *

في اليوم التالي.. ارتدت نادين ملابسها على عجل بعدما تلقت اتصال من حسن يطلب منها الحضور في أسرع وقت فالرائد تامر في الطريق إليه في المركز وطلب وجودهما معًا.

وصلت لمكتب حسن.. استقبلتها إحدى الممرضات بحفاوة وأوصلتها حتى مكتب حسن، وجدت منى وتامر وحسن فحيتهم وهي لازالت على الباب:

- صباح الخير.

نهضت منى تصافحها وتقبِّلها.. ردت نادين ببرود فقد كانت عيناها تحمل الكثير من العتاب ولكنها آثرت الصمت.

قال حسن:

- اتفضلي يا نادين.

جلست.. وجلست منى.. وجَّه تامر حديثه إليها:

- مدام نادين.. انتي صرَّحتي بأي حاجة بخصوص لميس؟

- صرَّحت لمين.. أنا من ساعة اللي حصل متكلمتش مع حد في الموضوع ده.. ليه؟

مدَّ حسن يده لنادين بجريدة صباحية مطوية على صفحة الحوادث، وجدت نادين صورتها فتناولت الجريدة بلهفة وهي تقرأ العنوان: "خطف نجلة الممثلة نادين.. والنجمة تتهم طليقها".

ألقت نادين الجريدة على الطاولة الصغيرة وهي تردد:

- إيه الكلام الفارغ ده.. مين اللي كتب كده؟

سألها تامر:

- يعني حضرتك مقلتيش لحد انها مخطوفة وانك بتتهمي الدكتور.

- لأ طبعا.. أنا مش عارفة بيجيبوا الكلام ده منين؟

ردحسن ساخرًا:

- ضريبة الشهرة يا نجمة.. بس المرة دي طالتني.

توترت نادين.. وأرادت منى أن تخفف حدة التوتر أو تتدخل لعدم تطرق حسن لأمور لا تهم.. استطاع تامر أن يغير دفة الحديث:

- ما علينا.. هو الخبر بالشكل ده ميأثرش علينا في حاجة.

سأله حسن:

- تفتكر ممكن ينفِّذوا التهديد بعد ما عرفوا اننا بلَّغنا؟

- الخبر لو شافوه مفيش فيه أي كلام عن رسالة التهديد أو ان فيه بحث عن خاطفين.. واضح ان الخبر مفبرك من أوله لآخره كله بيتكلم عن ان المدام بتتهم حضرتك بخطف بنتها وشوية كلام عنها وعنك .. يعني اللي كتب الخبر يدوب بس يعرف اختفاء البنت مش أكتر.

حسن موجها حديثه لنادين بنظرة حادة:

- مين اللي وصَّل الخبر للصحافة.. محدش يعرف غيرنا وغير الأستاذ بتاعك.

كانت شكوك نادين تحوم حول مجدى بالفعل ولكنها لم تُصرّحِ بذلك.. خاصة حين واجهها حسن بشكوكه هو الآخر.. حاولت الدفاع ولكنها صمتت.

قال تامر:

- برضه مش ده اللي انا جاى لكم فيه.. مصطفى من امبارح رجالتنا في الغردقة بتستجوبه واتأكدوا انه فعلًا قاطع علاقته بلميس من فترة قريبة.. هي حميدة عندكم من امتى؟

انتبهت نادين مع ذكر اسم حميدة.. ونظرت لحسن الذي سأل تامر على الفور:

- حميدة!! ليه بتسأل عنها؟

- من فضلك يا دكتور جاوبني.. انطباعكم عنها ايه وبقالكم قد ايه تعرفوها وعرفتوها ازاي؟

ردَّت نادين:

- حميدة كويسة أمينة ونضيفة وملتزمة بس عيبها انها رغاية شوية وبتتدخل في اللي ميخصهاش.. عندي بقالها 6 شهور تقريبًا.

- مقيمة معاكي في البيت؟

- لأ.. بتيجي 8 الصبح وتمشي 10 بالليل وساعات بتستأذن لما تكون هتتأخر أو تمشي بدري.. بس النهارده مجتش ولا اتصلت ولما اتصلت بيها لقيت تليفونها مقفول.

ردَّ حسن:

- أنا جبتها عن طريق اختها.. اختها عاملة هنا من أول ما فتحت المركز يعني داخلين على 4 سنين وسمعتها كويسة.. إشمعنى حميدة اللي سألت عليها وغيابها اللي نادين بتقول عليه ده صدفة!!! هي ليها علاقة بحاجة؟

- حميدة عندنا من الصبح.. تحرياتنا بتقول ان جوزها بيمر بضائقة مالية يمكن يكونوا رتبوا مع بعض لخطف ليس وطلب الفدية.. بس الحقيقة مفيش أي حاجة مؤكدة ضدها.

قالت نادين بتعجب:

معقول ممكن تكون هيَّ؟ أنا عمرى ما أخَّرت عنها حاجة ولو كانت طلبت منِّي فلوس مكنتش هتأخر عنها.

- احتمال وارد يكون ليها علاقة انما مش أكيد.. أنا عايز اعرف ليكم خلافات مع حد؟

ردَّ حسن:

خلافات ايه اللي ممكن توصل لخطف بنتنا.. أي خلاف بيننا وبين أي حد أكيد هيكون بسيط لا يتطرق أبدًا للخطف والتهديد.

تامر. معلش يا دكتور.. احنا لازم نحط في اعتبارنا كل الاحتمالات ومن ضمن الاحتمالات دي ان يكون الخطف للانتقام.

منى التي كانت شديدة التركيز في كل كلمة تقال.. نطقت فجأة:

- الحادثة.. الست اللي اتوفت في العملية ياحسن.. أهلها يومها هددوا كتير.

ردَّ حسن:

- الكلام ده فات عليه وقت طويل.

- بس بعد اللي عرفناه وان طول الفترة اللي فاتت كان مصطفى مع لميس بيوصَّلها في كل حتة يعني لو حد كان عايز يخطفها مكنش هيلاقيها لوحدها.. ومبقتش لوحدها غير الفترة الأخيرة اللي بعد ما مصطفى ساب الشغل.

كان تامر يتابع حديثهما بتركيز شديد.. قاطعهما:

- حادثة ايه؟ التفاصيل يا دكتور لو سمحت.

- في شهر 9 اللي فات كنت بعمل عملية قيصرية والست توفت فجأة.. أه أهلها عملوا ضجة كبيرة وبلَّغوا النيابة واتحقق معايا بس تم إخلاء سبيلي والطب الشرعي أثبت انها غلطة تخدير.

تدخلت مى قائلة:

- مختار دكتور التخدير اتورط في القضية دي.. هواتخانق مع حسن لما عرف ان حسن جاب سيرته في التحقيقات ولما تقرير الطب الشرعي طلع اتحبس.

تامر باهتمام:

- هو لسه محبوس؟

منى وحسن يتبادلان النظرات ثم يجيب حسن:

- لأ.. خرج والقضية مازالت في المحكمة لسه متحكمش فيها.

ثم قالت منه:

- وبعد ماكان من الدكاترة المطلوبين ومش ملاحق على الشغل، حاليًا كل الدكاترة خايفة تتعامل معاه.

ردَّ تامر:

- وده سبب كافي للانتقام.

حسن متشكك:

- بس ده دكتور مش مجرم.

ردَّ تامر:

- والله يا دكتور ما بتفرق.. ومتعرفش لما اتحبس ممكن يكون قابل مين واتصاحب على مين ولا تفكيره اتغير ازاي.

قالت نادين:

- وقت القضية دي حسن مكنش متمالك أعصابه واحتمال يكون قال أي حاجة للدكتور ده خلته عايز ينتقم.

ردد حسن متذكرًا:

- وقتها فعلا كانت أعصابي بايظة واللي اتظلمت في الموضوع ده أم خالد.

سأل تامر:

- مين أم خالد؟

- اللي كانت عندنا قبل حميدة.

- ومشيت ليه؟

نادين بنفس النظرة الحادة المؤنبة التي وجهها لها حسن قبل قليل:

- حسن طردها بخناقة من غير أي سبب.

ردَّ حسن مدافعًا عن نفسه:

- أنا يومها كانت أعصابي تعبانة وهيَّ ردت عليا فمستحملتش مع إن ده مش طبعي ودايمًا بتحكم في أعصابي بس اليوم ده كان صعب أوي عليا.. وبعدين بعدها نادين راحت اعتذرت لها وطلبت منها ترجع الشغل تاني وهيَّ اللي رفضت.

نادين بعد أن استنتجت شك تامر في أم خالد:

- بس ام خالد استحالة تفكر تأذينا.. دي معايا من أول ما اتجوزت وهيَّ اللي مربية لميس واستحالة تعمل كده.

ردَّ تامر:

- مدام نادين.. مفيش حد فوق الشبهات.. في أي حد تاني على خلاف معاكم.. أرجوكم افتكروا.. احنا في حكاية واحدة ظهر عندنا أكتر من مشتبه فيه.

تبادل الثلاثة حسن ومنى ونادين النظرات محاولين التذكر.. بعد دقائق قليلة ردَّ حسن:

- مش فاكر أي حاجة تانية.

- أي وقت تفتكروا أي حاجة.. حتى لو خلاف بسيط مع حد أو أي حد تشكوا فيه أو أي مكالمة تجيلكم.. بلغُّوني فورًا.. أي وقت.

غادر تامر المكتب.. بعدها جلس الثلاثة يصاحبهم الصمت.. نهضت منى:

- ان شاءالله يقدر يلاقيها بسرعة.. اطمنوا.

لم ترد نادين وكأنها لم تسمع تعليق منى.. ردد حسن:

- ان شاءالله.

قالت منى:

- أنا همشي يا حسن وهرجع بالليل.

ردَّ عليها حسن:

- ماشي يا منى.. مع السلامة.

غادرت منى المكتب.. عاد حسن للجلوس خلف مكتبه.. اضطرت نادين أن تترك حسن لعمله بعد أن فشلت في إيجاد سبب تطيل به مدة وجودها معه.. فقالت وهي واقفة أمام مكتبه:

- أنا أسفة يا حسن عشان سيرتك جت في الجرايد بالشكل ده وانا هتصل بيهم واشوف مين اللي كتب...

قاطعها حسن:

- ولا تتصلي ولا تتكلمي.. بس هو ده اللي كنت عامل حسابه ومش عايزُه.. أنا لما خيَّرتك بين حياتنا مع بعض وبين شغلك ده لأني كنت عامل حساب موقف زي ده.. الإشاعات والكلام والنميمة اللي بتكون في الوسط بتاعكوا وكلام الجرايد والفبركة وكل واحد يزود من عنده كلمتين مكنتش عايزها تحصل ولا عايز اسمي واسم مراتي وبنتي يكون عُرضة لكده.. مش أنانية ولا تسلط زي ما انتي قلتي.

ترقرقت الدموع في عيني نادين.. وشعرت كأنها تلميذة تقف أمام معلمها يوبخها.. لم تغضب منه بل صدقته:

- انا أسفة يا حسن.

- اللي حصل حصل خلاص.. المهم اللي جاي.

كلماته الأخيرة اعطت لها الأمل..

- أنا هصلَّح الغلط اللي غلطته.. في أسرع وقت.

قالت جملتها الأخيرة واتجهت صوب الباب.. لم يفهم حسن مقصدها.. تمنى لو أن الأيام عادت للخلف مرة مرة أخرى وتخلت نادين عن اختيارها واختارت أي عمل آخر.. مغادرتها المسرعة لم تتح لحس سؤالها عم تنوى فِعله.

اضطر حسن أن يجمع كل ما لديه من تركيز لمزاولة عمله اليوم.. أو على الأقل حتى تعود منى في المساء.

* * *

بعد نزول نادين من المركز.. ظلت تبكي طوال الطريق وكانت تعتزم تصحيح أخطاء أدركتها مؤخرة. توقفت أمام بائع جرائد ونظرت في المرآة لتتأكد أن نظارتها السوداء تحجب رؤية عينيها الدامعتين.. اشترت نسخة من الجريدة التي كتبت خبر خطف لميس واتصلت بمجدي.. كلماتها كانت مقتضبة ومباشرة:

- مجدي انت فين؟ أنا جاية لك.. لما اجي هتعرف.. مع السلامة.

وصلت مكتب مجدي، كان الباب مواربًا وسكرتيرته موجودة وبعض الممثلين المغمورين.. دخلت مباشرة على المكتب دون أن توجه تحيَّة لأحد الموجودين.

استقبلها مجدي بابتسامة مصطنعة:

- أهلًا يا نادين.. مالك؟

ألقت أمامه الجريدة بعد أن فتحتها على الخبر وسألته:

- ليه كده؟

تناول الجريدة وقرأ الخبر:

- ليه ايه؟ ايه علاقتي بالخبر ده؟

- والله؟؟ مين يعرف غيرك يا مجدي ومين مصلحته ان العلاقة تتوتر بيني وبين حسن؟

ابتسم ساخرًا:

- آآآه حسن.. هو مش المفروض ان العلاقة بينك وبينه مقتصرة على لميس بس.

- والخبر ده ووجودى معاه بخصوص مين.. مش لميس.

- متحاوليش تكذبي عليا ولا على نفسك.. انتي كل تصرفاتك بتقول انك لسه بتحبيه وبتعمليله ألف حساب وده اللي جابك عندْي بعد ما كنتى نسياني حتى بمكالمة تليفون من لحظة ما بقيتي معاه.. أنا لا صغير ولا اهبل عشان مبقاش فاهم انك وافقتي عليا عشان تغيظيه.. أنا في الأول مفهمتش وصدقت انك مقتنعة بيا.. تخيلي يا نادين افضل احبك كل السنين دي ولما أقرب منك بجد واقول خلاص حلم عمرى اتحقق وهنفضل مع بعض على طول ألاقي نفسي كنت غلطان وكنت موهوم بحبك عشان بعيدة.. والحمدلله اني اكتشفت الحقيقة بدري.

وقفت نادين غير مصدقة ما تسمعه.. مجدي يواجهها بالحقيقة التي تحاول إنكارها على الأقل تنكرها أمامه.. هاهو يقرأ افكارها ويفضح مشاعرها الخفية.. نسيت تمامًا الكلام الكثير الذي أعدته مسبقًا وظلت متجمدة كالثلج.. وأردف قائلًا:

- وعمومًا أنا مليش دعوة بالخبر اللي اتنشر ده.

تناول هاتفه حين جلست تحاول جمع شتات أفكارها:

فتح مجدى السماعة الخارجية لهاتفه ووضعه على المكتب لتسمع نادين المكالمة التي لا تعرف من هو الطرف الآخر، سمعت الآخر يرد:

- مجدي.. عاش من سمع صوتك فينك.

- ازيك يا هشام.. معلش سامحني اني مقصر معاك.

- ولا يهمك أنا عارف انك مشغول.

- بقولك يا هشام.. صفحة الحوادث عندك نشرت خبر يخص نادين.. مين اللي كتب الخبر ده ؟

- ده صحفي جديد.. ليه؟

- الخبر مش صحيح.. هو جاب الكلام ده منين؟

- انا النهارده لما قرات الخبر سألته واتأكدت منه ان الخبر صحيح.. هو مقالش مين مصدره بالظبط.. بس المصدر من الداخلية.

- ماشي يا هشام.. ابقي خليني اشوفك.

- إن شاءالله.. إيه اخبار الفيلم الجديد.. ابقى قولي على أول يوم تصوير.

- احتمال يتأجل شوية.. هبقى اعرفَّك لو فيه جديد.. سلام.

أنهى مجدي مكالمته ونظر لنادين:

- هاا.. سمعتي؟

ردت بتردد:

- مش يمكن انت اتفقت معاه؟

صرخ فيها مجدي:

- زودتيها أوي يا نادين.

نظرت له غير مصدقة صوته المرتفع جدًا والذي وصل للموجودين بالخارج.. ردت بصوت منخفض ليخفض صوته:

- فيه ناس بره.

- ميهمنيش حد.. انتي بجد زودتيها وانا ساكت ساكت بس خلاص فاض بيا منك.. . نادين احنا مش هينفع...

قاطعته نادين وهي تبتسم ساخرة:

- متكملش.. ده اللي انا كنت ناوية اقولهولك فعلًا.. وعارف عشان بس تعرف قيمتك عندي.. أنا محبيتش ولا بحب غير حسن.. انت كنت عزيز عليا أوي يا مجدي بس للأسف أنا دلوقتي بحتقرك جدًا.. انت دخلت حياتي وخربت بيتي عشان مصلحتك.

- لأ.. استني ومتخلطيش الأمور ببعضها.. شغلك انتي استفادتي منه أكتر منّي.. انتي مجرد ما قلتلك فيه شغل سبتي الدنيا وجيتي.. يعني مكنتيش راضية بحياتك وما صدقتي ترجعى للشهرة والأضواء تاني.

صُدمت نادين.. ففي الشهور الماضية تلقت العديد من الصدمات ومازالت تتلقاها.. صدمات كانت في غنى عنها عندما كانت تعيش في سكينة، حاولت الرد لتضمد جرح كرامتها..

- أنا هعتذر عن الفيلم.. مش عايزة اشتغل معاك تاني.

غادرت قبل أن يرد عليها.. ظلت العيون تحدق بها، ولكنها تجاوزتهم مسرعة.

* * *

- 18 -

في منزلها.. شعرت نادين بالوحدة الشديدة والخراب حولها في كل مكان رغم أن كل شيء مرتب ونظيف كالعادة.. فلايوجد أي تغيير ملحوظ ولكنها تراه بوضوح .. طافت بكل ارجاء المنزل.. جلست في كل مكان ولكنها كانت تنتفض من لدغة الوحشة والصمت.. قاومت كثيرًا لساعات متصلة كانت فيها فريسة لأفكارها.. انهارت مقاومتها في بداية المساء.. واتصلت بحسن.

استقبل حسن مكالمتها أثناء الكشف.. فردَّ بكلام مختصر، بمجرد أن سمع صوتها:

- إيه الأخبار.. حد اتصل بيكي.

- لأ.. انا عايزة اتكلم معاك ضروري.

صوتها كان مختنق بالبكاء.. فأجابها حسن:

- اديني 5 دقايق اخلص الكشف واكلمك.

- كلمنى يا حسن.. اوعى تنساني في زحمة شغلك.

صوتها المليء بالتوسُّل.. كان سببًا أساسيًا في أن ينهي حسن الكشف بسرعة على غير عادته.. وبعد أقل من الخمس دقائق اتصل بها:

- مالك يا نادين؟

انفجرت باكية:

- هموت يا حسن.. البيت من غيركم وحش أوي.. حاسة كأن الحيطان بتطبق على نفسي وتخنقني.

- اهدي يا نادين وصلِّي على النبي.. إن شاءالله ميس هترجع بالسلامة.

- هترجع.. إن شاءالله هترجع.. وانت يا حسن؟

تفاجأ حسن من سؤالها:

- أنا ايه؟

- ترجعلنا.. أنا غلطت عارفة اني غلطت لما اخترت الشغل وانا بحبك.. أنا لسه بحبك يا حسن ومبقتش قادرة استحمل اللي احنا فيه ده.

- نادين.. الكلام ده فات أوانه خلاص.. كل واحد فينا دلوقتي بيبدأ حياة جديدة.

- انا مينفعش يكون لي حياة مع حد غيرك.. أنا اتخطبت لمجدي عشان اغيظك بس كنت غبية لما عملت كده.. أنا خلاص سبت مجدي.

- وانا خاطب أماني.

- مين أماني دي اللي بتفكر فيها دلوقتى.. انت بتقارن حبك ليا بخطوبتك ليها.. بتقارن حب السنين وعشرة العمر بأسبوعين تلاتة خطوبة من غير حب.

بدأ حسن بالتأثر والحنين.. فأجابها:

- هيَّ مالهاش ذنب في اللي حصل يا نادين.. انتي غلطتي لما عاندتي وانا كمان مش بعفي نفسي من الغلط.. انا كمان كان المفروض اتصرف بحكمة أكتر من كده.. مكنش ينفع كل اللي حصل بس دلوقتى خلاص.. مش هقدر اروح أقول لأماني وبعد ماخلاص كانت بتجهِّز لكل حاجة.. خلاص كده شكرًا أنا هرجع لمراتي وانتي

دورك انتهى.. مقدرش اظلمها وانا عندي بنت ميرضنيش ان حد يلعب بمشاعرها ويسيبها فجأة.

ذرفت نادين الكثير من الدموع بدون كلام.. فأكثر ما آلمها أن يتحدث حبيبها بكل هذا الاهتمام عن امرأة أخرى وهي تذوب شوقًا إليه.. كما ندمت أنها ضعفت وتوسلت إليه أن يعود إليها، انهت اتصالها بكلمات بسيطة:

- مع السلامة يا حسن.

أغلقت الهاتف دون أن تسمع ردًا.. . انهارت على سريرها تبكي كما لم تبكِ من قبل.

* * *

بعد أن حضرت منى للمركز.. استأذنها حسن أن تعمل اليوم أيضًا مكانه وذهب لبيته.. كان تفكيره مشتتًا طوال اليوم وزاد تشتتًا بعد ما أتاه اتصال نادين.

بعدها فكر كثيرًا.. أدرك جيدًا أنه لا يزال يحبها بل لم يحب غيرها.. أما مشاعره تجاه أماني فاحترام ومودة.. وشفقة عليها ألا تتحمل صدمة غدره بها إن تراجع فجأة عن الزواج.

اختفاء لميس الذي أربك حساباته.. مصارحة نادين له برغبتها في التصالح والعودة معًا.. تفكيره يتأرجح بين لميس الأهم على الإطلاق ثم موقف امرأتين في حياته؛ زوجة سابقة وزوجة مستقبلية.. يحب إحداهما ويحترم وعده للأخرى

قرر ألا يفكر في أي قرار إلا بعد عودة لميس سالمة.. لا مجال للتفكير في عدم عودتها.. فعقله ينكر هذه الاحتمالية تمامًا.

ساوره القلق على نادين.. فهي وحدها تمامًا وحالتها النفسية سيئة للغاية.. فقرر الاطمئنان عليها مهما كان تفسير موقفه، وقبل أن يضغط زر الاتصال جاءه اتصال من رقم غير مسجل باسم.

* * *

منذ أن انتهى الرائد تامر من مقابلة نادين وحسن.. ونظرًا للتوصية والاهتمام من اللواء أشرف شخصيًا الذي يكن له كل التقدير والاحترام، أسند تامر مهمة مساعدته لضباط على نفس المستوى من الكفاءة.

في غضون ساعات قليلة كان أمام مكتبه كلٌّ من:

- دكتور مختار عبد الحميد طبيب التخدير.

- مهندس حسام إسماعيل زوج السيدة المتوفاة.

- رجاء راشد - أم خالد. بصحبة ابنها خالد.

لم تعرف أم خالد سبب استدعائها ولا هؤلاء الجالسين حولها، أما مختار وحسام فكانت بينهما نظرات عدائية واضحة لأن كلا منهما يعتقد أن الآخر هو سبب تواجده هنا.. نظرًا للقضية التي تربطهما معًا كخصمين.

في البداية طلب تامر استدعاء مختار.. دخل مختار متباطئًا؛ خوفًا وتحسُّبًا من السبب الذي لا يعرفه:

- أهلًا يا دكتور.. اتفضل.

- خير يا افندم.. ممكن اعرف القضية بيتعاد فيها التحقيق ليه؟

- انت خرجت إمتى؟

- خرجت من خمس شهور.

- وبتمارس شغلك؟

صمت مختار قليلًا وأردف قائلًا:

- الحمدلله.

- طيب ايه رأيك نيجي لبعض دوغري؟

- ياريت.. بس افهم.

- آخر مرة شفت لميس امتى؟

تفكر مختار قليلًا:

- لميس مين؟

- ايه متعرفهاش.. لميس بنت الدكتور حسن.

قال مختار متذكرًا:

- آآآه.. عارفها.. مش فاكر آخر مرة شفتها إمتى بس من زمان مشفتهاش.

- متأكد؟

- أه متأكد.. ليه؟

- لميس مخطوفة.

فزع مختار وهبَّ واقفًا:

- وانا مالي ومالها.. مش كفاية اللي عملُه فيا كمان بيتهمني بمصيبة زي دي.

رد تامر بهدوء وبنظرات غير مصدقة:

- اهدا يا دكتور كده .. ولا اقولك انت تروح تقعد شوية مع نفسك تفكر لو فيه حاجة افتكرتها أو عايز تقولها.

- أقول ايه بس أنا معرفش حاجة.

لم يلتفت تامر لكلماته وانما ضغط على زر جواره فدخل العسكري.. أشار للعسكري نظرة ذات مغزى فهمها العسكرى جيدًا:

- خد الدكتور عشان محتاج يركز لوحده شوية.. وابعتلي الست اللي بره.

أخذ العسكرى مختار للحبس للضغط على أعصابه.. وأدخل أم خالد لتامر

دخلت أم خالد مرتبكة تبكي من الخوف والرهبة.. نظر لها تامر نظرات ثاقبة وسألها عن اسمها الذي يعرفه جيدًا، وطلب منها هاتفها وتفحصه جيدًا وسألها عن الأسماء في سجل المكالمات خلال الأيام الماضية فكانت جميعها أسماء أولادها وأزواجهم.. ثم سألها:

- بتشتغلى فين؟

- مبشتغلش يا بيه ولا ليا دعوة بحاجة.

- حاجة ايه بالظبط؟

- مش عارفة.. بس انا في حالي وماشية جنب الحيط لا بروح مظاهرات ولا ليا دعوة بالسياسة.

- ومين قالك انك جاية في سياسة؟

- ما أنا مش عارفة.. هيكون في ايه تاني غير المظاهرات اللي مالية الدنيا.

- لا انتي هنا عشان لميس.. عارفاها طبعًا.

- لميس بنت مدام نادين؟

- أيوة.

- أه عارفاها ده انا مربياها على إيدي.. مالها؟

تجاهل تامر سؤالها وسألها:

- آخر مرة شفتيها إمتى؟

- قريب.. ييجي من شهر كده.

- شفتيها فين؟

- هيَّ عدِّت عليا.

- فين؟

- في البيت.

- ليه؟

- تسأل عليا.. من بعد ما مشيت وانا بكلمها وهيَّ بتكلمنى وجت لي البيت كذا مرة.. ومدام نادين كانت بتجيلي برضه.. وأكملت قائلة:

- يا بيه.. الله يكرمك تفهِّمني في ايه.

- لميس مختفية بقالها 3 ايام.

لم تدع له الفرصة يكمل حديثه فسألته منزعجة:

- مختفية.. ياحبيبتي يا بنتي.. بس يابيه هو انا يعني هكون خطفتها.

نظر لها تامر نظرة المكتشف:

- وعرفتي منين انها مخطوفة؟

ارتبكت أم خالد وأجابت بسرعة:

- مش حضرتك اللي قلت مختفية.. هتتختفي لوحدها ازاي .. أكيد اتخطفت.

ابتسم تامر ابتسامة زادت من توتر أم خالد.. كانت شكوكه تدور حولها بشكل أكبر.. ضغط زر بجواره فدخل العسكري:

- خد الحاجَّة الحجز ومتخليهاش تكلم حد لحد ما استدعيها تاني.

أخذها العسكري وهي تبكي بشدة وتتساءل عن ذنبها وتصرخ لابنها ألا يتركها..

تشتت خالد وارتبك من صراخ والدته ومعرفته بحجزها دون أن يعرف السبب..

حاول خالد ان يسألها عن سبب استدعائها وحجزها، فصرخ فيهما العسكري حاسمًا:

- الباشا قال متتكلميش مع حد.

وقف خالد ينظر حوله في نفس الوقت الذي وقف فيه حسام يفكر في سبب استدعائه.

عاد العسكري وأشار لحسام بأن يتبعه.. وأدخله مكتب تامر.

دخل حسام المكتب وهو يبدو عليه الثقة والثبات .. بمجرد دخوله بادر تامر بالسؤال:

- ممكن اعرف حضرتك استدعتني ليه؟

تعجب تامر من لهجته المتحدية فأجابه:

- لأنك مشتبه فيك في خطف لميس شاهين.

تفكر حسام قليلًا ثم أجاب بثقة:

- مين لميس شاهين.. معرفش واحدة بالاسم ده.

- بنت الدكتور حسن شاهين.. متعرفوش؟

- أعرفه.. معقول معرفش اللي كان السبب في خراب بيتي وموت مراتي.

- مش النيابة برَّأته؟

- النيابة برأته أيوة بس انا شخصيًا مقدرش اعفيه من المسئولية.

- ازاي؟

- مش هوَّ اللي اختار الدكتور الخايب ده.. عامة انا مستني القانون يجيبلي حقي.

- حقك من مين؟

- من اللي اتسببوا في قتلها.

تأكد تامر أن حسام يحمل كراهية شديدة لكل من حسن ومختار.. طلب تامر من حسام تفحص هاتفه المحمول.. أعطاه له حسام وهو يردد ممتعضًا:

- أنا مالي ومال الحكاية دي كلها.. ولَّا هو اسلوب ضغط وخلاص.

سأله تامر دون ان يرفع عينيه عن الهاتف الذي وجد به أرقام كثيرة غير مسجلة بأسماء:

- ضغط من مين؟

- الدكاترة مع بعض يألفوا حكاية عشان اتنازل عن القضية.

رد تامر بعصبية:

- أنا هنا بحقق في خطف قاصر مش هزار.

صمت برهة ثم عاد وسأله وهو يضع الهاتف أمامه على المكتب:

- ايه الأرقام دي كلها؟!

- هوَّ في مشكلة اني اكون بتكلم كتير في التليفون.. أنا مفيش أي حاجة ضدي عشان تستدعيني.

راد تامر ان يقوم بنفس أسلوب الضغط مع حسام.. فاستدعى العسكري وهو يشير إليه بأخذ حسام:

- خد البشمهندس الحجز شوية يمكن يفتكر.

- حجز ليه؟ أنا من حقي مكالمة تليفون.. عايز اكلم المحامي.

ناوله تامر هاتفه وهو يعلم تمامًا أن كلها ساعات وسيخلي سبيل من لم يثبت تورطه في خطف لميس.. ربما في الساعات القادمة تفيد التحريات بما يحل القضية ويعيد الفتاة لوالديها.

* * *

ردَّ حسن على الهاتف متمنيًا ألا تكون إحدى مريضاته ككل الاتصالات في الأيام الماضية.. تمنى من قلبه أن يكون الاتصال من الخاطف مقررًا في نفسه أنه مهما كانت الفدية المطلوبة سيدفعها عن طيب خاطر حتى تعود لميس سالمة.. وعلى عكس المتوقع.. سمع صوتًا لم يتبينه من أول مرة فقد اعتقد أن عقله الباطن هو من شبَّه له صوتها.. كان الصوت هامسًا:

- بابي.

ردد حسن بلهفة:

- لميس!!

- بابي.. الحقني أنا خايفة أوي.

حاول أن يبدو صوته هادئًا حتى يطمئنها، ولكنه لم يستطع التحكم في لهفته وقلقه:

- متخافيش.. بس قوليلي انتي بتتكلمي منين وازاي؟

- أنا في شقة معرفش فين.. أنا عرفت اخد تليفون الست اللي خطفتني وبتكلم من الحمَّام.

- طيب متخافيش.. . بس طمنينى انتي بخير؟

- أيوة.. الست قالتلي انها هترجَّعني البيت النهارده وهنمشي من هنا.. أنا مش مصدقاها وخايفة أوي.

- اجمدي يا لميس.. اطمني يا حبيبتي ادعي ربنا وهو هيكون معاكي ويحفظك.. وانا هتصرف بسرعة.. بس انتي متعمليش أي حاجة تخليهم يؤذوكي.. ماشي يا حبيبتي؟

انقطعت المكالمة فجأة.. نادى حسن مكررًا:

- لميس.. لميس.

تأكد أن الخط أُغلِق بالفعل.. انتفض واقفًا وهو يدور حول نفسه.. اتجه صوب دولابه وبحث في ملابسه عن الكارت الذي يحمل أرقام هواتف تامر.. بمجرد أن وجده اتصل بتامر.. تكاد أنفاسه تتوقف من فرط القلق:

- ألو.. تامر بيه.

- أهلًا يا دكتور.. خير فيه جديد؟

- أيوة.. جالي تليفون دلوقتي.

- هاا وقالك ايه؟

- لميس اللي كلمتني.

- لميس!!

- أيوه.. بتقول انها اخدت التليفون من اللي خطفاها.. يعني اللي خطفتها ست.

- دكتور حسن.. تقدر تكون عندي بسرعة لو سمحت.. ومتقلقش على ما تيجي هنكون جبنا تسجيل المكالمة.

- حاضر مسافة السكة.

أنهى حسن مكالمته.. ارتدى ملابسه بسرعة فائقة واتصل بنادين ليطمئنها.. أجابت نادين التي كانت جالسة في انكسار تتأمل الشهور الماضية وحياتها التي تحولت للنقيض تمامًا وتتألم من وحدتها، بصوت منكسر حزين جاءه صوتها

- أيوة يا حسن.

- لميس بخير يا نادين.

تحول صوتها فجأة للهفة وقلق وحماس وخليط من الانفعالات:

- لميس!! عرفت منين.

- كلمتني.

- إمتى وازاي ومكلمتنيش أنا ليه؟

- البسي بس بسرعة وانا رايح لتامر بيه هعدِّي عليكي نروح سوا وهحكيلك التفاصيل في السكة.

ألحت عليه نادين لمعرفة تفاصيل المكالمة قبل أن ينهي المكالمة.. حكى لها كل ما دار بينه وبين لميس أثناء نزوله ووصوله للسيارة.. أكد عليها وهو يقود سيارته:

- يالا بقى.. البسي بسرعة عشان منتأخرش.

* * *

في مكتب تامر.. جلس تامر وحسن ونادين واثنان من مساعدى تامر.. أعادوا تشغيل المكالمة أكثر من مرة.

تامر: الكلام اللي قالته قليل أوي والخط اتقفل بسرعة قبل ما نلحق نحدد مكانها فين.

حسن: أنا خايف يكون حد عملها حاجة لما شافوها بتتكلم عشان كده الخط اتقفل فجأة.

أمر تامر أحد مساعديه بإعادة تشغيل المكالمة.. وأثناء استماعهم للتسجيل:

تامر: فيه صوت واضح لمياه مفتوحة.. ده معناه انها فتحت المياه وهيَّ بتتكلم في الحمَّام زي ما قالت عشان محدش يسمعها.. وأكيد طبعًا قافلة الباب عليها يعني لو حد سمعها كنا سمعنا رزعة على الباب ولا صوت حد بيزعق.. هي ممكن تكون قفلت لأي سبب.

نادين طوال الحديث صامتة تبكي فقط ولا تتحدث.. بينما يحاول الجميع وضع الافتراضات لما يكون قد حدث ومحاولة الوصول للميس في أقرب وقت.

طمأنهما تامر:

- اتصالها ده خيط مهم ممكن يحل اللغز.. لو الرقم ده مسجل باسم حد يبقى اتحلت والصبح هتكون لميس واللي خطفها معانا.. ولو مكنش مسجل على

الأقل هنعرف المنطقة اللي اتكلمت منها وهنكثف تحرياتنا فيها وهنلاقيها.. اطمنوا يا جماعة.

ردَّ حسن بعصبية بعدما تبدد الأمل في سرعة عودتها:

- نطمن ازاي.. بتقول قالوا لها هيمشوا .. يعني أكيد هيغيروا المكان ومن هنا للصبح يا عالم يكون حصلها ايه ولا خدوها فين.. أنا مش عارف اللي خطفتها ولا اللي خطفوها مكلمونيش ليه وطلبوا اللي هما عايزينه وانا كنت دفعتهلم اللي عايزينه بدل ما بيموتونا بالبطيء كده.

كادت أعصاب حسن أن تحترق.. حالة الإنكار التي شعر بها الأيام الماضية بدأت تندثر ويحل محلها احتمالية عدم رجوع ميس مرة أخرى.. شعور العجز والقهر يتملكه.. ينظر لنادين التي تبكي يتمنى أن يستطيع البكاء هو الآخر لعله يجد متنفسًا لقهرُه.

تدث تامر قائلًا:

- عدم اتصال الخاطف كل الفترة دي يخليني اتأكد ان الخطف مش عشان الفلوس.

نادين بقلق:

- لو مكنش عشان الفلوس هيكون ليه؟

ردَّ تامر بثقة:

- هنعرف بس مسألة وقت.

رنَّ هاتف نادين.. وجدت اسم راضي البواب.. رددت بتعجب وهي تجيب حسن دون أن يسألها:

- ده عم راضي.

ردت بعدم اهتمام:

- أيوة يا عم راضي.

وجدت صوت لميس مستغيثًا:

- مامي انتي فين؟

صرخت نادين وهي تنهض من مكانها:

- لميس انتي فين وبتتكلمي منين.

ركز الجميع اهتمامه مع نادين.. اقترب حسن بإذنه منها ليسمع حديثهما.

- سابوني يا مامي ومفيش حد في البيت.. تعالي بسرعة.

- حاضر.. حاضر.. حالًا.

جذب حسن الهاتف من نادين قبل أن تغلقه.. وسأل بلهفة:

- لميس انتي كويسة؟

كان صوت بكاء لميس يعلو:

- كويسة يا بابي.. تعالوا بسرعة.

- حاضر يا حبيبتي.. مسافة السكة.

أغلق حسن الهاتف وأعطاه لنادين وهو يسرع وهي خلفه نحو الباب :

- الحمدلله.. الحمدلله.

جمع تامر متعلقاته من على المكتب.. قال لمساعديه:

- أنا رايح اقابل البنت.. لو فيه أي جديد وصلتوا له قبل ما اجي كلموني.. ومحدش يروَّح.

* * *

توقف حسن بسيارته أمام منزل نادين.. ترجل مسرعا هو ونادين يتبعهما تامر

لم يجدا راضيًا فدخلا يبحثان عنه في حجرته.. وجدوا لميس جالسة وهو بجوارها هو وزوجته يتحدثان إليها في محاولة للتخفيف عنها.. وقف حسن على الباب وتقدمته نادين.. يرددان معًا:

- لميس...

بمجرد أن سمعت لميس صوتهما.. ركضت نحوهما وهما يركضان نحوها.. ظلت تبكي وهي تعانقهما:

انفطر قلب حسن وسقطت دموع الفرح رغمًا عنه وهو يرى لميس مرة أخرى.. بينما كانت نادين تبكي بحرارة.

تحدثت لميس وهي مازالت تبكي:

- وحشتوني.. كنت خايفة مشوفكوش تاني.

نادين وهي تقبِّل وجنتها ويديها:

- متقوليش كده.. أنا كنت حاسة انك هترجعيلنا بالسلامة.

وقف راضي وزوجته يراقبان المشهد بتأثر بالغ.. ووقف تامر يتابعه من منظور مختلف تمامًا.. قطع صوته اللقاء الحار:

- طيب نطلع نتكلم فوق.

قالت نادين وهي ممسكة بيد لميس ولميس تتشبث بيدها الأخرى بحسن:

- أه.. طبعًا.. اتفضلوا.

بمجرد دخولهم المنزل.. سجد حسن شكرًا لله، قالت نادين للميس:

- هحضرلك هدوم لحد ما تاخدي شاور.

استوقفهما تامر وهو ينظر للميس التي ترتدي جينز وبلوفر:

- ثواني.. مش لميس نزلت يوم ما اختفت بلبس المدرسة.. ايه الهدوم دي؟

نظرت لميس لوالديها نظرات متسائلة وهي تشير بعينيها نحو تامر.

ردَّ حسن:

- الرائد تامر من المباحث.. كان بيحقق في البلاغ اللي قدمناه.. فين هدوم المدرسة صحيح؟

لميس:

- نسيتهم تحت عند عم راضي.

سألها تامر:

- انتي كنتي أخدة معاكي هدوم؟

تفاجئت لميس بسؤال تامر.. بل بوجوده من الأساس، أجابت مرتبكة:

- لأ طبعًا.

حوَّلت حديثها لوالديها:

- عايزة آكل وانام.

ردَّ تامر:

- مفيش مشكلة.. تقدري تاخدي حمَّامك وتاكلي وانا هقعد مع دكتور حسن لحد ما تخلَّصي.. لازم اتكلم معاكي النهاردة.

أمسكت نادين بيديها ودخلتا عبر الردهة التي تجمع بين الحمَّام والغرف.. بينما أخذه حسن للصالون:

- اتفضل يا تامر بيه.. تحب تشرب ايه؟

- متشكر.. ولا حاجة.

أخرج تامر علبة سجائره من جيب الجاكيت.. قدَّم واحدة لحسن الذي شكَرَه:

- لأ شكرًا.. مبدخنش.

أشعلها تامر وجلس.. ساد الصمت بينهما.. راود حسن إحساس ما من أسئلة تامر لليس وتصميمه على انتظارها.. ولكن حالة الإنكار عاودته مرة أخرى فصمت.

دخلت ليس غرفتها.. خلعت الملابس التي كانت ترتديها ووقفت بملابسها الداخلية.. تناولت ما حضرته لها نادين:

- مامي.. هو الظابط ده بيسألني كده ليه؟ طريقته مخوفاني.

- متخافيش يا حبيبتي.. بس الأسئلة دي طبيعية واحنا كمان عايزين نعرف.

- وانا هحكيلكم على كل حاجة.. أنا ما صدقت رجعت لحضنكم تاني.. بس الراجل ده محسسني اني متهمة عَنده.

- خلاص انا هقول لحسن يمشيه.. بس تحكي لنا كل حاجة يا لميس.. مش انتي كويسة؟

سألتها نادين وهي تتفحص جسدها بنظرة سريعة.. أجابتها لميس:

- ايوه والله أنا كويسة.. الحمدلله.

ربتت نادين على كتفها:

- طيب ادخلي قبل ما تاخدى برد.. وهحضرلك حاجة تاكليها.

ذهبت لميس لتأخذ حمامًا.. وذهبت نادين للمطبخ.

منذ ان عادت نادين للعمل.. ومع تضارب مواعيدها مع مواعيد لميس ومواعيد تواجد حميدة في المنزل.. فقد تعودت حميدة أن تطهي الطعام بكمية زائدة وتضعه في الفريزر حتى إذا احتاجت لميس أو نادين أي طعام مطهو في أي وقت يجدانه.

بحثت نادين في الفريزر.. وجدت وجبات مقسمة في أطباق "فوم". أخرجت طبق به مكرونة وآخر به نصف دجاجة مشوية، وضعتهما في طبق آخر أكبر.. ثم أدخلته "الميكرويف" وضبطت التوقيت.. ثم أخرجت من الثلاجة علبة عصير وملأت كأسين وضعتهم في صينية وذهبت لتقديمه لحسن وتامر.

عندما دخلت الصالون، وجدت الصمت يجمع بين الرجلين.

- اتفضلوا.

قدمت لكل منهما كأسه.. ثم انسحبت.. وعلى طرف الباب ومن خلف تامر.. أشارت لحسن بأن يتبعها.

استأذن حسن من تامر قليلًا.. وتبع نادين للمطبخ:

- إيه يانادين.. فيه حاجة؟

- اه.. لميس خايفة منه وبصراحة طريقته معاها تخوِّف فعلًا.. ما تمشيه يا حسن.

- أمشيه ازاي بس.. هقوله قوم امشي.

- قوله خلاص بنتنا رجعت الحمدلله وده اللي كان يهمنا.

تردد حسن لحظات.. وردَّ عليها:

- مش لازم نعرف مين اللي خطفها.

- احنا هندخل نفسنا في متاهات ليه.. بنتنا ورجعت الحمدلله وقالت هتحكي لنا على كل حاجة.

سمعا صوت خروج لميس من الحمَّام في نفس الوقت الذي انتهى فيه الميكرويف من تسخين الطعام.. اتجه حسن خارجًا:

- أنا هروح اتكلم معاه.. وانتي خليكي معاها.

- حاضر.

عاد حسن مرة أخرى لتامر.. اضطر حسن لمواجهة الموقف الذي ينكره لا إراديًا:

- هو حضرتك لازم تسأل لميس في حاجة.. أصل البنت راجعة تعبانة وعايزة ترتاح.

ردَّ تامر ردًّا حاسمًا لا يدع مجالًا للمناقشة:

- لأ .. معلش هما كلمتين ضروري ومش هطوِّل عليها.. بس لازم اسألها الليلة لأن فيه ناس محجوزين وأكيد في منهم إن مكنش كلهم ملهمش ذنب.. يعني الصبح لازم يخرجوا لو مفيش حاجة تدينهم.

ردَّ حسن مستسلمًا:

- ماشي.. إنت أدرى.

تناولت لميس القليل من الطعام.. كانت الساعة تقترب من منتصف الليل.. نظرت نادين للطبق المليء بالطعام:

- ما تاكلي يا حبيبتي.

- الحمدلله.. شبعت.

- باباكي حاول مع الظابط ومنفعش يمشيه.. معلش شوفي عايزك يسألك في ايه وخلاص.. أكيد عايز يقفل البلاغ بكلام رسمي.

ردت لميس بضيق:

- طيب.

جلست لميس في مواجهة تامر.. بحضور حسن ونادين.

قال تامر موجهًا كلامه للميس:

- ممكن بقى تحكيلى اللي حصل من ساعة ما خرجتي آخر مرة لحد ما رجعتي من شوية؟

أنصت حسن ونادين بكل تركيز وكل منهما منتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر، ولكنهما كانا يؤجلانها خاصة حسن الذي اكتفى برؤية ابنته سليمة أمامه.. حتى

وإن كان ما توقعه من أسئلة تامر صحيحًا.. فيكفي أنها عادت مرة أخرى.. بدأت لميس سرد ما حدث:

- وانا خارجة من المدرسة.. روحت اوقَّف تاكسي لقيت واحدة منتقبة جاية بتسلم عليا وبتبوسني وسلامات وازيك يا لميس.. في الأول استغربت وسألتها انتي مين لقيتها بتقولّي اخص عليكى مش عارفاني .. طيب مش بتشبهي على صوتي.. حاولت اركز في صوتها اللي مكنش غريب فعلًا، معرفتهاش قلتلها اني مش عارفة.. قالت لي انها عايزة تقولِّي حاجة بس اتماسك ومقلقش.. أنا قلقت من كلامها ولما سألتها في ايه قالت ان مامي تعبانة شوية في المستشفى وعايزة تشوفني.

قاطعها تامر:

- بس موضوع مامتك عيانة وباباكى مش عارف حصل له ايه ده قديم أوي واتهرس في كل الافلأم القديمة.. يعني المفروض تكوني فاهمة الكلام ده.

- قبل ما اشك هي قالتلي ان مامي هي اللي باعتاها وطلعت تليفونها وعليه رقم مامي فعلًا وقالت لي اتصل بيها وهلاقي التليفون مقفول وفعلا اتصلت لقيته مقفول.

قالت نادين ردًّا على كلام ابنتها:

- أنا مبعتش حد وتليفوني مكنش مقفول ولا حاجة.

لميس مؤكدة:

- رقمك يا مامي أنا شفته واتصلت فعلًا.

تدخل حسن قائلًا:

- حسن:

- كملي يا لميس وبعدين.

- كان معاها تاكسي.. ركِّبتني ورا لوحدى وهي قُدَّام جنب السواق وبعدين واحنا ماشيين قابلت ابنها بالصدفة واقف فوقفنا له ولما ركب معانا أنا محستش بحاجة غير بعد فترة لقيت نفسي في أوضة ومقفول عليا من بره.. فهمت انها خطفتنى فضلت اخبط على الباب واصرخ واعيط وهي تكلمنى وتحاول تطمني وتحلفلى انها هتروَّحني بس مكنتش بتقول امتى.

سأل تامر:

- شكل الأوضة ايه؟.. لو فيها شباك شفتي منه ايه؟

- الأوضة عادية ونضيفة فيها سرير وترابيزة صغيرة وتليفزيون.. بس اللي لاحظته لما كنت احب اروح التواليت الشقة فاضية تقريبًا.. يعني يدوب فيها حاجات بسيطة.

- يعني محدش عايش فيها.

- لأ.. هي الست دي كانت قاعدة معايا وكان ابنها بيجيلها.. كنت بسمعهم.

- والمعاملة؟

- كويسة.. الست كانت بتحاول تطمني ولما روحت كانت محضرة بيجامة والهدوم اللي رجعت بيها دي.. الهدوم جديدة في أكياسها.

تامر. مقلتليش.. الأوضة كان فيها شباك؟

- كان فيه بلكونة مقفولة بقفل.

سأل حسن باستغراب:

- هوَّ فيه حد خاطف حد يعامله كده.. وكمان مطلبوش فلوس حتى اللي صرفوه.

ردَّ تامر على تساؤل حسن:

- الخاطف مكنش غرضه فلوس وده واضح من كلام لميس.

- طيب ليه خطفها وليه رجَّعها؟

تامر وهو ينظر للميس نظرات حادة:

- متقلقش يا دكتور.. رجوع لميس مش معناه الحكاية خلصت.. أنا لما بحقق في بلاغ لازم اجيب آخرُه.. أستأذن انا.

نهض تامر وصافح حسن.. صاحبه حسن حتى الباب.. بينما اقتربت لميس من نادين التي أحاطتها بذراعيها، سألتها لميس بخوف:

- هو بيبص لي كده ليه؟

- مش عارفة يا لميس.. انتي خايفة من إيه.. أهم حاجة رجعتي بالسلامة.

على باب الشقة.. وقبل خروج تامر.. التفت وسأل حسن بغتة:

- هيَّ لميس لما نزلت كان معاها فلوس؟

- أكيد.

- كام؟

- معرفش تحديدًا.

- تقدر تعرف؟

- ثوانى ادخل اسألها.

- لأ لو كنت عايز اسألها كنت سألتها.. أنا بسألك تعرف كان معاها كام؟

- لأ.

- هيَّ ليها فلوس خاصة بيها.. فيزا مثلًا ممكن تسحب منها.

- أه.. بس هي غالبًا مش بتستعملها لأنها بتحب فلوسها تكون معاها.. دايمًا بيكون معاها فلوس هنا في البيت.

- فلوس كام؟

- مبسألهاش.. بس هي من زمان متعودة يكون ليها فلوس على جنب غير مصروفها.

- ليه؟ مش لما بتحتاج حاجة بتطلبها؟

- أيوة طبعًا.. بس احنا معودينها من وهي صغيرة ان فلوسها الخاصة ممكن تجيب بيها حاجة ليها.. ساعات بتحب هي واصحابها يعملوا زيارات لمستشفى 57357 وساعات بيروحوا دور أيتام وهي مبتطلبش مني فلوس خالص ولما اسألها تقول كنت عاملة حسابي.

- يعني ممكن نقول لو احتاجت ألفين تلاتة.. ممكن تكون عاملة حسابها عليهم.

- ممكن..

ابتسم تامر بانتصار.. بعد أن اقترب من حل اللغز وودع حسن على وعد بكشف كل التفاصيل في أقرب وقت.

عاد حسن مرة أخرى فلم يجد نادين ولميس في الصالون.. اتجه خطوات بطيئة للردهة.. ونادى بصوت عالٍ:

- لميييس.

سمع صوت نادين من غرفة لميس:

- تعالى يا حسن.

دخل حسن غرفة لميس.. وجدها ممدة في سريرها ونادين تجلس بجوارها تحاوطها بذراعيها.

- أنا همشي.. مش عايزين حاجة؟

سمع صوت لميس فرِحة:

- عرفت يا بابي ان مامى مش هتتجوز؟

حسن وهو يقترب من لميس يقبّلِها:

- اه.. عرفت.. المهم انتي ترتاحي النهارده عشان فيه كلام كتير لازم نتكلم فيه مع بعض.

سألته لميس باهتمام:

- كلام إيه؟

نظر حسن لنادين مترددًا.. لم تفهم نادين أي كلام يقصده تحديدًا، فسألته:

- كلام ايه؟

جلس حسن على طرف السرير في مواجهه لميس ونادين:

- إحنا عرفنا علاقتك بمصطفى.

تفاجأت لميس.. نظرت نظرات حائرة بين نادين وحسن.. فكرت في الإنكار ولكنها تراجعت، بادرها حسن:

- أنا زعلت جدًا لما عرفت ولو كانت الظروف مختلفة أكيد تصرُّفي كان هيبقى مختلف.

لم يكن هناك بدًا من الاعتراف.. فأسرعت لميس بتوضيح موقفها:

- أنا أسفة يا بابي.. بس والله أنا مبكلمش مصطفى من فترة ومن نفسي من غير ما حد يقولِّي.. أنا آسفة.

بكت لميس وتشبثت بحضن نادين التي ربتت عليها بحنان.. فبادرهما حسن قائلًا:

- على فكرة يا لميس.. يوم ما تحبى بجد أنا هكون فرحان انك تيجي تحكيلي وتحكي لمامتك.. بس كل حاجة في وقتها بتبقى صح انما لما تكون سابقة لأوانها هتبقى غلط.. فاهماني؟

هزت لميس رأسها إيجابًا.. سألها حسن مترددًا ولكنه يريد أن يطمئن قلبه:

- قوليلي يا لميس لو استغلك في أي حاجة.. قوليلى انتي عشان اجيبلك حقك .. لو عرفت لوحدي هزعل منك وتصرَّفي هيزعَّلك.

أرادت لميس أن تنفي عن نفسها الاتهام الذي وجه إليها.. فقالت باكية:

- مصطفى مستغلنيش ولا حاجة بالعكس كان أحن حد عليا لما كنتوا انتوا الاتنين كل واحد ملبوخ في نفسه وفي ازاي يعاند التاني.. مكنش حد مهتم بيا غيرُه في الوقت اللي كل واحد فيكم كان مهتم بحد تاني خالص.

- وليه روحتى بيت اهله؟.. كنتوا لوحدكم؟

قالت نادين:

- مصطفى يا لميس!! السواق بتاعنا؟!!

لميس باكية:

- أنا أسفة.. متزعلوش مني.. ووالله أنا من نفسي حسيت قد ايه انا كنت غلطانة وقطعنا مع بعض.. ولما روحت بيت أهله كانت مامته واخواته هناك وكنت

محتاجة اللمة والعيلة أوي ومكنتش لاقياها هنا.. وده اليوم اللي جيت لك فيه يا بابي وصدمتني انك هتتجوز.. أنا نفسي نرجع زي زمان.. عشان خاطري.

قالتها لميس وهي تمسك يد نادين بيدها اليمنى ويد حسن بيدها اليسرى.. عيناها مليئتان بالتوسل لكل من والديها.. تبادل حسن ونادين نظرات سريعة اغرورقت على إثرها الدموع في عيني نادين فلمست قلب حسن الذي ارتجف للحظة.

أخذ حسن يد لميس بين يديه وقبَّل جبينها ونهض:

- بعدين نتكلم.. المهم انتي دلوقتي تنامي في بيتك في أمان وترتاحي وتنسي اللي حصل ده خالص.. ومفيش مدرسة ولا دروس لحد ما اشوف سواق يكون موثوق فيه يوديكي ويجيبك.

وأكمل ضاحكًا ليخفف من الجو العام بينهم:

- ويكون كبير في السن.. ماشي..تجاهلت لميس دعابته.. وقالت له متوسلة:

- أنا فعلًا عايزة احس بالأمان بعد الرعب اللي عشته.. ممكن تبات معانا النهاردة؟

فوجئ حسن باقتراح لميس.. فأجابها معتذرًا:

- مش هينفع يا لميس.. ميصحش.

لميس بإلحاح :

- عشان خاطري.. خليك معانا حتى النهارده بس.

نادين متمنية أن يوافق ليظل بالقرب منها:

- خليك يا حسن.. أنا هاخد هدوم بس وانام هنا جنب لميس ونام في أوضتنا براحتك.

خرجت منها لفظة "أوضتنا".. عفوًا.. لم تكن تقصدها ولكنها الآن لم تعد ذات معنى.. صمت حسن لحظات يفكر.. هو بالفعل يريد البقاء.. انهارت مقاومته مع إلحاح لميس:

- أرجوك يا بابي.. خليك معانا.

- حاضر.

فرحت نادين ببقائه.. نهضت مسرعة:

- هقوم اخد هدوم من الأوضة واسيبهالك عشان ترتاح.

صمتت لحظة ثم أردفت:

- بس مفيش هدوم ليك.

- مش مشكلة.. هتصرف أنا متقلقيش.

خرجت نادين من الغرفة وعادت بعد دقائق تحمل ملابس النوم في يدها:

- الأوضة جاهزة يا حسن.. نوَّرت البيت وخليت ليه حِس.

- شكرًا يا نادين.. البيت منوَّر ببهجته(وأشار إلى لميس).. أنا هفضل جنبها لحد ما تنام.. ولا عايزة تنامي؟

- لا أبدًا.. خليك براحتك.

جلست نادين في كرسي مقابل للسرير.. كانت عيناها مثبتة على حسن الذي يداعب خصلات شعر لميس بمنتهى الحنان حتى غطت في نوم عميق.

* * *

- 19 -

دخل حسن غرفة نومه السابقة.. جلس في مكانه على السرير وهو يتلفت حوله.. كل ركن في الغرفة له ذكريات له مع نادين.. ذكريات سعيدة وحزينة ولحظات رومانسية وحنان افتقده منذ أن غادر البيت، عاوده الحنين بشدة والشعور بالذنب.. كلمات نادين الأيام السابقة وتحميلها له مسئولية ماحدث.. لم يستطع إنكار حقيقة اتهامها.. أضاف إليه توسلات لميس بأن يعودوا معًا كذي قبل.. بالاضافة لرغبته في العودة وحبه الشديد لهما .

وحبه لنادين الذي لم يتبدل بوجود أخرى كما اعتقد.. ظلَّ حائرًا في كيفية الخروج من المأزق.. إن عاد لنادين فما ذنب أماني التي تقبلت كل ظروفه برضا تام..

إن اختار أماني فما ذنب لميس في أن تدفع ثمن خطأ والديها وعنادهما.. لو تعلق الأمر به وحده لتقبل عِقابه على تسرعه وخطأه في حق لميس أولًا ثم نادين ونفسه..

الساعات تمر وهو جالس يفكر حتى سمع آذان الفجر.. في اللحظة التي قرر ألا يتخذ القرار وحده.. بما أن قراره يرتبط به مصير أخريات فلابد من مشاركة الأمر للجميع.

يستطيع أن يعود لحياته السابقة وزوجته وابنته، ويستطيع أن يكمل زواجه من أماني ويجمع بينهما وإن كان قلبه يميل لنادين.. على كل منهما أن تختار.. الجميع سيتنازل وإن كانت أماني الأكثر ضررا والتى دخلت دائرة لا ناقة لها فيها ولا جمل

قام ليتوضأ ويصلى الفجر.. وخلال صلاته دعا الله ان يلهمه الصواب.

* * *

طوال الأيام الماضية وأماني تشعر بتغير حسن تجاهها.. رغم أنه يكلمها يوميًا.. مكالمة قصيرة لاتتعدى دقائق ثلاث خلال اليوم.. تتذكر كلماته لها بأن تتحمله في الفترة القاسية التي يمر بها.. تُصبِّر نفسها بكلامه ولكن إحساسها لايمكن خداعه.. تشعر أنه نساها بعودة نادين في حياته مرة أخرى.. تبتسم بسخرية وكأنها تتحدى الموقف فتخونها دموعها حزنًا على حلم أُجهِض جنينًا قبل أن تراه مكتملًا.

تريد أن تتعلم من خطأ الماضى.. تقرر ألا تتزوج إلا حين تتأكد من اختفاء حب نادين من قلب حسن.. تخونها دموعها مرة أخرى على مشاعر كُتِب عليها أن تموت مذبوحة على عتبة الإهمال.

* * *

عاد أسامة لبيته ولم يجد منى كالعادة في الأيام السابقة.. لم يتصل بها كما تعوَّد ليسألها هل ستعود أم ستبيت في المركز؟

دخل على غرفته مباشرة.. أضاء الأباجورة الموضوعة بجواره فقط.. فألقت ضوؤها على التحاليل التي بيده، سقطت دمعة على الورق المقوَّى لغلاف التحليل.. فانحدرت وتلتها دمعة أخرى وهو يتذكر كلمات الطبيب: "الأمل

ضعيف جدًا.. مش قادر اقول مستحيل لأن ربنا قادر على كل شيء.. إنما طبيًا ومع التحاليل اللي قدامي مش قادر اضحك عليك".

شعر أسامة ان كل حياته تنهار.. الأمل في ان يكون له ابن أو ابنة تملأ حياته سعادة.. انتهى.. منى.. هل يخبرها ويخيرها مرة أخرى؟ يصمت ولا يخبرها بشيء حتى تسأل؟ يطلقها بصمت دون أسباب ؟

تجتاح الأسئلة رأسه دون إجابات.. يشعر بدوار من كثرة الأسئلة.. يختنق.. ينهض من مكانه.. يفتح النافذة لعلَّ الهواء يُحمل إليه القليل من الأكسجين الذي يُمكنه من التنفس.

يتجول بناظريه بين الشرفات.. يتمايل قلبه مع غسيل منشور لطفل أو طفلة.. يتخيل البريء صاحب الملابس الصغيرة، يتمنى لو أنه يذهب يومًا لشراء ملابس لطفلُه.. طفل تحمل ملامحه ملامح منه ومن منى.

* * *

استعد حسن للخروج مبكرًا حتى يتسنى له الذهاب لمنزله وتغيير ملابسه قبل الذهاب للمركز. كانت الساعة لاتتجاوز التاسعة صباحًا حين وجد المنزل هادئا.. لكنه سمع صوتا من المطبخ.. ذهب ليستطلع إن كانت نادين أم لميس.. لكنه وجدها حميدة:

- صباح الخير.

- صباح الخير يا دكتور.. ازي حضرتك.

- الحمدلله.. انتي جيتي إمتى؟

- خرجونى بالليل من الحجز واتصلت الصبح بالمدام وسألتها اجي ولا لأ قالتلي اجي.. وحمدالله على سلامة لميس ولو اني اتحطيت فيها واتأذيت في الحكاية دي.

قالتها وهي تمسح دموع فرَّت من عينيها.. لولا احتياجها المادي ما كانت عادت للعمل مرة أخرى. أشفق حسن عليها فاعتذر لها:

- معلش .. انتي عارفة ان المباحث لازم تحقق وده شغلهم.

- ولا يهمك يادكتور.. بركة انها بخير.

استدارت تحضر فطورًا سريعًا:

- هحضرلك الفطار حالًا.

- لالا مفيش داعي أنا نازل.

- لا ثواني.. المدام أكدت عليا اني اصحيها قبل ماتنزل.

اجتازته حميدة سريعًا وذهبت لتوقظ نادين قبل أن يرد عليها حسن.. وقف لحظات هل ينتظر مكانه أم يعود للغرفة.. تعجب إحساسه بالغربة في نفس الوقت الذي يشعر فيه بالحنين.. خطا خطواته على استحياء حتى ذهب للصالون.. فرغم وجوده الليلة الماضية لم ينسَ أنه غريب في بيته.

لم يدم انتظاره طويلًا.. فقد جاءته نادين ترتدي طقم نومها مرتدية (الروب)، والذي يغطي جسدها كاملًا:

- صباح الخير يا حسن.

للحظات.. تذكر حسن ما ترتديه نادين.. تذكر شكل باقي أجزاء الطقم المختفية تحت (الروب).. لحظات حميمة قفزت لذهنه فجأة كانت لها أثرًا واضحًا على وجهه الذي أشاحه وانتفاضته ليقطع تلك الأفكار.. هبَّ واقفًا:

- صباح النور.. مكنش لازم تقومي أنا نازل على طول.

- استنى يا حسن انت مستعجل ليه؟ أنا عايزة اتكلم معاك شوية.

اتجه صوب الباب.. محاوِلًا غض بصره بكل ما أوتي من إرادة:

- نتكلم في التليفون.. أنا لازم ارجع للمركز واشوف شغلي اللي كنت سايبه الأيام اللي فاتت.

- واحنا؟

سبقته نادين فوقفت أمامه بينه وبين الباب.. تلاقت الأعين ونظرات الحب والرغبة.. حسم أمره قائلًا:

- هنتقابل النهارده احنا التلاتة ونتكلم.. هنبقى على تليفون واقولكم امتى بالظبط.. خلى بالك من لميس وحاولي تقربى منها أوي.. احنا غلطنا في حقها ولازم نصلح الغلط ده.

كلماته أعطتها الأمل.. تنحت جانبًا عندما فتح الباب والتفتت تودعه.

لم يصارحها بما يعتمل في رأسه.. لم يكن قرر بعد مع أيهما سيبدأ حديثه معها.. هي أم أماني.. قبل أن تغلق نادين الباب خلفه.. رنَّ هاتف حسن، وقفت تنتظره حتى يرد.. ردَّ دون أن ينظر لها:

- ألو.. صباح النور.. خير؟؟ حاضر.. مع السلامة.

التفت لنادين مرة أخرى.. وقبل أن تسأله أخبرها:

- ده تامر.. عايزنا احنا التلاتة في مكتبه حالًا.

- ليه؟

- بيقول عايزنا عشان يقفل البلاغ.

- طيب.. هدخل البس واصحِّي لميس.

- ماشي.. أنا لازم اروح اغيَّر هدومي اللي كنت نايم بيها دي وهرجعلكم تكونوا جاهزين.. اتفقنا.

- اتفقنا.

* * *

عادت منى في التاسعة صباحًا من المركز منهكة القوى.. سمعت صوت أسامة في غرفة النوم.. دخلت الغرفة وجدته يرتدي ملابسه:

- حبيبي انت لسه منزلتش؟

رد عليها مقتضبًا:

- لسه؟

جلست على طرف السرير وبدأت خلع جوربها:

- عرفت ان لميس رجعت؟

- والله؟ طيب كويس.

لاحظت ردوده القصيرة ولهجته القاسية.. نهضت واقتربت منه تعانقه:

- أنا عارفة ان الأيام اللي فاتت كنت سايباك لوحدك على طول.. بس انا عارفة برضه انك دايما بتقدَّر ظروفي.

أبعد يديها عنه.. واتجه للكومودينو وتناول التحاليل وأعطاها لمنى..

لم تفهم منى سر ابتعاده المفاجئ.. ولكن بعد أن فتحت ملف التحاليل وقرأته..

- أسامة.. احنا..

قاطعها حاسمًا:

- مش عايزك تواسيني.

صمتت منى.. فشلت في إيجاد كلمات تجيبه بها.. أردف قائلًا:

- أنا هروح الشغل وهطلع على ماما.. هقعد هناك كام يوم من غير ما نتصل ببعض.

سألت بلهفة:

- ليه ؟ايه اللي حصل.

- خدي وقتِك وفكَّري براحتك.. فكري يا منى بعقلك وخلِّي حبنا على جنب.. أنا تعبت من احساسي انك ممكن في يوم تطلبي الطلاق عشان الأمومة.. ده حقك وانا عارف ومش هلوملك أيًا كان اختيارك.

صوته مليء بالحزن واليأس.. ضعف ناتج عن قلة الحيلة والحب يتخفى تحت قناع من تصنع القسوة. أنهى الوقت الذي يقف فيه أمام منى سريعًا..

سمع صوتها خافتًا يناديه.. لم تركض خلفه.. لم تؤكد له أنها مازالت تحبه وتتمسك به.. رغم طلبه ذلك إلا أنه انفطر قلبه ألمًا.

* * *

جلس حسن ونادين ولميس في انتظار تامر في مكتبه، سألت نادين:

- مش هو اللي طلبنا.. مش موجود ليه؟

ردَّ عليها حسن:

- العسكرى بيقول انه على وصول وقاله نستناه لما نوصل.

بعد انتظار لم يدم طويلًا.. سمعوا صوت جلبة في الخارج ثم دخل تامر وصافح حسن وحيا نادين ولميس واستدار ليجلس على مكتبه:

- معلش يا جماعة أنا جبتكم من غير ما اقول في ايه.. بس انا وعدت ان كل حاجة هتتحل وفعلًا عرفنا كل حاجة.

حسن باهتمام:

- عرفت مين اللي كان خاطفها؟

- امبارح بعد ما فكرت في كلام لميس واللي عرفته منها أول حد استبعدته حميدة.. مع إنها ممكن تكون صاحبة الصوت بس لميس قالت إن الست كانت معاها طول الوقت وتأجير شقة وهدوم جديدة واهتمام وتكاليف ده طبعًا ميناسبش ظروف حميدة.. أما دكتور مختار والمهندس حسام واللي كل واحد فيهم ليه فعلًا مصلحة في خطف لميس كنوع من الانتقام كان من الصعب انهم يتحايلوا بالطريقة دي على لميس.. انهم يروحوا المدرسة ويكون معاهم رقم مامتها وان الست اللي تستدرج لميس يكون صوتها مألوف بالنسبة لها.. بالإضافة طبعا اننا عملنا تحرياتنا اللي استبعدتهم.. المهم كل الملابسات كانت تأكد ان أم خالد هي اللي خطفت نادين.. وبما انها كانت هنا في نفس الوقت اللي لميس كانت فيه مخطوفة فده تفسيره انها هي اللي استدرجت لميس وبعد كده اللي فضلت معاها واحدة تانية وطبعًا النقاب مداري وِش الاتنين.

ردَّت لميس:

- الصوت متغيرش.. الست اللي جت لي المدرسة هي نفس الست اللي فضلت معايا وانا متأكدة انها مش أم خالد.

ابتسم تامر وهو ينظر للميس نفس نظرته الثاقبة التي تخيفها:

- طبعًا.. مش هي فعلًا وده اللي عرفناه النهاردة.. من ساعتين بس.

سأله حسن:

- مين؟

- ده لو افترضنا من الأول صدق رواية لميس.

قالت لميس مستنكرة:

- يعني ايه؟؟ أنا هكذب ليه؟

تامر موجهًا حديثه لها:

- لما لقيتي نفسك هتتكشفي والموضوع بقى أكبر منك.. أو اتراجعتي عن اللي في دماغك.. يعني الأحسن تفسري لنا انتي.

بكت لميس وهي تنفى كلام تامر:

- أنا معنديش تفسيرات.. كل اللي حصل أنا قلته.

احتضنتها نادين لتهدئتها.. بينما شعر حسن أنه غير مصدق لاستنتاجه فأراد أن يتأكد:

- أنا مش فاهم.. ياريت توضَّحلي كلامك.

- شوف يا دكتور.. لميس اتفقت مع واحد انهم يمثلوا انها اتخطفت.. أجَّرت شقة وجابت هدوم بدل هدوم المدرسة ودي كانت غلطتها الأولانية.. وطبعًا المصاريف دي بالنسبة لها سهلة لأن معاها فلوس ومحدش بيحاسبها عليها.. بعتت الرسالة الأولانية عشان توهمك انها اتخطفت.. بعد كده يمكن ندمت أو اختلفت مع شريكها الله أعلم فعملت قصة رجوع عشان محدش يحاسبها ولا

يعرف، واتصلت بيك قالت الكلمتين اللي قالتهم ودى كانت تاني غلطة عملتها لأن رقم التليفون اللي اتصلت منه ده رقم الولد اللي كان معاها.

صرخت لميس:

- محصلش.. كل الكلام ده محصلش.

أكمل تامر:

- الولد اللي كانت معاه قبضنا عليه.. جبناه من مدرسته.. لسه طالب في تانية ثانوي.. دلوقتي هنستجوبه وهنعرف كل التفاصيل اللي لميس مش عايزة تقولها.

حسن يكاد يفقد عقله.. كان متخوفًا أن تكون لميس متغيبة بإرادتها.. لكن توقُّع الشيء مختلف تمامًا عن وقوعه بالفعل.. شعور بالغضب الشديد يجتاحه.. إحساسه بالخديعة وإشفاقه عليها أمس تحوَّل إلى كتلة من الغضب

رآها لميس في عينيه ارتجفت منها فأكدت باكية:

- محصلش يا بابي والله.. معرفش حاجة من اللي قالها دي.

ضغط تامر على زِر بجواره دخل على أثره العسكري، فأمره تامر: هات لي الولد من بره.

غاب العسكرى دقائق معدودة.. مرت على حسن كسنوات.. في انتظار معرفة الحقيقة الكاملة. دخل العسكري يصطحب شابًا لايتجاوز السابعة عشر من عمره.. يبدو الذعر على ملامحه.

قال تامر:

- محمد حسين.. تانية ثانوي.. ها.. اتعرفت على لميس ازاي؟

ردَّ محمد ناكرًا:

- معرفهاش.

بمجرد أن رأته لميس.. أكدت:

- يعرفني.. هو ده ابن الست اللي جت لي عند المدرسة وقابلناه وركب معانا التاكسي وكان بيجيلها الشقة اللي كنت فيها.

تعجب تامر ولكنه شك أنها إحدى الخطط التي تم الاتفاق عليها من قِبَل بين لميس ومحمد إذا تم افتضاح أمرهما.. فقال مهددًا محمد:

- لو مقلتش الحقيقة واتفقتوا على إيه وازاي.. هتشيِلك الليلة لوحدك.

ردت لميس وهي تبكي:

- متفقتش معاه ولا مع حد.

- أنا معرفهاش ومعرفش حاجة.

تامر بعصبية:

- متستعبطش يا واد انت.. رقمك هو اللي اتصلت لميس منه امبارح قبل ماترجع.. وكمان اعترفت عليك انك شاركت اللي خطفوها.. يعني لابساك لابساك .. فقصَّر كده وهات م الآخر.

محمد وهو ينظر حوله خائفًا:

- أنا عايز ماما.

تامر ساخرًا:

- ياروح ماما.

بكى محمد.. وسُمِع صوت جلبة بالخارج.. طرق العسكرى الباب ودخل، فسأله تامر "ايه الدوشة اللي بره دي"، فأخبره العسكري أنها سيدة تقول إنها واحدة محمد حسين، فقال تامر" هيَّ شرَّفت.. جت في وقتها خليها تدخل".

دخلت سيدة في أوائل الأربعينيات ولكنها تبدو أكبر.. فور دخولها ارتمى محمد بين ذراعيها يستمد الأمان منها.

تعلقت نظرات حسن ولميس بالسيدة مشدوهين.. عقدت المفاجئة لسانيهما بينما نظرت نادين للأرض، ردد حسن بعدم تصديق:

- هناء!!!

نظر له تامر وسأله:

- تعرفها؟

رددت لميس:

- عشان كده الصوت مكنش غريب عليا.. عشان كده كنتي بتطمنيني.

ردَّ حسن على سؤال تامر:

- واضح ان كلام لميس كله مظبوط.. هناء معرفة نادين من زمان.. بس مش عارف ليه عملت كده.

- أكيد عشان الفلوس طبعا.. كانت فاكرة انها هتطلع بمبلغ محترم.

بكت هناء وهي تضم ابنها ونظرت لنادين التي أشاحت بوجهها عنها.

قال تامر:

- طيب اتفضلوا انتوا يا دكتور.. غالبا مش هحتاج لكم تاني هنا لأني هحوّلِهم على النيابة بعد أخذ أقوالهم.

صرخت هناء:

- نيابة!!!

تامر ساخرًا:

- أومال يعني فاكرانا جايبينك نضايفك انتي والمحروس.

تقدمت هناء خطوات نحو نادين:

- نادين.. بيقولك نيابة.. ابني مستقبله هيضيع واخواته هيتشردوا من غيري.

نهضت نادين والدموع تملأ عينيها:

- لو احنا اتنازلنا عن البلاغ.. يقدروا يمشوا.

ردَّ حسن منفعلًا:

- تنازُل ايه.. أنا مش هتنازل عن حاجة.

- عشان خاطرى يا حسن.. نتنازل ونرجع لحياتنا وهناء وابنها يرجعوا لحياتهم.

- استحالة.. دول مجرمين استغلوا انك كنتي بتعطفي عليهم طول السنين اللي فاتت دي وخطفوا بنتك.. ازاي عايزانا نتنازل.

هناء لنادين وهي تبكي:

- نادين.. أنا وولادي هنضيع.

تعجب تامر من الحوار المستتر بين نادين وهناء والذى شعر به نتيجة حسه الأمني ولم يلحَظه حسن.. لم يتدخل في الحوار بل ظلَّ متابعًا له.. توسلات نادين لحسن.. والقوة الغامضة التي تتحدث بها هناء أثارا انتباهه.. فقرر أن يقطع الحوار ليفهمه:

- مدام نادين.. المجرم لازم يتعاقب مهما كانت ظروفه.. شاب زي ده لو مخدش عقاب دلوقتي هيبقى مع الوقت مجرم كبير.

بكى محمد بصوت مرتفع وتامر يصفه بالمجرم.. تحولت هناء لمدافِعة عن ابنها ونهت تامر قائلة:

- ابني مش مجرم ولا احنا عمرنا كنا مجرمين.. اتكلمي يا نادين.

انهارت نادين باكية وهي تجلس.. ولا أحد يعرف سبب بكائها الشديد، سأل تامر:

- ما تتكلمي انتي يا هناء..

- هتكلم.. مفيش حل غير اني اتكلم.. زي ما دكتور حسن عارف أنا اعرف نادين من حوالى 20 سنة واكتر.. كنت بشتغل معاها قبل ما تعتزل التمثيل.. وابني محمد اتولد على إيدين دكتور حسن وده كان سبب تعارفهم.. لما اعتزِلت علاقتنا متقطعتش كانت دايمًا بتسأل عليا وانا كنت بروح لها كتير برضه.. وزي ما الدكتور قال كانت فعلًا بتعطف عليا كل ما ظروفي تتلخبط مكنش حد بينجدني غيرها.. من أسبوع بس نادين جت لي البيت وحكت لي انها قد ايه تعبانة بعد بيتها ما اتخرب والدكتور هيتجوز وانها محتاجة مساعدتي عشان يرجعوا لبعض.. أنا في الأول خفت بس مكنش قدامي اختيار.. ياما وقفت جنبي وساعدتني وانا محتاجة لها فأكيد لما تحتاجلي لازم أرد جزء صغير من جمايلها عليا.. اتفقنا على كل حاجة.. أجَّرت شقة في الشروق واتفقت مع واحد جارنا عنده تاكسي وحكيت له الحكاية كلها وكنا مستنيين اليوم اللي هننفذ فيه.. كانت لميس مبتروحش المدرسة كل يوم واليوم اللي راحت فيه اتصلت بيا نادين وقالت لي اننا هننفذ اليوم ده وفي معاد المدرسة روحت وعملت كل اللي قالتلي عليه ونادين قفلت تليفونها عشان لما لميس تتصل بيها تلاقيه مقفول وتضطر تصدقني وكنا محضَّرين هدوم وكانت مديَّاني فلوس عشان أي حاجة لميس

تحتاجها اجيبهالها.. ولما الدكتور حسن صمم يبلغ اتصلت بيا وقالت لي اني اتصل بيه واعمل اننا خاطفينها عشان فدية.. لما مردش بعتناله رسالة.. لحد امبارح نادين كلمتني وقالت لي انها ندمت انها عملت كل ده واني ارجَّع لميس تاني وننسى اللي حصل ومنقولش لحد.

تحولت كل النظرات لنادين.. ابتعدت لميس عنها وهي توجه لها الاتهام:

- معقول.. انتي يا مامى اللي تعملس فيا كده؟!

اقتربت من حسن تتمسك به.. بينما ينظر حسن شذرًا لنادين.. حاولت نادين الدفاع عن نفسها:

- كل اللي عملته ده علشانك يا لميس.

ردَّت لميس:

- علشاني ازاي؟؟ تخليني اعيش أسوأ 3 ايام في حياتي وكل لحظة بتعدي عليا ابقى مش عارفة هتقتل ولا هيعملوا فيا ايه وتقولي علشاني.

- مش انتي اللي كنتي عايزانا نرجع مع بعض.. مش انتي اللي شفتى اني السبب في اللي حصل.. حاولت مع حسن اننا نرجع بس هو مهتمش ومقدرتش اطلبها منه صريحة.. مكنش قدامي حل تاني.

تدخلت هناء قائلة:

- نادين.. أنا وابني ملناش ذنب في كل ده.. أنا كل اللي عملته اني كنت عايزة اساعدك.. طلعيني من الورطة دي.

- متخافيش يا هناء، وتوسلت لحسن وهي تبكي:

- هناء مالهاش ذنب يا حسن.. نتنازل عن البلاغ ونصفي اللي بيننا في البيت.

تامر مقاطعًا:

- بيت ايه يا مدام.. انتي وهما دلوقتي متهمين.

فوجئت نادين بتوجيه الاتهام لها:

- متهمين ايه؟؟ أنا مفيش تهمة ضدي.

تامر موجهًا حديثه لحسن متجاهلًا الرد عليها:

- طيب حضرتك تقدر تتفضل مع لميس.. وبكرة الصبح هيترحَّلوا على النيابة.

سأل حسن على استحياء رغم امتعاضه وغضبه من نادين:

- ونادين؟

- هتتحجز طبعا والنيابة هي اللي هتقرر.

نادين متوسلة باكية:

- حسن.. اتصرف هيحبسوني.

تامر:

- قبل ما تتكلم يا دكتور.. المحضر أخد رقم وانا مبقاش في إيدي أي حاجة.. القرار الأخير للنيابة بعد ما انت تقرر هتكمِّل البلاغ ولا هتتنازل.

* * *

وصل حسن للمركز في الثالثة عصرًا.. كانت بانتظاره العديد من مريضاته فانهمك في العمل بمجرد وصوله ولم يتسنَ له السؤال عن منى.. حتى جاءته منى بعد ثلاث ساعات دخلت له بين كشفين:

- حسن أول ما الدنيا عندك تهدى كلمني.. عايزاك.

لاحظ نبرتها الحزينة وملامحها المتجهمة:

- انتي عندك شغل؟

- لأ.. أنا لسه جاية من ساعة خلصت عملية بسيطة وفاضية.

- مالك؟

- مش هعطلك.. لما تخلص كلمني.

أكمل حسن عمله.. وبمجرد أن وجد وقت اتصل بمنى واستدعاها، جاءته فورًا.. جلست أمامه فسألها:

- إيه مالك؟

فقالت متذكرة

- حسن، أنا نسيت اسألك عملتوا ايه النهارده والمباحث وصلت لحاجة ولا لا.. معلش أنا اتلبخت بحالي.

- وصلوا.

- ومالك مش فرحان كده.. احكيلى التفاصيل.

- أحكي ايه.. انا لسه مش مصدق أو تقدري تقولي مش مستوعب.

تذكرت منى تخمين أسامة.. ان لميس متغيبة برغبتها للضغط على حسن ونادين.. فسألته للتأكد:

- لميس مكنتش مخطوفة فعلًا؟

- انتي كمان كنتي شاكة انها هربانة؟

صمتت منى ولم تجب.. فأكمل حسن:

- لا هي كانت مخطوفة مش بمزاجها.. بس عارفة مين اللي كان خاطفها.. نادين.

صرخت منى بعدم تصديق:

- لأأأأأأأأ.. مش معقول.. طب ليه ؟؟ ازاي؟؟

قص حسن ما حدث أثناء التحقيق وما حضرُه من اعترافات هناء ونادين:

- معقول نادين تعمل كده.. بس هقول ايه ؟! هي بتحبك أوي والغيرة خلتها تتصرف من غير ما تفكر.

- الغيرة تخليها تخطط لجريمة.. ومين الضحية.. بنتها!!

- مش عارفة يا حسن.. مش قادرة احملِّها الذنب ولا قادرة اتعاطف معاها.. هي غلطانة طبعا بس برضه اللي دفعها لكده انها بتحبك والحب عماها عن التفكير.

- مفيش مبرر يا منى.. نادين غلطت غلطة لا تغتفر.. انتي مش متخيلة لميس مصدومة ازاي.

- يا حبيبتي.. طيب وهيَّ فين دلوقتي؟ وموقف نادين ايه؟

- لميس عندي في البيت مقدرتش اسيبها تبات لوحدها.. أما نادين فاتحجزت وأنا كلمت طارق وقالي ان موقفها هيكون حسب قراري.

- بمعنى؟

- يعني ممكن اتهمها بالإهمال أو بإخفاء لميس عمدا عنِّي بالاشتراك مع آخرين وهنا البلاغ يتحول قضية وممكن اسقط عنها حضانة لميس.. أو اتنازل وهيَّ وهناء وابنها يخرجوا والبلاغ يتحفظ.

- وانت ناوي تعمل ايه؟

- انا متغاظ منها أوي.. وعايزها تتعاقب.

- معلش يا حسن.. التمس لها العذر.

- لسه مش قادر اقرر هعمل ايه؟.. المهم قوليلي كنتى عايزانى في ايه؟؟ مالك؟

- أسامة ساب لي البيت ومبيكلمنيش.

- ساب البيت دي عادي كل ما بيزعل بيسيب البيت وبيرجع.

- بس المرة دي قالي افكر واختار نكمل مع بعض ولا نتطلق.

- ليه ايه اللي حصل عشان توصل لكده؟

ترددت قليلًا ثم أجابت:

- أسامة بيتعالج من فترة واحنا مكنَّاش بنقول لحد.. آخر تحاليل عملها بتقول ان الخلفة شبه مستحيلة.

اكتست على وجه حسن ملامح الأسى.. وحاول اختيار الكلمات المناسبة:

- بصي يا منى.. أنا عارف انك بتحبي أسامة أوي.. بس برضه انتي ست وغصب عنك أكيد مشتاقة لانك تبقى أم.

- أيوة نفسي.. نفسي أوي ابقى أم.

سالت الدموع من عينيها غزيرة:

- تخيل انا اللي كل يوم بيتولد على إيدى أطفال.. مش قادرة اشيل جوايا طفل مني ومن الراجل اللي بحبه.. مش عارفة اوصفلك احساسى يا حسن.. أنا أول مرة اتكلم مع حد في الموضوع ده حتى أسامة نفسه دايمًا بأكد له انه أهم عندي من أي طفل.. ومش بكذب عليه بس ساعات غصب عنِّي بشتاق لطفل.. تخيل انا بخاف على الحالات اللي عندى اني احسدهم.

انفطر قلب حسن على منى.. اعتقد كثيرًا أنها هي من تؤجل الإنجاب بإرادتها حفاظا على عملها واهتمامها به أكثر من أمومتها.. لأول مرة يُفتح بينهما موضوع

الإنجاب.. ولأول مرة يسمع ما تخفيه منى بداخلها رغم اعتقاده أنه يعلم عنها كل صغيرة وكبيرة. نهض من مكتبه وجلس على المقعد المقابل لها.. ربت على يديها:

- منى.. ده أمر ربنا.. وعموما الاختيار دلوقتي بين إيديكي.

- اختيار صعب أوي.

- عشان صعب لازم تفكري كويس.. وتفكري بعقلك اكتر.

- طيب ازاي هفكر بعقلي والاختيارين متعلقين بمشاعري.. حبي لجوزي اللي مش عايزة راجل غيرُه في حياتي.. وقلبي اللي بيتقطع وروحي اللي متشعلقة في طفل بتمناه.

- ده حال الدنيا.. ربنا مقسم الأرزاق وكلنا اخدين نصيبنا على اختلافه.

- ونعم بالله.

طرقات خفيفة على الباب.. دخلت بعدها سكرتيرة حسن.. مسحت منى دموعها بسرعة.. أخبرته السكرتيرة أن هناك عدة حالات تنتظره بالخارج.. بعد خروجها نهضت منى:

- كفاية مش هعطلك.. هروح اشوف شغلي.

- طيب.. فكري كويس يامنى عشان متندميش بعدين.

- حاضر.. قولي كلمت أماني؟

- كلمتها النهارده بس بسرعة .. على فكرة لنا محكيتلهاش حاجة على نادين.

- طيب مش هتكلمها تاني؟

- لا هكلمها بالليل لما اخلص.

- طيب ممكن تبقى تسأل على أسامة.. كأنك انت اللي بتسأل يعني مش انا.

ابتسم لها حسن مشفقًا عليها من حيرتها:

- طيب ما تكلميه وتسألى عليه.. المفروض انكم مش متخاصمين.

- الصبح كلمنى بطريقة صعبة.. وبصراحة انا اتخنقت من كل شوية يقولي نسيب بعض.. أنا بقيت حاسة ان حياتي معاه مش مضمونة.

- منى.. لازم تعرفى ان احساس الراجل بالعجز صعب أوي عليه.. مش سهل انه يبان مهزوم قُدَّامك.. أكيد بيقولك كده عشان يحس انه لسه قوي قُدَّامك وانه يقدر يسيبك.. ولو اني اشك انكم تقدروا تستغنوا عن بعض.

ابتسمت منى بعينيها الدامعتين.. تمنت لو أن أسامة لم يضع في يديها الاختيار.. تمنت لو انه لم يخبرها بنتيجة التحاليل..قبل أن تفتح باب المكتب.. سمعت حسن يستوقفها:

- منى.. عايز انبهك لحاجة كمان.. وانتي بتفكري متحطيش علاقتي بأماني في اعتبارك.. اختاري بعيد عن أي حاجة.

- حاضر.

* * *

لاحظت أماني وجود أسامة لوقت متأخر.. لم يكن وجوده غريبًا فهو معتاد على زيارتهم يوميًا.. ولكن اليوم هناك شيء غير معتاد.. لم تتبين كنهه ولكنها تشعر به

بعد أن نامت والدتها.. جلس أسامة أمام التليفزيون لكنه لا يتابع ما يعرض على الشاشة، أحضرت أماني كوبي شاي.. ناولت أسامة أحدهما وتناولت الآخر:

- إنت بايت معانا النهاردة؟

- إن شاءالله.

- هيَّ منى عندها شغل؟

تردد قليلًا ثم أجابها:

- مش عارف.

لاحظت أماني لهجته الحزينة.. فسألته:

- انتوا متخانقين؟

- لأ.

- مالك يا أسامة.. أنا حاسة انك زعلان.. في ايه ومش بتتكلم ليه؟

- ما انتي كمان زعلانة.. مش بتتكلمي ليه؟

- أنا؟!

فوجئت أن أسامة يشعر بها.. حاولت أن تطمئنه:

- أنا كويسة.

- لأ مش كويسة.. حسن صح؟

توقف الكلام للحظات.. فكرر أسامة سؤاله:

- قوليلى يا أماني.. صحيح حسن بيكلمك زي ما بتقولي ولا من ساعة حكاية بنته وهو ناسيكي.

- بيكلمني.. زي ما يكون تأدية واجب مش أكتر.

- أماني.. لو مش مرتاحة للجوازة دي بلاش تكملي فيها.. مش عايزك تكرري غلطتك تاني.

- من غير ما تقول.. ده اللي بفكر فيه فعلًا.

- أنا كمان بفكر اطلق منى.. احنا الأحسن نبعد عنهم خالص.

انزعجت أماني مما قاله أسامة.. فقالت معترضة:

- ليه.. انت ومنى مالكم.. سواء انا وحسن كمِّلنا ولا لأ خلي علاقتك بمنى بعيد عننا.. متخلنيش أحس اني خربت بيتك.

- انتي ملكيش دعوة بقراري ده.

- طيب ليه بتقول كده.. دي منى بتحبك أوي وانت كمان بتحبها.. ليه بتفكر تسيبوا بعض.. اوعى تقول كده تانى.

لم يبرر.. لا يستطيع الاعتراف بعجزه.. فضَّل أن يبقى الأمر سرًا حتى وإن تم الطلاق فلن يبوح بالسبب الحقيقي وسيطلب من منى أيضًا أن يبقى الأمر سرًا بينهما.

استيقظت والدتهما.. تعجبت من وجود اسامة:

- إحنا الساعة كام ياولاد.

ردَّت أماني:

- 12 يا ماما.. ايه اللي صحَّاكي؟

- رايحة الحمَّام.. انت هنا يا اسامة؟

- أه يا ماما.. بايت معاكم النهاردة.

- تنوَّر يا حبيبي.. أماني عشِّيتي اخوكي؟

- لأ لسه.. هقوم اهو.

سار اتفاق غير معلن بين أماني وأسامة ألا يكملا حديثهما أمام والدتهما.. فكل منهما لم يقرر نهائيًا ماذا سيفعل في الأيام المقبلة.

* * *

- 20 -

ليلة عصيبة أرَّقَت الجميع باختلاف أماكنهم، ورغم البعد الذي يفصل بينهم.

أسامة.. يفكر في كيف ستكون حياته بدون منى.. كيف سيخبر والدته التي تنتظر أن ترى حفيدًا لها أنه عاجز عن تحقيق حُلمها.. هل سيكمل حياته وحيدًا بدون زوجة أو أطفال.. الأفكار المتلاحقة تمنعه النوم.. يمسك هاتفه ويقلِّب الصور التي تجمعه بمنى وتتساقط دموعه..

في الغرفة المجاورة.. تنام أماني مستيقظة بجانب والدتها التي تغط في نوم عميق.. تتذكر مكالمة حسن قبل ساعة.. تتذكر كل كلمة جاءت بها.. لايؤكد حبه لها ولا يخبرها بأنه لا يريدها.

حيرة.. لا تستطيع أن تتخذ قرارًا ينقذها من حيرتها.. تدعو الله في سرها أن يلهمها القرار الصائب.. تمسك دبلتها بيدها اليسرى وتديرها حول إصبعها دون أن تخلعها في حركة لا إرادية انتابتها قريبًا في الأيام الماضية.

في مكان آخر.. تحديدًا شقة حسن.. تنام ميس في غرفتها التي لم يكتمل فرشها بعد.. تشعر بالغربة وتفتقد غرفتها جدًا.. تحاول تصديق ما سمعته من اعترافات صباح اليوم.. مستاءة من تصرُّف نادين وتفكيرها على هذا النحو..

غضبها واستياءها لم يوجدا لها المبرر لتقنع حسن أن يتنازل عن البلاغ.. بل لم تستطع مناقشته وتعمدا تجاهل الأمر تمامًا رغم أنه يملأ تفكيرهما.

في الغرفة المجاورة.. يجلس حسن يفكر.. هل يغفر لنادين زلتها ويكمل ما كان ينتويه؟.. هل يدعها تتحمل ما جنته يداها وعقلها؟ ولكن ماذنب هؤلاء البسطاء الذين أودعوها ثقتهم.. لن يستطيع الغفران.. فكل ما آلت إليه حياته من عدم استقرار وتدهور له ولابنته سببه نادين وقراراتها وتفكيرها ولابد أن تُعاقب وتتعلم من خطأها.

أسوأ ليلة قضتها نادين بين أربعة جدران.. لم تتوقع أبدا انها تمر في حياتها بموقف كهذا..قضت ليلتها جالسة تبكى حتى جفت دموعها.. ظلت تتحاشى النظر لهناء التي جلست في ركن قصي تبكي أحيانًا وتصمت قليلًا ثم تستأنف البكاء.

ظنت أنها أصلحت خطأها عندما اتصلت بهناء لتعيد لميس.. آخر ما توقعته هو مكالمة لميس التي فضحت خطتها بعدما كانت قاب قوسين أو أدنى من انتهاء كابوس حياتها وإحساسها بقرب عودة حسن لها.. لم تدرِ أنها ستفيق على كابوس آخر أشد قسوة.

أما هناء فكانت نادمة على موافقتها على مساعدة نادين.. تبكي مستقبل ابنها الذي بين يدى حسن.. تشعر بالذنب لأنها السبب في ضياع مستقبل بكريها دون قصد.. تتذكر أولادها الصغار فتحلق روحها بعيدًا وتتخيل حالهم وحدهم بدونها.. تبكي ندمًا وحزنًا وقهرًا، وتختلس نظرات عاتبة لنادين فلا تجد صدى لنظراتها.. تتعب من البكاء تصمت لتلتقط أنفاسها ثم تتذكر أولادها فتبكي ثانية.

في جزء آخر من نفس المكان ولكن في غرفة أخرى.. تحديدًا حجز الرجال..

يجلس محمد مقرفصًا في ركن قصي بعد تلقيه "علقة ساخنة" من الموجودين عندما رد على أحد البلطجية بأسلوب غير لائق من وجهه نظر الأخير.

تحفر دموعه الساخنة خطوطًا حارة على خديه.. يتساءل عن الذنب الذي زُجَّ به في مكان أبعد ما يكون عن تخيله.. ترسم الهواجس مستقبلًا أسود يمحو كل أحلامه الوردية السابقة.

* * *

مضى وقتٌ طويلٌ حتى تم ترحيل المتهمين للنيابة .. هناك قطعت هناء الصمت:

- نادين.. هو ممكن دكتور حسن ميطلعناش؟

- معرفش يا هناء.

- متعرفيش يعني ايه؟.. هو ده ذنبي اني وثقت فيكي وسمعت كلامك.

- انا كنت اعرف منين ان ده هيحصل.. أنا هجيب محامي كبير يشوف لنا حل ويخرجنا.

- حل ايه بس.. إوعي تسيبيني لوحدي.. انتي مامتها وممكن ميجيش عليكي حاجة.. انما أنا وابني...

صمتت فجأة.. ثم أردفت بعد تفكير سريع وانقطاع الأمل:

- خلاص يا نادين.. أنا مستعدة اشيل الحكاية كلها لوحدي بس ابني يخرج.

- متخافيش يا هناء.. أنا مش هتخلي عنك.. صدقيني انا من الأول مكنش في بالي حاجة وحشة تحصل وحاولت اخلي أحسن ميبلغش من الأساس.. بس اللي حصل حصل.

- لو رسيت عليا مش مهم.. المهم ابني يخرج ويخلي باله من اخواته.

جاء عسكري اقتادهم لمكتب وكيل النيابة.. وقبل دخولهم للتحقيق، وجدت نادين طارق المحامي في انتظارها مع حسن ولميس.. ظنت أن لميس ستهرول إليها شوقًا.. لكن خاب أملها حين وجدتها ساكنة مكانها بجانب حسن.

اقترب منها طارق:

- عاملة ايه يانادين؟

- طارق.. الله يخليك شوف لي حل يخرَّجني من هنا.. وهناء وابنها مالهمش ذنب.

- اطمِّني.. حسن مش هيتهمك بحاجة.. احنا هنقول ان لميس كانت عند هناء بمعرفتك وان حسن لما بلغ مكنش يعرف.. وإن شاءالله البلاغ يتحفظ وهتخرجوا.

ظلت هناء تدعو لطارق وهي تبتسم بعيون دامعة لابنها.

* * *

انتهت الإجراءات في النيابة.. وصدق طارق وتمَّ حِفظ البلاغ. خرجوا جميعًا.. لميس تمسك بيد حسن تتبعهما نادين بانكسار.. وهناء وابنها بمحاذاتها.. بمجرد أن خرجوا للشارع اختفت هناء وابنها في الزحام دون وداع.

صافح طارق حسن وودعه بالقرب من سيارتهما.. شعرت نادين بالحرج من إهمالها وتجاهلها، فتحدثت بصوت خفيض:

- لميس.. يالا نروح.

التفت لها حسن.. ودون أن يتحدث أو ترد لميس، فتح الباب الخلفي للسيارة وأشار لنادين بالركوب.. توقفت لحظات.. ثم رفضت:

- شكرًا.. أنا هاخد تاكسي.

ردّ حاسمًا:

- اركبي عشان في كلمتين مهمين هقولهوملك واحنا في الطريق.

ركبت طائعة في صمت.. يحزنها صمت لميس وجفاء حسن وتشعر بالحرج الشديد جراء فعلتها.. أرادت أن تعتذر.. أن تكسر الصمت والجفاء:

- أنا أسفة يا حسن.. بس انا عملت كده علشان...

قاطعها وهو يناولها جريدتين

- مفيش مبرر للى عمليته.. اتفضلي جرايد النهارده وشوفى الفضايح اللي فيها وخبر حبسك.. ده غير المواقع اللي على النت اللي بتتكلم عن الخبر من امبارح.. تليفون لميس مبطلش رن من اصحابها اللي قرأوا الأخبار لحد ما انهارت ومبقاش عندها أي رد ترد بيه على الناس.

- هتفضل تبهدل فيا كده كتير.

- انتي تستاهلي أكتر من كده.. إوعي تكوني فاكرة اني ممكن اسامحك بسهولة على اللي عملتيه.

- ايه القسوة اللي بقيت فيها دي.

- قسوة!! واللى انتي عملتيه مكنش فيه قسوة.. أنا عمال اتخيل ازاي قدرتي تخططى وتنفذي وتمثلي عليا كده.. خدعتيني كده ازاي مش عارف.

ردت وهي تبكي:

- كفاية بقى يا حسن.. أنا اللي عملته ده كان عشان بحبك.

ردَّ بعصبية:

- نادين.. متبرريش بمبررات ساذجة ومش مقبولة.

ردَّدت بألم:

- مبررات ساذجة؟!

- أيوة.. عيشي الواقع اللي اخترتيه ومش هيتغير.. إحنا خلاص اتطلقنا وبعد ماكنت بفكر نرجع لبعض أنا دلوقتي ندمان اني فكرت في لحظة اني ارجعلك تاني.

شعرت بإهدار كرامتها.. فقالت متصنعة القوة:

- أنا مش بترجاك.. نزلني هنا.

لم يتوقف بالسيارة.. اكمل كلامه وكأنه لم يسمعها

- أنا وقفت جنبك وخرجتك من مشكلتك عشان بنتي وبس.

صرخت فيه وهي تبكي:

- خلاص يا حسن.. كفاية.

ساد الصمت الثقيل حتى توقف حسن بسيارته أمام منزل نادين.. ترجلت من السيارة.. ووقفت تنتظر نزول لميس ولكنها لم تفعل.

- انتي منزلتيش ليه؟

سألت لميس.. التي ردت دون أن تلتفت لها:

- هقعد عند بابي.

- ودراستك ومذاكرتك وامتحاناتك اللي قربت.

- اخدت حاجتي امبارح.

صُدمت نادين.. فسألتها متوسلة:

- هتسيبيني؟!

قاطعهما حسن:

- لميس هتيجي تقعد عندي فترة لحد ما اعصابها ترتاح.. عايزة حاجة؟

ردت نادين بآلية:

- شكرًا.

تحرك حسن بالسيارة ونادين واقفة مكانها تنظر للسيارة التي اختفت بعد قليل في الزحام.. بعد انسحاب روحها معهما.

*** * ***

أدت مَنى عملها بملل وكآبة غير معتادة عليهما.. لأول مرة تشعر بروتينية العمل الذي تعشقه وتخلص له. بين كل كشف وآخر تنظر لهاتفها مستجدية علها تجد اتصالًا من أسامة.. تتذكر ليلتها الماضية التي قضتها وحدها.. وسألت نفسها هل ستستطيع أن تكمل حياتها وحدها.. بدون أسامة أو مع رجل آخر؟

كانت الإجابة جلية ولكنها أرادت أن تعطي نفسها المزيد من الوقت للتفكير بروية كما طلب منها أسامة.. تخشى أن يضيع المزيد من العمر بجواره ثم يتركها فجأة في إحدى نوبات المثالية والتضحية التي انتابته في الأونة الأخيرة بعد معرفتها بحالته.

*** * ***

أثناء توصيل حسن للميس.. كان يختلس النظرات ومنتظر منها أي تعليق ولكنها لم تفعل.. سألها:

- مش ملاحظة ان معاملتك لمامتك النهارده مكنتش كويسة؟

- غريب سؤالك..

- ليه غريب؟

- يعني.. كنت لسه من شوية بتزعق لها وبتكلمها بكل شدة ودلوقتي بتسألني عن معاملتي.

- أنا غيرك.. علاقتى بيها غير علاقتك بيها.

- وانا اللي قاسيت بسبب فكرتها الغريبة الشاذة.. ازاي أم تعرض بنتها لموقف زي ده.

- إلتمسي لها العذر.. هيَّ غلطانة طبعا بس مهما تعمل دي امك اللي الرسول عليه الصلاة والسلام وصاَّكي بحسن معاملتها.

- عليه الصلاة والسلام.. مش قادرة اكلمها ولولا ان كان لازم اجي النيابة النهارده مكنتش حبيت اشوفها.

- طيب يا ميس.. أنا مش هتكلم معاكي في الموضوع ده دلوقتي وهستنى لما تهدي.. بس لازم تحطى في اعتبارك ان مامتك مهما تعمل لازم تعامليها بما يرضي الله.. المهم كفاية اللي ضاع وترجعي بقى تشوفي اللي فاتك وتنتظمي في دروسك.

- حاضر.

توقف حسن أمام منزله.. سأل ميس:

- أطلع اوصلك لحد فوق؟

- لأ.. هطلع انا.

- أخدتي المفتاح اللي سبتهولك قبل ما ننزل.

- أيوة معايا.. متقلقش يا بابي.

- ماشي.. لما تطلعي كلميني.. ولو احتاجتي أي حاجة قولي للبواب يجيبهالك.. هتلاقي فيه فلوس في درج المكتب.

- ماشي يا بابي.. سلام.

انتظر حسن أمام العمارة حتى دخلت ميس وركبت المصعد.

* * *

عاد أسامة من عمله.. استقبلته والدته بترحاب كعادتها اليومية كلما خرج وعاد.. عادة لم تتغير قبل أو بعد زواجه، نادت على أماني:"حضَّري لاخوكي الغدا".

دخلت خلفه وهو يغير ملابسه.. سألته:

- مقولتليش يعني؟

- خير؟

- في ايه بينك وبين مراتك؟

تردد قليلًا قبل أن يجيب.. لا يعرف هل أخبرتها أماني بما حكاه لها.. ثم أجاب بلا مبالاة تاركًا الحديث يكشف ما يجهله:

- مفيش حاجة.

- انت فاكرني عبيطة ولا مبحسش.. انت زعلان ومخبى بس عينيك فاضحاك.. بايت هنا ولا بتتصل بيها ولا بتتصل بيك.. ايه اللي حصل؟

تأكد أنها لا تعرف شيئًا مما دارَ بينه وبين أماني.. فأجابها:

- مفيش حاجة.. هي بس عندها شغل وبتبات في المركز عشان حسن سايب عليها الشغل كله الكام يوم اللي فاتوا وانا بزهق فقلت اقعد هنا لحد ما الامور تستقر.

- يعني مش عايز تحكي؟

قبّل رأسها ورسم ابتسامة مزيفة على شفتيه.. وسألها مغيِّرا دفة الحديث

- اتغديتي؟

- أه .. أنا وأماني أكلنا من بدري.

سمعا صوت أماني تنادي.. فقالت:

- روح اتغدى.. هروح ألحق اتفرج على المسلسل.

جلس أسامة على السفرة.. جلست أماني معه.. مترددة

لاحظ ترددها.. فسألها:

- مالِك؟

- قلقانة عليك.. في ايه بينك وبين منى؟

- مفيش.. انتي زعلانة علشاننا؟

- طبعًا.. بس فيه حاجة تانية كمان.

- ؟؟؟

- أنا قررت افسخ الخطوبة.

لم يندهش أسامة كما لو أنه توقع خبر كهذا، أكملت أماني مبررة:

- حسن بيكلمنى وفى نفس الوقت معرفش عنه حاجة.. دقيقتين تلاتة كل يوم.. يعني مثلا قالي ان لميس رجعت وانا عرفت من النت ان نادين هي اللي كانت عاملة الفيلم ده ومحبوسة من امبارح.

تعجب أسامة.. وردد :

- نادين؟!! معقول؟

- أيوة.. وحسن ولا قالي أي حاجة من دي.. وحاجات من دي كتير.

- وانتي مسألتيهوش ليه؟

- انا لا بسأله.. ولا بتصل بيه.. بصراحة كده حاسة ان بيننا حواجز مش عارفة اتخطاها.. يعني حاساه الدكتور حسن قريب مراتك مش واحد المفروض هيكون جوزي.. فاهمني؟؟

- فاهمك.. بس انا كنت فاكر انكم بدأتوا تاخدوا على بعض.

- فعلًا.. أنا استغربت نفسي لما لقيتني بتعامل معاه بتلقائية كده وخصوصًا لما كنا بنختار حاجات لشقتنا.. كنت عايشة في سعادة وحلم مش مصدقاه بس ملحقتش هما أيام.. وفجأة لما لميس اختفت وظهرت نادين في حياته تاني.. الحواجز اللي بيننا رجعت أصعب من الأول بكتير.. حسيت اني مش من حقي اكلمه.. مش من حقي استفسر عن تفاصيل يومه.. هو اللي حط الحواجز دي ببعده وانا مقدرتش اقتحمها.

ظلَّ يستمع لها وهو يتناول طعامه ببطء.. تفهم أسامة كل ما قالته أماني.. فنظر لها متسائلًا:

- فكرتي كويس وده قرارك؟

ردت والدموع ترقرق في عينيها:

- أيوة.

هزَّ رأسه دون أن يتكلم.. يفكر كيف ستصير الأمور.

* * *

انتهى حسن من عمله مبكرًا.. اتصل بمنى وسألها متى ستنتهي فأخبرته أن متبقي لديها حالات قليلة.. فأخبرها أنه سينتظرها لأمر هام.

اتصل بلميس يخبرها أنه لن يتأخر.. وبعد أقل من ساعة جاءته منى:

- خلصت شغل؟

- اه.. ومستنيكي.

- سألته وهي تجلس.

- خير؟؟

- أنا فيه خطوة مش قادر اخدها إلا لما نتفق الأول؟

- خطوة ايه؟

- دلوقتى أنا عايز اقرر مصيري مع أماني.

صمتت منى قليلًا.. ثم ابتسمت ابتسامة حزينة:

- مبروك يا حسن.. ربنا يتمم بخير.

- ما انا مش قادر اقرر إلا لما اعرف انتي قررتي إيه؟

- ممكن تستنى بس لحد بكرة.. وهقولك قراري النهائي.. بس أيا كان قراري مش عايزاه يأثر على جوازك.. ممكن؟

ردَّ حسن وهو يفكر.. إن تم الطلاق بين منى وأسامة.. هل سيكمل مع أماني حقا.. أم يتراجع ويفكر في زوجة أخرى.

فأماني وإن لم يرَ منها ما يضيره فهو في المقابل لم يقع في حبها.

* * *

في الصباح وبعد ليلة طويلة قضتها منى في التفكير.. نظرت للساعة وجدتها الثامنة صباحًا،أمسكت هاتفها وضغطت على زِر الاتصال بأسامة.. أتاها صوت أسامة هادئًا.. فتكلمت بنفس الهدوء:

- صباح الخير يا أسامة.

- صباح النور.. ازيك.

- الحمدلله.. معلش اتصلت بيك بدري.. أنا خلاص أخدت قراري.

- صمت أسامة قليلًا.. صمتًا ثقيل تلاحقت أنفاسه حتى سمعتها منى.

فأجابته قبل أن يسأل:

- مش هينفع في التليفون.. ممكن نتقابل قبل شغلنا.

- فين؟

- أكيد مفيش مكان مناسب فاتح دلوقتي.

- نتقابل الضهر؟

- مش ضامنة وقتي.

صمت أسامة.. فبادرته منى:

- ممكن تيجي؟

لم تتلق ردًا.. شعرت بتردد.. ففسرت:

- احنا لسه متجوزين على فكرة.. ومفيش فرق مين ييجي للتاني أنا ممكن اجيلك بس عشان نتكلم براحتنا، الأفضل انك تيجي.

- ماشي يا منى.. هقوم البس واجيلك.

- في انتظارك.. مع السلامة.

أغلقت الهاتف.. وجلست تفكر في الساعات القادمة.

* * *

توقف أسامة أمام الباب.. يده في جيبه يتحسس مفتاح الشقة.. وبعد تردد، أخرج يده خالية ورن جرس الباب.. دقائق.. وفتحت منى الباب وهي ترتدي ملابسها كاملة وكأنها تستعد للخروج.. وكأنما وصلته رسالتها ببُعده عنها وبعدها عنه.

أفسحت له الطريق قائلة:

- مفتحتش بالمفتاح ليه؟

- شكلك نازلة.

- لما نخلص كلامنا هروح الشغل.. انت عامل ايه؟

الجو المحيط بهما يسوده الرسمية.. هناك شيء ما تغير أو انكسر، سألته بتلقائية

- فطِرت؟

- الحمدلله.

التفتت له وقالت ببساطة:

- شكلك ملحقتش تفطر..أأنا محضرة الفطار نفطر مع بعض.

شعرَ بالضيق واللعب بمشاعره وهو في انتظار قرارها.

- منى.. أنا مش جاي آكل.. انتي قلتي هنتكلم.. أنا عايز اعرف ردك.

اتجهت للسفرة وهو يتبعها.. جلست بهدوء وعينيها تبعدان عنه، تبعها.. جلس بتلقائية في مكانه المعتاد وهو ينتظر أن يسمع كلماتها.. بدأت تتكلم:

- أيوة يا أسامة.. أنا فكرت في كلامك وشفت انك معاك حق.

كادت أنفاسه ان تتوقف.. . يستطيع بسهولة أن يتوقع الكلمات التي بدأت تتفوه بها.

- فكرت بعقلى زي ما قلت لي وده اللي خلاني متصلش بيك.. بصراحة كنت بتعود على حياتي من غيرك.

نهض مرتبكًا.. وغصة في حلقه أخرجت كلماته بطيئة:

- خلاص يا منى.. فهمت متكمليش.

- أنا ليا عندك طلب أخير.

- أؤمري.

ناولته ورقة مكتوبة.. وهي تقول:

- ده اتفاق بيننا وعايزة نسجله في الشهر العقاري.

لم يقرأ الورقة.. أخبرها وهو يضع الورقة على السفرة:

- كل حقوقك هتاخديها.. وهسيبلك الشقة لحد ما تظبطي أمورك وتشوفي مكان.. أنا مش هظلمك وكفاية انك استحملتيني كل السنين اللي فاتت دي.

- بس انا عايزاك تقرأ طلباتى.. أرجوك.

ناولته الورقة مرة أخرى.. بدأ في قراءتها بعينيه.. رفع نظره لمنى التي كانت تنتظر رده.. وقرأ مرة أخرى ليتأكد مما قرأه.

(إقــرار)

أقرُّ أنا..

أنني أُحِب زوجي لدرجة العشقِ بل يفوق..

وأنني لا أرجو من الحياة سوى قضاء ما تبقَّى لي من عمر بجواره ، وأُشهِد الله أنه لي بمثابة الزوجِ والأب والأخ والصديق.. وأتعهد أن أكون له زوجة عاشقة مخلصة مادمتُ أتنفَّس.

وأطالبه بأن يتعهد ألا يتركني أو يبتعد عني أو يحب غيري..

وألا يظن في ما دون الإخلاص والحب والمودة والرحمة

وعلى كل من يخالف هذا الاتفاق.. أن يدفع شرطًا جزائيًّا

قيمته إعادة سنوات العمر الذي أمضاه في حبٍ وإخلاص.

توقيع الزوجة توقيع الزوج توقيع الشهود

. . . .

نظر لها أسامة في بلاهة.. وسألها:

- مش فاهم ايه ده؟؟؟!!!!!

أجابته وهي تقترب منه وتهمس له بحب:

- ده تعهُّد هنمضي عليه ونسجله في الشهر العقاري.

ابتسم.. ثم ضحك من قلبه وهو يردد:

- اتجننتي إمتى؟

طوقته بذراعيها وهي تؤكد:

- ملقتش حل تاني اطمنك بيه غير ده.. طالما كلامي زي قِلته ومش مصدقني.

- أنا خايف...

قالها وهو يحتضنها.. يريد أن يحتمى بها من خوفه.. أن يطمئن بين ذراعيها

ربتت برفق على ظهره:

- متخافش يا حبيبي.. هنفضل طول عمرنا مع بعض.. بس انا اللي بقيت بخاف منك.

رجع برأسه للوراء.. نظر لها مستفسرًا:

- تخافي مني انا؟.. ليه؟

- عدم ثقتك في حبي ليك هي اللي تعباني.. يا أسامة قلتلك قبل كده أنا مليش غيرك.. اليومين اللي فاتوا كانوا صعب عليا أوي.. كل دقيقة واحنا بعيد عن بعض كانت بتمر كأنها سنين.. استحملت وقاومت وفكرت بعقلي زي ما طلبت مني.. بس مقدرتش استحمل.. أيوة نفسي في طفل بس منك انت وان مجاش يبقى خلاص نصيبنا كده.. معنديش أي استعداد اني اخسرك عشان مجهول.. لأني مش هقدر اتجوز غيرك يبقى هخلف منين.

- حتى لو مسبتينيش.. خايف تندمي وتكرهيني.. خايف في يوم تعايريني.

- أهو عدم ثقتك دي اللي تعباني بجد.. أعمل ايه طيب عشان تصدقني.

ضمها إليه مرة أخرى.

- تستحمليني ومتزعليش مني.. أنا بحبك أوي يا منى.. بحبك أكتر مما تتخيلي.

همست له وهي تعانقه:

- وانا بحبك أوي يا كل اللي ليا في الدنيا.

همست في أذنه وهى بين ذراعيه:

- مش هنسجل الإقرار.

ضحك أسامة.. ضحكة سعادة أكثر منها تعجب:

- مش بقولك اتجننتي.

- طيب نرجع لعقلنا بقى ونبقى نكمل جنان بعدين.. يالا يا أستاذ على شغلك هتتأخر.

قال مستدركًا.. كي يكسب مزيدًا من الوقت بصحبتها قبل العمل:

- نفطر طيب.

* * *

بمجرد وصول منى للمركز.. ذهبت فورا لمكتب حسن:

- صباح الخير يا حسن.

نظر لها وهو يبتسم:

- صباح النور.. اتصالحتوا.

رفعت حاجبيها متعجبة.. وجلست:

- هوَّ أسامة لِحق يقول لأماني وهيَّ لحقت تقولك؟

ضحك وهو يوضح لها:

- والله ما حد قالي حاجة.. انتى اللي وشك منوَّر وصوتك بيرقص وضحتك مالية الدنيا.. أمسك الخشب.

ضحكت بسعادة وهي تتنهد:

- اتصالحنا الحمدلله.. بُص أنا لسه خايفة من تقلباته بس وجوده جنبي بالدنيا.. ربنا يهديه.

- ربنا يسعدكوا.. طيب بالمناسبة دي بقى هروح مشوار الضهر ساعة الغدا ولما ارجع روحي انتي واقعدي مع جوزك.

ردَّت بسعادة:

- مشوار ايه؟

- أماني.. فعلًا يا منى البنت دي ممتازة.. هي دي اللي عايزة تعيش.. حقيقي استحملت الظروف اللي فاتت من غير تفاهات البنات الصغيرين ومن غير ما تضغط عليا ولا تضايقني حتى بكلمة.

- والله يا حسن أماني دي طيبة جدًا وعاقلة جدًا.. ربنا يسعدكم.. هقوم أنا اشوف ورايا إيه.

- اتفضلي.

* * *

وقفت أماني بعد انتهائها من مكالمة حسن.. ساكنة لا تتحرك.. تعيد في ذهنها كلماته.. إخبارها أنه سيأتي ليصطحبها في الثانية ظهرًا.. صوته الذي تبدَّل عن الأيام الماضية.. ما سر الطلب المفاجئ لمقابلتها.. هل حدثه أسامة؟؟

اتصلت بأسامة على الفور.. ما إن أجابها حتى سألته:

- انت اتكلمت مع حسن؟

- لا لسه.. انتي مستعجلة؟

- لا.. انا بس مستغربة.

- إيه اللي حصل؟

- اتصل بيا وقال انه هيعدي عليا ياخدني الساعة 2.

- هياخدك فين؟

- لما سألته قالي لما اشوفك هقولك.

- خلاص يا أماني روحي وشوفى هيقولك ايه؟

- يعني انت مكلمتوش في حاجة؟

- يا بنتى بقولك لأ والله.. روحي قابليه ولما ترجعى تطمنيني.

- حاضر.

أنهت مكالمتها مع أسامة.. وانتفضت على صوت والدتها:

- في إيه؟

- مفيش يا ماما.

- هي ايه حكايتك انتي واخوكي.. قاعدينلى زعلانين وكل ما اسأل حد فيكم مش راضي يقول حاجة.. من إمتى بتخبوا عليا.

- مفيش حاجة يا ماما صدقيني.. أسامة في شغله وهيروَّح على بيته وانا حسن كلمنى وقالي هيعدي عليا نخرج شوية الضهر.

- رايحين فين؟

- مش عارفة يا ماما والله.

- طيب مستنية إيه.. روحي كده ظبطي نفسك وشوفي هتلبسي إيه ولا هتعملي ايه.

- عادي يا ماما.. لسه بدري.

- بدري ايه.. قومي يا بت روحي ظبطي نفسك كده خليه يشوفك مهتمية بنفسك وحلوة بدل ما يقارن بينك وبين الستات اللي بيشوفهم كل يوم.

دخلت أماني حجرتها.. تعيد كلمات والدتها على مسامعها.. جلست أمام مرآتها.. كيف لها أن تتجمل وهي لا ترى نفسها جميلة.. نظرت لأدوات التجميل البسيطة الموجودة أمامها.. قفزت صورة نادين لمخيلتها بجانب صورتها في المرآة.. شعرت بالخوف والغيرة والحزن لأنها لم تكن يومًا ما جميلة.

* * *

توقف حسن بسيارته أمام منزل أماني ينتظرها.. لحظات قليلة حتى رآها تخرج من البوابة وتتجه لسيارته.. نزل من سيارته.. صافحها وفتح لها باب السيارة.. استدار ليركب مكانه.. قاد السيارة ولاحظ أن أماني لا تتكلم، فسألها:

- إنتي زعلانة مني ولا ايه؟

التفتت له وأجابته:

- لأ مش زعلانة.. أنا بس مش عارفة احنا رايحين فين.

- عازمك على الغدا.

- شكرًا.

- أهي شكرًا دي تقول انك زعلانة.

- مش زعلانة.. أنا بس حسيت اني مبقتش فاهمة حاجة في أي حاجة.. بفكر كتير في وضعي بلاقي نفسي مش عارفة افهم حاجة فأبطل تفكير يمكن ارتاح.. . بس برضه مش مرتاحة.

- إيه اللي مش مريحك.

- علاقتنا.

- مالها؟!

- أنا حاسة انك خطبتني من غير اقتناع.. يمكن تسرُّع يمكن أي حاجة وعارفة اني أقل من نادين بكتير.. يمكن مش قادر تكمل معايا.. أرجوك قولها وخليك صريح معايا على الأقل نلحق نفسنا في الأول قبل ما اتعلق أكتر من كده.

نظر له مندهشًا:

- انتي ليه مش واثقة في نفسك كفاية.. وقلتلك قبل كده متقارنيش نفسك بنادين.

- عارفة اني مينفعش اقارن لأني مش جميلة زيها.

- لأ.. مش عشان كده.. عشان انتي فيكي مزايا كتير غير أي حد.. أنا مش عارف انتي ازاي بتقللي من نفسك كده.. انتي فيكي جمال مش عند ناس كتير.. جمال الروح والعقل والشكل طبعًا.. وعايزك تفهمي حاجة يمكن تكوني مش فاهماها.. الجمال مالوش مقاييس محددة.. كل المقاييس اللي متخيلاها دي غلط.. الجمال مش عيون وشعر وشفايف وجسم.. الجمال بالنسبة لي اني اكون شايفك انتي بس وعايزك انتي بس ومش شايف أي ست تانية.

نظرت له بتوسل وعينيها تغرورق بالدموع:

- انت بجد شايفني حلوة؟

- أنا شايف انك نعمة ربنا عوّضني بيها عن الظروف اللي مريت بيها في الفترة الأخيرة.

فرت من عينيها دمعة فشلت في حبسها.. لمحها حسن:

- تؤ تؤ.. ايه الدموع اللي أنا شايفها دي.

ابتسمت وهي تمسح دموعها.. أكمل كلامه:

- انا آسف على الأيام اللي فاتت.. بس انتي عارفة ان لميس كل حاجة في حياتي.. ولما مكنتش لاقيها كنت حاسس اني بموت بالبطيء.

رددت بسرعة:

- بعد الشر عليك.. ربنا يخليهالك.

- ويخليكي ليا.. بصى بقى عشان مفيش وقت.. أنا معاكي للساعة 6 تقريبا.. ده لو مجاش أي حالة طارئة في المركز.

- ان شاءالله ميجيش.

رد مبتسمًا:

- إن شاءالله.. قوليلي بقى وصلتي لفين مع مهندس الديكور.

- موصلتش لحاجة ومكلمتوش من يومها.

- لا مينفعش كده.. انتي تكلميه وتشوفى لو فيه حاجة هنشوفها واحنا مع بعض والباقى كمليه انتي.. بس بسرعة.

- حاضر.

- وردى عليا بالليل.

- على إيه.

- حددي معاد الجواز.. وياريت يكون في أقرب وقت.

شعرت أماني بدقات قلبها تتسارع.. سعادة وخجل وعدم تصديق وكأنها لأول مرة ستتزوج.

* * *

لميس.. فى منزل والدها لم تتغير حياتها كثيرًا.. فالوحدة القاتلة هي التي تملأ يومها.. ولكن ما جدّ أنها في منزل غريب لم تألفه من قبل.. تشتاق لنادين ولكن عقلها يرفض مسامحتها على ما تعرضت له خلال أسوأ ايام قضتها.. تتذكر قليلًا الأيام السوداء الماضية ويغلب عليها الحنين لنادين ولبيتها وغرفتها وكل متعلقاتها التي لم تأتِ بها جميعها.

عقلها مشتت لا تستطيع التركيز في استذكار ما فاتها. فتحت هاتفها واتصلت بحسن لعله يأتي يتناول معها الغداء فيخفف من وحدتها قليلًا.. ردَّ:

- ألو.

- ألو.. ازيك يا بابي.

- الحمدلله يا حبيبتي.. صحيتى امتى.

- بعد ما نزلت على طول.. صحيت على صوت الباب.

- أخبار المذاكرة ايه؟

- أهو.. زهقانة وكل ما اجي اذاكر من قادرة.

- ليه؟

- مش عارفة.. انت جاى امتى؟

- بالليل إن شاءالله.

- مش هتيجى نتغدا مع بعض.

- لا مش هينفع.. انا بتغدا فعلا.. بس اطلبى اللي انتي عايزاه.

- الحكاية مش أكل.. أنا بس متضايقة اني لوحدي.

- طيب ثواني.

سمعته يهمس قليلًا وصوت امرأة بصحبته.. استنتجت أنها أماني، ثم أكمل حديثه معها:

- بصي، أماني جاية النهارده مع مهندس الديكور.. هتقعد معاكي شوية بعد ما ينزل.

صُدمت لميس من الاقتراح.. آخر ما تتمناه قضاء وقتها مع أماني.. في الأيام الماضية اعتقدت أن حسن تراجع عن الزواج.. فقد لاحظت عدم كلامه عن أماني وعدم وجود اتصالات ملحوظة بينهما.. لكنها أدركت أن ملاحظتها غير دقيقة.. فصمتت قليلًا ثم أنهت مكالمتها:

- أوك يا بابي.. سلام.

دبت نار الغيرة في صدرها.. وجدت أنها ستتعذب أكثر بوجودها في منزل والدها

دون أن تدري وجدت دموع تتساقط من عينيها بغزارة.. اشتاقت لحضن نادين

وجدت نفسها تلقائيا تتصل بنادين.. وجدت الهاتف مغلق فاتصلت على الهاتف الأرضي.. بعد قليل أتاها صوت حميدة:

- ألو.. مين.

- ألو.. أنا لميس.

- انتي فين.. أنا بتصل بيكي من الصبح تليفونك مقفول.

- كنت قافلاه.. في ايه؟

- كده يعني تسيبي امك كده.. انتي متعرفيش حصل لها ايه؟

قلقت لميس من لهجة حميدة.. فسألتها بلهفة:

- مالها مامي؟.. حصل لها إيه؟

- من يوم ما رجعت وهي مهمومة ومِكتئبة.. لا بتاكل ولا بتشرب إلا بالعافية.. وعياط ليل ونهارلحد ماعنيها بقت قد كده.. ده انا بقيت اخاف اسيبها لوحدها وامبارح روحت اشَقَر ع العيال وجيب بيِت معاها.. خفت عليها وانا غريبة مش من دمها.

حاولت لميس أن تبرئ نفسها من التهمة المستترة التي استنتجتها من كلام حميدة

- هيَّ اللي عملت كل ده في نفسها وفينا.

تحولت لهجة حميدة لحِدة.. وقالت بوضوح:

- وهيَّ عملت كده عشان مين.. مش علشانك انتى؟!.. انتي نسيتي كنتي عاملة ازاي لما كل واحد فيهم كان هيتجوز.. لما تبقى أم هتعرفي ان الواحدة ممكن ترمي نفسها في النارعلشان عيالها.. هي كل اللي عملته انها كانت عايزة ترجعلك ابوكي.. بصى أنا مش متعلمة ولا فاهمة زيكم بس أنا أم وعارفة ان اللي عملته ده تصرف أم مفكرتش غير في بنتها الوحيدة.. المهم امك حالتها زي الزفت وكل اللي واجعها بعدك انتي عنها.. هتيجي تصالحيها ولا هتبقى جاحدة وتفضلي مقاطعاها؟

رغم ضيق لميس من أسلوب حميدة واتهاماتها لها.. إلا أنها شعرت بالشفقة والحنين والاحتياج لنادين، فأجابتها بدموع عينيها:

- أنا جاية لها.

* * *

بعدما أغلقت حميدة الهاتف مع لميس.. لامت نفسها قليلًا على حدتها، ولكنها طمأنت نفسها بأنها قالت الحق وأنها في الحق لن تخشى لومة لائم.. بالإضافة أنها تتألم لما آلت إليه حالة نادين.. أدوية ومهدئات بجوارها تأخذها كي تستطيع النوم.. ترسل لطلب كافة الجرائد والمجلات الفنية ولا تترك "الأي باد" من يدها

تتابع المواقع الفنية.. تقلب فيها وترى الكلام عنها أحيانًا بصدق وأحيانًا باختلاق المزيد من القصص.. وتتأثر.. عندما أشفقت عليها وحاولت التخفيف عنها.. أخبرتها نادين أن كل ما مرت به في كفة وخسارتها للميس في كفة أخرى.. فكل ما يؤلمها هو فقدانها للميس.. تخشى ألا تعود إليها نهائيًا.. هنا.. قررت حميدة أن تتدخل محاولة الإصلاح بينهما.. أرادت أن تُفرِح نادين وتخبرها أن لميس ستأتي.. ولكنها وقبل أن تدخل الغرفة بلحظات خافت.. فتوقفت.. فتراجعت، خافت ألا تأتي لميس كما وعدت.. خافت أن يمنعها حسن.. خافت أن تُعلق نادين بأمل قد لا يتحقق.. آثرت الصمت حتى تتأكد.

* * *

بعد ساعتين.. رنَّ جرس الباب.. ذهبت حميدة مسرعة لتفتح الباب.. وجدت لميس أمامها وبيدها حقيبتها التي أخذتها من قبل، تهللت أساريرها وهي تأخذ الحقيبة من يد لميس:

- أيوة كده.. نوَّرتي بيتك.

- هيَّ فين؟

- في أوضتها.. باباكي عرف انك جاية؟

- أيوة.

اتجهت لميس لغرفة نادين.. فتحت الباب فوجدت نادين نائمة.. جثت على ركبتيها بجوار السرير وأمسكت بيد نادين وظلت تقبِّلها. استيقظت نادين، لم تصدق أن لميس أمامها..أغمضت عينيها وفتحتها مرارًا كي تتأكد أنها لا تحلم،

أمسكت بوجه لميس بين يديها وهي تعتدل:

- حبيبتي وحشتيني.

جذبت لميس وهي تعانقها باشتياق.. تبادلتا القبلات وذرفتا الدموع:

- متزعليش مني.. متسيبينيش يا لميس.

- أنا أسفة يا مامي.. متزعليش منِّي عشان خاطري.

- أزعل منك.. أنا كنت زعلانة من نفسي.. أنا اتصرفت غلط وغلطت في حقك كتير.

- متقوليش كده.. أنا اللي كنت وحشة معاكي أوي.. بس مقدرتش ابعد عنك.. ربنا يخليكي ليا محدش بيحبني قدك حتى بابي.

انتبهت نادين لكلماتها التي تحمل مرارة.. فسألتها:

- ليه بتقولي كده.. باباكي بيحبك وانا غلطت فعلًا.. يعني مهما يقول عليا هو معذور.

- بالعكس .. هو مقالش عليكي حاجة وحشة خالص.. بس هو خلاص مبقاش فارق معاه حاجة.

نظرت لها نادين بعدم فهم.. وأحست لميس أن كلامها عن أماني سيؤلمهما.. فقالت:

- هنتكلم بعدين.. لما تقومي تاخدي شاور وننزل نتغدا بره ونعمل شوبنج ونتفسح ونقضي اليوم بره زي زمان.

جذبتها نادين مرة أخرى بحنان.. وقالت وهي تضمها:

- أنا مكنش فارق معايا أي حاجة خسرتها قدك انتي.. خسارتي لحسن ولشغلي وسمعتي موجعونيش قد وجعي من غيابك.. حسيت ان الموت أهون.. كنت خايفة مترجعيش.

- خلاص يا مامي.. متحسسنيش بالذنب أكتر من كده.

- لا يا حبيبتي المهم انك رجعتلي.

- طيب يالا قومي عشان النهارده للخروج وبعد كده تركيز تام.. أنا محتاجة اعوض الوقت اللي فات.. الامتحانات ع الأبواب.

* * *

عودة لميس خففت الكثير من إحساس نادين بالذنب.. ساعدتها في تخطى أزمة فقدانها حسن.. حبها الوحيد.. كانت كل منهما علاج الأخرى.. ضمدا جرحهما سويًّا ومعًا.

تفرغت لميس لمذاكرتها بجد واجتهاد في الفترة القليلة المتبقية وساعدتها نادين بالتفرغ التام كذي قبل.. نسيت الصحف والمواقع الفنية حادث نادين وابنتها عندما لم يجد جديد فيه.. وسقطت القصة في طي النسيان وسط صخب الأحداث السياسية المتجددة يوميًا التي يهتم بها الجميع.

في غضون أسابيع قليلة.. تم زواج حسن وأماني.. تعللت لميس بالامتحانات ولم تلبي دعوة حضور عقد القران واكتفت بكلمات مقتضبة في الهاتف.

نجحت لميس بتفوق في الشهادة الإعدادية وبعد الاطمئنان على النتيجة ذهبتا لقضاء الصيف في مارينا.. تزامنا مع عرض المسلسل في رمضان والذي حقق نجاحا باهرًا.. فانهالت السيناريوهات على نادين التي عكفت على قراءتها وشاركتها لميس في مناقشة كافة التفاصيل بكل سيناريو قبل اتخاذ قرار القبول أو الرفض.. واتصل بها فايز الجيار مجددًا وأخبرها بأنه قرر استئناف العمل بالفيلم بعد عيد الأضحى بعد الاستقرار على مخرج آخر بدلًا من مجدي الهندي.

* * *

حمل أماني سَبب سعادة غامرة لوالدتها.. وحسن الذي سعد حقًا بالمولود المنتظر.. سعادته طمأنت أماني وأعطتها مزيدًا من الثقة كانت تحتاجها لشعورها الدائم لأن زواج حسن منها مجرد احتياج لزوجة فقط.. لكن بالوقت تأكدت من مشاعر حسن التي بدأت تنمو نحوها.. حب يشمل مودة ورحمة ومعاملة طيبة واحترام.. كل المعاني التي تمنتها.. ترجمها لها حسن في حياته معها.. ذابت فيه حبًا وتمنت أن يرزقها الله منه بالبنين والبنات لتكوين أسرة كبيرة.

أما أسامة.. رغم فرحته لشقيقته إلا أنه تذكَّر عجزه وطلب من منى إعادة التفكير في حياتهما معًا. تأكدت منى أن تلك العقدة ستظل مشكلة حياتها مع أسامة وأنها لن تنتهى.. ستغوص في زحمة الحياة، ولكنها ستطفو على السطح في أوقات لايعلمها إلا الله.. ولأسباب لا دخل لها بها إطلاقًا.

شيء ما بداخلها طمأنها أن أسامة يخيرها كل فترة ولكنه أبداً لن يطلقها.. قررت أن تتحمل نوبات ضيقه التي تطفو كل فترة وتحتويها ليعيشا في استقرار وحب.

* * *

بعد ثلاث سنوات..

أنهت لميس دراستها الثانوية بمجموع يؤهلها للالتحاق بكلية الطب.

في نفس الوقت سطعت نادين نجمة لامعة في السينما والتليفزيون وعُرِضَ عليها دور جديد على أن تقوم لميس بدور ابنتها في المسلسل.

وقعت لميس في حيرة الاختيار ما بين دراستها للطب كوالدها أو الاتجاه للتمثيل كوالدتها.

سألت كل منهما على حدة على رأيه.. ولكن كل منهما ترك القرار في يدها وحدها.

* * *

انتقل حسن بأماني في فيلا جديدة.. أسس فيها جناحًا خاص بلميس كما كان لها غرفة في شقته السابقة.. والتي لم تسكنها لميس أبدًا بعد زواج حسن.. أنجبت أماني طفلين وكانت في انتظار الثالث.. تقضي والدتها معظم الوقت معها لمساعدتها في تربية الأطفال رغم وجود خادمة، ولكن للأحفاد سحر خاص أنساها الدنيا كما أنساها افتعال المشاكل مع منى.. بل على العكس تمامًا فقد أظهرت حبًا مبالغًا فيه لمنى.. فكلما رأت ابنتها سعيدة تدعو من قلبها لمنى التي كانت سببًا في الزواج.

* * *

مع الوقت.. اقتنع أسامة بأن منى لن تتركه.. فكلما تقدم العمر بها اطمأن لوجودها بالقرب منه.. تباعدت نوبات تقلباته حتى اختفت تمامًا.

أولاد أماني كانوا فرحة منى وأسامة الحقيقية.. فكل مشاعر الأمومة والأبوة التي يملكاها أُغدِقَت على الأطفال من الخال أسامة والعمة منى فازداد تعلُّق الأطفال بهما رغم صغر سنهم.

* * *

قررت لميس أن تدرس الطب فبارك حسن قرارها.. وارتاحت نادين لقرارها فلم تكن تريد للميس أن يسحرها الفن كما سحرها من قبل..

وبدأت حياة جديدة...

تمَّت

* * *



50 شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

0225622743 /01221064663